شعر الحارث بن خالد المخزومي
(ت ١٠٠هـ/٧١٨م)
دراسة أدبية

AL-Hareth Ibn Khaled Al-Makhzomi's Poetry
D.(100 A.H/ 718 A.D)
A Literary Study

إعداد

سعد فهد عيطان الذويخ

الرقم الجامعي

٩٥٢٠٣٠١٠٠٤

المشرف

أ.د. يحيى وهيب الجبوري

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- أ.د. يحيى وهيب الجبوري	(مشرفاً ورئيساً)	
٢- أ.د. داود سلوم كاظم	(عضواً)	
٣- أ.د. عدنان عبيد العلي	(عضواً)	
٤- د. محمد محمود الدروبي	(عضواً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم
في جامعة آل البيت

نوقشت وأوصي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ : ١٩٩٩/١٢/٢٧م .

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره والثناء عليه والصلاة على رسوله المصطفى وعلى آله وأصحابه.

فإن من الخلق أن ينسب الفضل لأهله، فأول ما يبدأ الباحث به هو أن يتقدم بجزيل الشكر وعظيمه، لأستاذه الدكتور يحيى وهيب الجبوري الذي أشرف على هذه الرسالة وبذل جهدا عظيما في تقويمها وتثقيفها حتى استقامت واعتدلت وأصبحت على هذه الصورة، معتمدا في ذلك على ثراء علمه وكثرة اطلاعه وخبرته الواسعة، نفع الله به طلبة العلم وأطال الله في عمره.

وأتقدم بوافر شكري إلى أعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية -جامعة آل البيت، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور شكري الماضي وأستاذي الدكتور محمد الدروبي فهما صاحبا فضل علي، حفظهما الله.

وأتقدم بوافر الشكر إلى جامعة آل البيت الشماء ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت على ما يبذله من تقدم ورفع مستوى الطلبة في كافة المجالات، فجزاه الله خير الجزاء.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء اللجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشتي، جزاهم الله خيراً.

وأسأل الله التوفيق

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
ملخص البحث باللغة العربية	ح
* **المقدمة**	١
* الفصل الأول: **حياة الشاعر**	٦
المبحث الأول: **قبيلة بني مخزوم**	٧
المبحث الثاني: **الشاعر**	١٢
اسمه	١٢
ولادته ونشأته	١٣
أسرته	١٦
والدته وأخوته	١٧
زواجه وأبناؤه	١٧
ملامح شخصيته	١٩
إمارته على مكة	٢١
وفاته	٢٥
خريطة نسب الحارث	٢٧
* الفصل الثاني: **شعره**	٢٨
المبحث الأول: **شعر الحارث المخزومي في المصادر القديمة**	٢٩
١) كتب التاريخ والأنساب والتراجم	٢٩
٢) كتب اللغة والنحو	٣١
٣) كتب الأدب والنقد	٣٣
شعره المجموع	٣٥
الفائت من شعره	٣٩

ظاهرة ضياع شعره ٤٠
مكانة الشاعر ومنزلته ٤٣
المبحث الثاني: **موضوعات شعره** ٤٥
I **الغزل** ٤٥
- تمهيد ٤٥
- الغزل التقليدي ٤٦
- الغزل الحضري ٤٧
- الغزل العذري / العفيف ٥٠
١) التفسير السياسي والحضاري ٥١
٢) التفسير الاقتصادي ٥٤
٣) التفسير النفسي والفني ٥٤
- غزل الحارث المخزومي ٥٦
غزله التقليدي ٥٧
غزله الحضري/ الحسي ٦١
الملامح العذرية في شعره ٦٦
حب الحارث وغزله بأعلام النساء في عصره ٧٠
الحارث وعائشة بنت طلحة ٧٠
الحارث وليلى بنت أبي مرة ٧٣
الحارث وأم عمران ٧٤
الحارث وأم بكر ٧٥
- **موضوعات أخرى** ٧٦
I الهجاء ٧٦
II الشكوى والعتاب ٨٠
III الرثاء ٨١
• الفصل الثالث: **الدراسة الفنيّة** ٨٢
- بين القصيدة والمقطوعة ٨٣
- بناء القصيدة ٨٥

مقدمة القصيدة	٨٧
التخلص	٩٤
خواتم أشعاره	٩٦
- اللغة والأسلوب	٩٧
- الموسيقى الشعرية	١٠٧
- الموسيقى الخارجية	١٠٨
الأوزان	١٠٨
القافية في شعره	١١١
عيوب القافية في شعره	١١٥
- الموسيقى الداخلية	١١٦
- التكرار	١١٧
- الجناس أو التجنيس	١٢٠
- الطباق أو المطابقة	١٢١
- التصريع	١٢٢
- رد العجز على الصدر	١٢٣
- الغناء في شعر الحارث	١٢٤
• **الخاتمة**	١٣٣
• **قائمة المصادر والمراجع**	١٣٤
• **المصادر القديمة**	١٣٤
• **المراجع الحديثة**	١٤٠
• **الدوريات**	١٤٤
• **المواد غير المنشورة**	١٤٥
• **الملخص باللغة الإنجليزية**	١٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

اشتمل هذا البحث على ثلاثة فصول وتمهيد، تناولت في التمهيد، عصر الشاعر وبيئته، فبينت فيه التغيرات التي طرأت على الشعر في العصر الأموي والمرتبطة بالتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الفصل الأول: حياة الشاعر، وفيه مبحثان: تحدثت في الأول منهما عن قبيلة الشاعر من حيث: نسبها، ومكانة هذا النسب من أنساب العرب، وبينت مكانتها وأيامها، وأشهر شعرائها في الجاهلية والإسلام.

وفي المبحث الثاني ناقشت أخبار الحارث المخزومي وحياته مناقشة تاريخية تحليلية من حيث: اسمه، وولادته ونشأته، وأسرته، وملامح شخصيته، وإمارته على مكة، وبينت أن الحارث عاش في العصر الأموي، وهو أحد شعراء قريش المعدودين. فقد ولد في مكة وتنقل بين الحواضر، كما ولي إمارة مكة لعهد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، ورجحت وفاته حوالي سنة (١٠٠هـ)، بالاستناد إلى أقرب الروايات في ذلك.

وتناول الفصل الثاني، شعره، وفيه مبحثان، خُصّص الأول منهما لدراسة الحارث في المصادر القديمة، فعرضت لمصادر شعره القديمة، وقد كثرت هذه المصادر وتنوعت فمنها: كتب التاريخ والأنساب، وكتب اللغة والنحو، وكتب الأدب والنقد. وبينت أهمية هذه المصادر بوصفهما الأصول الأولى لدراسة الشاعر وشعره، إذ تبين انتشار شعره في المصادر القديمة عبر القرون مما يدل على حضور الشاعر وسيرورة شعره.

ثم عرضت لمجموع شعره، واستدركت على هذا المجموع خمسة عشر بيتا من الشعر، وتناولت مكانة الشاعر ومنزلته، إذ حظي الشاعر بمكانة متميزة ومرموقة في عصره وبين أقرانه من شعراء الغزل.

وفي المبحث الثاني درست موضوعات شعره، التي كان أهمها وأكبرها موضوع الغزل، إذ إن الحارث المخزومي شاعر غزلي، كان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى الهجاء والمديح إلا نادرا. فقدمت لهذا الموضوع بدراسة اتجاهات الغزل في عصره، وانتقلت

إلى دراسة أنواع شعره الغزلي التي تنوعت بين الغزل التقليدي، والحضري، والعذري، وتبين أنّ الشاعر خصص أغلب شعره الغزلي في عائشة بنت طلحة، ثم عرضت لموضوعات شعره الفرعية ضمن موضوعات أخرى، ومنها الهجاء والعتاب، وهي موضوعات ثانوية لا تبلغ شعره الغزلي.

أما الفصل الثالث فقد تحدثت فيه عن أبرز الظواهر الفنية في شعر الحارث، فدرست بناء القصيدة من حيث المطلع والتخلص، وخواتم الأشعار، فتبين أن الشاعر نوّع في مقدمات قصائده من طللية وغزلية ومقدمة في وصف الطيف، ومقدمة في الشيب والشباب، فكان الشاعر يسير في بناء قصائده على سنن الشعراء السابقين مع التجديد في بناء القصيدة، حيث تخلص الشاعر من وصف الرحلة ووصف الظعائن، ثم عرجت على دراسة لغة الشاعر واسلوبه، فبينت أن لغة الشاعر جاءت في غير نمط، فقد نجد المفردة الصعبة التي لا تفهم إلا بالاستعانة بمعاجم اللغة، ويظهر ذلك أكثر ما يكون في غزله التقليدي، كما نجد عنده المفردة الواضحة السهلة، ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في شعره المغنى وغزله الحضري.

ودرست موسيقى شعره وقسمتها إلى قسمين: موسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية، وموسيقى داخلية كالتكرار والجناس والطباق ورد الأعجاز على الصدور والتصريع وغيرها.

ثم أنهيت الدراسة بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

لقد حظي الشعر القديم: الجاهلي والإسلامي والأموي بدراسات متنوعة، سواء نقدية أو فنية أو مضمونية، لما يحويه هذا الشعر من ظواهر لغوية وأدبية ونقدية، وقد تناوله الدارسون القدماء والمحدثون وما يزالون.

وقد كان لموضوع بحثي الذي اخترت له عنوان: شعر الحارث بن خالد المخزومي: دراسة أدبية نصيب في هذه الدراسات، حيث يلقي هذا البحث الضوء على شعر الحارث بن خالد المخزومي ليكشف الجوانب الأدبية والفنية في شعره، حيث يعد الحارث أحد شعراء الغزل الذي بلغ شعرهم مرتبة رفيعة من الإبداع الفني والجمال، وهو من شعراء الغزل المعدودين في قريش، ورد في الأغاني: "أن العرب كانت تفضل قريشا في كل شيء إلا الشعر، فلما نجم فيها عمر بن أبي ربيعة والحارث المخزومي والعرجي وأبو دهبل الجمحي وعبيد الله بن قيس الرقيات، أقرت لها العرب بالشعر أيضا"[1].

هؤلاء شعراء قريش الغزلين المعدودين ويأتي الحارث ثاني الشعراء منزلة، ويقرن شعره بشعر عمر بن أبي ربيعة، وفضّله بعضهم عليه، وكلاهما شاعر غزل، ومن بيئة واحدة، وكان الحارث يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل، ومع ذلك فإن الشاعر لم ينل ما يستحقه من اهتمام الدارسين والباحثين، إذ لم يكتب عنه إلا صفحات قليلة لا تفي حقه.

ومن خلال اطلاعي على شعره ودراسته تبين لي أنه شاعر يستحق البحث والدراسة؛ لأن شعره يجسد أنواع الغزل في عصره، ولما في شعره من ثروة أدبية ولغوية كبيرة، كما أن كثيراً من أخبار الشاعر ما تزال أشتاتا متفرقة في بطون الكتب والمصادر، تغري الدارس بتتبعها وتنسيقها ودرسها، وأما شعره فلم يكن أوفر حظا من حياته، فلم يحظ في الدراسات الحديثة إلا بإشارات سريعة ضمن اتجاهات شعرية عامة.

وبتوجيه من أستاذي الدكتور يحيى الجبوري -المشرف على هذه الدراسة- تولدت في نفسي الرغبة الأكيدة للقيام بدراسة جامعة متخصصة تتناول سيرة الشاعر وحياته، وتدرس شعره دراسة أدبية، فكان هذا البحث.

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الفكر، القاهرة، جـ٣، ص٣١٠.

ويهدف البحث إلى إزالة كثير من جوانب النقص والغموض الذي يحيط بالشاعر من حيث: ولادته ونشأته وشخصيته، ومكانته الأدبية والسياسية في عصره، كما يهدف البحث إلى دراسة موضوعات شعره، وإبراز الجوانب الأدبية والفنية في شعره، ومن ثم يسعى البحث إلى وضع الشاعر في مكانه الصحيح بين أقرانه من شعراء قريش الغزلين، الذين كانوا أوفر حظا منه في البحث والدراسة.

وقد حاولت أن استقصي مجمل الأخبار التي تخص الشاعر في كتب الأدب والنقد والتاريخ وغيرها.

وكان من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث قلة الأخبار التي حفظتها المصادر القديمة حول الشاعر وشعره، إضافة إلى تناثر مثل هذه الأخبار في مصادر مختلفة، الأمر الذي دفع الباحث إلى عرض مصادر شعره ودراستها ونقدها، ومن أهم هذه المصادر: كتاب الأغاني للأصفهاني (٣٦٥هـ)، فقد ترجم له ترجمة موسّعة، جاءت في حدود ثلاثين صفحة وقد ضمن هذه الترجمة كثيراً من جوانب حياته وسيرته، وكثيرا من شعره، ويعد هذا الكتاب من أوسع المصادر التي تطرقت للشاعر وشعره وأهمها. وفيما عدا هذا المصدر فقد تناثرت بعض أخباره وأبيات من شعره في كثير من المصادر الأخرى.

وأما في المراجع الحديثة، فلم أجد دراسة مستقلة حول الشاعر وشعره باستثناء ما قام به الأستاذ يحيى الجبوري من جمع شعره وتحقيقه وإخراجه للنور في طبعته الأولى عام (١٩٧٢م)، وبعد فتره من الزمن أخرج المحقق الطبعة الثانية من شعره في عام (١٩٨٤م)، وقد أضاف إليها ثلاث قصائد طوال من شعره عثر عليها في (مخطوطة منتهى الطلب) لابن ميمون. وضمن الكتاب مقدمة حول حياة الشاعر، ويدرك كل من يطلع على هذا الكتاب أهمية الجهد الذي بذله الأستاذ الجبوري في البحث والتنقيب عن شعر الشاعر في مظانه الأولى.

ودراستي تختلف عن هذه الدراسة اختلافا كبيراً، فبينما انصب جهد الأستاذ الجبوري على جمع الشعر وتحقيقه، جاءت دراستي لتتناول حياة الشاعر مفصله ولتدرس شعره دراسة أدبية، ولا ينكر الباحث أهمية المقدمة التي وضعها المحقق، وهي مدخل وتمهيد إلى تحقيق الشعر وكان لها عظيم الفائدة لهذا البحث.

وأما في غير ذلك فلا توجد دراسات حول الشاعر، ومعظم ما ذكرته كتب الأدب والنقد لا يتجاوز تعريفا مختصرا للشاعر مع إيراد نتف من شعره، وقد اعتمدت مثل هذه الكتب على

ما ورد في الأغاني، ومن أهمها: تاريخ الأدب العربي فؤاد سزكين، وتاريخ الأدب العربي لجرجي زيدان، وتاريخ الأدب لعمر فروخ.

ومن هنا فإن البحث يتناول الشاعر في سيرة حياته ودراسة شعره دراسة أدبية.

والبحث يدور حول الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-من هو الحارث المخزومي؟وما أخباره وسيرة حياته؟

٢- لماذا الحارث بن خالد وشعره؟

٣-ما الموضوعات التي طرقها الشاعر؟ وما الذي يميز شعره عن شعر غيره من شعراء قريش الغزلين؟

٤-ما الجوانب الأدبية والفنية في شعره، وما منزلته الشعرية؟

وأما منهجي في البحث، فقد سلكت فيه مسلكا يتناسب وطبيعة الموضوع، من حيث جمع كل ما يتعلق بالشاعر منذ ولادته وحتى وفاته، وتنسيقها ودراستها، ومن ثم دراسة شعره دراسة أدبية متعمقة من خلال استنطاق نصوصه الشعرية وإيضاح ما فيها من جمال وبراعة فنية، فكان المنهج التاريخي الأدبي سبيلي في هذا البحث.

واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: فقد جاء في مبحثين، تناولت في المبحث الأول منه قبيلة الشاعر من حيث: نسبها ومكانتها وأيامها. وفي المبحث الثاني درست حياة الشاعر، فبحثت في اسمه ونسبه ونشأته وأسرته، ومضيت إلى دراسة ملامح شخصيته وإمارته على مكة، وأنهيت هذا المبحث بوفاته التي كان في تحديد سنتها خلاف كبير، ورجحت الأقرب إلى الصواب.

وجاء الفصل الثاني ليدرس شعره، وفيه مبحثان: الأول منهما خصص لدراسة شعر الشاعر في مصادره، فعرضت لمصادر شعره وقسمتها إلى ثلاثة أقسام: كتب التاريخ والأنساب وكتب اللغة والنحو، وكتب الأدب والنقد، ثم تعرضت إلى مجموع شعره، ورتبت ما عثرتُ عليه من شعر مما ليس في مجموع شعره ضمن: الفائت من شعره.

وفي المبحث الثاني درست موضوعات شعره التي كان أهمها وأكبرهـــا فـــن الغـــزل ، فقدمت لدراسة اتجاهات الغزل في عصره، وموضع شعره الغزلي في هذه الاتجاهـــات، وكـــان الموضوع الثاني في شعره الهجاء، ثم تناولت موضوعات شعره الأخرى.

وأما الفصل الثالث: فقد خصص لدراسة شعره دراسة أدبية، فبحثت فيه بنـــاء القصيـــدة ووحدتها، كما درست اللغة والاسلوب، فالموسيقى الشعرية والغناء في شعره.

وقد ألحق البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وعميق عرفاني إلى أستاذي الكريم يحيـــى الجبوري الذي أشرف على هذا البحث ورعاه، منذ أن كان فكرة إلى أن وصل إلى هـــذه الصورة، كما أتوجه بعظيم الشكر لأعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتـــور داود ســـلوم والأستاذ الدكتور عدنان عبيد العلي والدكتور محمد الدروبي، الذين بذلـــوا مـــن نفيـــس وقتهم وعناء جهدهم في قراءة هذا البحث، مؤكدا أن ملحوظاتهم القيمة ستكون موضـــع اهتمام الباحث وتقديره ليصحح ما أعوج من عمله حتى يخرج على الصورة التي تحـــوز الرضا والقبول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله .....

الفصل الأول

حياة الشاعر

المبحث الأول

قبيلة بني مخزوم

بني مخزوم من قبائل العرب العدنانية، وهم مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لـــؤي ابن فهد بن مالك بن عدنان.[١]

والمخزومي: بفتح الميم وسكون الخاء وضم الزاي نسبة إلى قبيلتين: إحداهما مخـــزوم ابن يقظة بن مرة، وينسب إليها خلق كثير، والثانية مخزوم بن عمرو.[٢]

ويعنى هذا البحث بقبيلة مخزوم بن يقظة التي ينسب إليها الشاعر، وهؤلاء بطـــن مـــن عبس، من بطون هذيل من قريش، ولقريش فرعان كبيران، ولكل فرع بطـــون، الفـــرع الأول: **قريش البطاح**، وقد نزل هؤلاء بطاح مكة، وحول بئر زمزم، أما الفرع الثاني فقريش الظواهـــر وهم الذين سكنوا ظواهر مكة وشعابها.[٣]

وقد ذكر ابن حبيب:[٤] أن قريش البطاح تتألف من عشر بطـــون كـــان لـــها الشـــرف والمكرمات، وكانت أمور الحكم والسلطان بيد رؤساء هذه البطون وهي: هاشم، وأميـــة، وعبـــد الدار ونوفل، وتميم، وأسد، ومخزوم، وعدي، وسهم، وجمح، أما قريش الظواهر فهم: بنو عبـــد العزى، وبنو زهرة، وبنو محارب، وبنو الحارث، وبنو تيم، وبنو عامر، وبنو عبد مناف.

---

[١] ابن الكلبي، أبو المنذر هشام، جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، (ط١)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص٨٤-٨٦.

وينظر: المبرد، محمد بن يزيد، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الراجكوتي، الدوحة، قطر، ١٩٨٤م، ص١١.

وابن حزم، أبو سعد، جمهرة أنساب العرب، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٤١.

[٢] الجزري، عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، جـــ٣، ص١٧٩.

والسيوطي، جمال الدين، لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق: محمد احمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، جـــ٢، ص٢٤٢.

[٣] ابن حبيب، أبو جعفر، المحبر، طبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢، ص١٦٨.

[٤] المصدر السابق، ذاته، ص١٦٧-١٦٨.

ويظهر من ذلك أن بني مخزوم، أحد بطون قريش البطاح، وهم ذوو نفوذ واسع في مكة وما حولها، وقد عرفوا بالشجاعة والغنى، وهم مع هاشم وأمية من أكبر بطون قريش مكانة، كما عرفوا بالبأس والشدة في الحروب، وقد كان لبني المغيرة من مخزوم مكانة بارزة في أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ومن أيامهم في الجاهلية يوم شرب، وقد كان لهوازن على كنانة، وكان لبني مخزوم دور كبير فيه،[1] وقال عبد الله بن الزبعرى -يمدح بني المغيرة في ذلك اليوم:

ألا لِلّه قَوْمٌ وَ ... لِـدَتْ أُخْتُ بني سهمِ
هِشامٌ وأبو عبدِ ... مَنافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ
وذو آلِ رمحين أشبا ... لٌ من القُوَّة والحزمِ
فهذان يذودان ... وذا من كثبَ يَرْمي
وإن أَحْلف وبيت اللـ ... ـه لا احلف على إثم
لمّا إنَّ إخوةً بين ... دروب الروم والرَّدَمِ
بأزكى من بني ريطـ ... ـةَ أو أوزَن في حِلْمِ
وهم يومَ عُكاظٍ مـ ... ـنعوا الناسَ من الهزمِ.[2]

ومن أيامهم المعروفة في الجاهلية، يوم عكاظ،[3] حيث اشترك بنو مخزوم مع كنانة، فالتقت قيس وكنانة، واقتتلت القبيلتان قتالا شديدا وكان بنو المغيرة أشدهم يومئذ، حيث صبروا وأبلوا بلاء حسنا، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل صوب وحدب حتى انهزمت وكان على بني مخزوم في هذه الحروب هشام بن المغيرة.

وذكر الجمحي في حروب الفجار*،أنه كان لبني المغيرة بلاء كبير، وكان رئيسهم في هذه الحروب هشام بن المغيرة.[4] وبسبب من هذه المكانة وهذا البأس أسندت قريش أمر القبة

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، جـ٥، ص٢٤٢.

[2] ابن الزبعرى، عبد الله، شعره، تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ق ٢١، ص٤٧/٤٨.

[3] محمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار أحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٣٤.

* أيام الفجار: خمسة أيام في أربع سنين، بين هوازن وكنانة، شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة.

[4] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت، جـ١، ص٢٤٠.

إلى بني مخزوم في الجاهلية، وبقي أمر القبة إليهم في الإسلام، وكان خالد بن الوليد منهم، حيث انتهى إليه شرفها فوصله بالإسلام، وقد هيأت هذه الحروب الظروف الملائمة لبروز طائفة من شعراء الحرب والفخر في هذه القبيلة.

وكذلك اشتهر بنو مخزوم بالغنى والجاه والثراء الواسع -كما سبق- فكان منهم التجار الكبار كالوليد بن المغيرة، صاحب الشهرة والجاه، وقد ذكر المفسرون[1] أنه هو المراد في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ۞ وجعلتُ لَهُ مالاً ممدودا ۞ وبنين شهودا﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنى فأنتَ لَهُ تصَدّى﴾[3]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَقالُوا لولا نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنْ القريتين عَظيمٍ﴾[4].

وقد كان الوليد من أصحاب الأموال الكثيرة، وقد ساعد في تجهيز جيش المشركين في معركة بدر، كما كان يكسو الكعبة المشرفة في عام وتكسوها قريش في العام التالي. ولذلك كان يسمى العدل.[5]

ومما سبق يظهر أن بني مخزوم كانوا أهل ثروة ونشاط، وكان لكثير منهم نصيب كبير في تجارة قريش في الجاهلية التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿ لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهم رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيف﴾ [6].

وقد ظلت العرب تتحدث عن غناهم وثرائهم، فقد روي أن معاوية قال: "إذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها،...، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها، فمن ذا يحمل مضمارها ويجري إلى غايتها"[7].

وفي العصر الإسلامي اشتهر المغيرة بأمواله وإنفاقه وبذله، فكان يأمر بالسكر والجوز فيدقان ويطعمها أصحاب الصفة المساكين، كما كان ابنه يزيد يطاف به على العجل، وكان ينحر في كل يوم جزورا، وفي كل جمعه جزورين.[8]

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار البصيرة، د.ت، جـ٤، ص٤٦٥-٤٦٦.

[2] القرآن الكريم، سورة المدثر، الآيات (١١-١٣).

[3] القرآن الكريم، سورة عبس، الآيات (٥-٦).

[4] القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية ٣١.

[5] ابن حبيب، المحبر، مصدر سابق، ص١٣٢.

[6] القرآن الكريم، سورة قريش، الآيات (١-٢).

[7] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، جـ٣، ص١٣٥.

[8] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، د.ت، جـ١٨، ص ٣٠٣-ص ٣٠٤.

وكان بنو مخزوم يسمون ريحانة قريش، وذلك لجمالهم وحسن هيئتهم وشارتهم وطيب روائحهم، فقد ورد أن علي بن أبي طالب سئل عن بني مخزوم فقال: "... أما بنو مخزوم فريحانة قريش، تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم"[1]، كما روي أن الخليفة عثمان بن عفان مر بمجلس لبني مخزوم، فوقف وسلم عليهم، ثم قال: "إنه ليعجبني ما أرى من جمالكم ونعمة الله عليكم، فقال بعضهم: أفلا تزوج بعضنا يا أمير المؤمنين، فنظر إلى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام -وهو منهم- وقال: إن شاء ذاك، وأشار بيده إلى عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: فإني أشاء، فزوجه مريم بنت عثمان"[2].

إن النصوص والروايات السابقة توضح المكانة التي حظيت بها بنو مخزوم، وما انتهوا إليه من جاه وثروة وبأس، وما عرف عنهم من الحسن والجمال، فبنو مخزوم من بيوتات قريش الأولى في الشرف والكرم والجمال إذ تمتعوا بمكانة مرموقة في عصرهم، قال أبو عثمان: "حظيت مخزوم بالأشعار فانتشر لهم صيت عظيم، واتفق لهم منها ما لم يتفق لأحد، وذلك أنه يضرب بهم المثل في العز والمنعة والجود والشرف"[3].

ومن خلال هذه الإشارات والأخبار يستدل بأنه قد تحقق لقبيلة بني مخزوم من أسباب الغنى والجاه، مالم يتحقق لغيرها من القبائل، مما أدى إلى ذيوع صيتهم وشهرتهم في كافة جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأدبية.

كما ضرب المثل في بني مخزوم، ووضعوا فوق كل غاية، وقد قيل في ذلك: "أتيه من مخزومي"[4]، وقال معاوية: "إذا لم يكن الهاشمي جوادا لم يشبه قومه، وإذا لم يكن المخزومي تياها لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الأموي حليما لم يشبه قومه"[5].

وقال دغفل النسابة* فيهم: "معزى مطيرة عليها قشعريرة إلا بني المغيرة فإن فيهم تشادق

---

[1] المصدر السابق، ذاته، جـ١٨، ص٢٨٥.

[2] الزبيري، المصعب بن عبد الله، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، (ط٣)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٠٨.

[3] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، جـ١٨، ص٢٨٥.

[4] الزبيري، نسب قريش، مصدر سابق، ص٣٠٨.

[5] الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٦١.

* دغفل النسابة، دغفل بن حنظلة بن بكر بن وائل، قيل: إنه كان سدوسيا، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يسمع منه، عمل عند يزيد مؤدبا.

الكلام، ومصاهرة الكرام"[1]، كما كانت الجارية تولد لآل الحارث بن هشام فتتباشر النساء بهم، ويرى أهلها أنهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها، وقد ضرب المثل ببنات الحارث بن هشام في الحسن والترف وغلاء المهور[2].

وقد كان لبني مخزوم أسر، كان من أشهرها أسرة بني المغيرة، فهي من أقوى أسر بني مخزوم حسبا ونسبا وثروة، وانتسب إليها أبناء المغيرة حتى صارت كلمة المغيري مرادفة للمخزومي، وقد قال الشاعر في مدح بني مخزوم، مشيدا بكرمهم ومجدهم:

واذكر ولا تنسَ بني مخزوم — أرباب مجدٍ تالد قديم
وأهل عزٍّ باذخ عظيم — لباب فرعٍ ناضر حميم
أخوال برٍّ صادق رحيم — متالد في الحجر والخطيم
فعرفات فإلى التنعيم — لم ينزلوا بالمنزل الرخيم
من الثمار الأعرق الكريم — كم فيهم من ذي ندى حليم[3]

أما مكانة بني مخزوم ومآثرها فقد برزت بشكل واضح في حديث الحجاج لأعشى همدان، فقد روي أن الحجاج سأل أعشى همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية والإسلام فقال: "... من أيهم المحبب في أهله، المؤرخ بذكره محلى الكعبة، وضارب القبة...؟ قالوا: من بني مخزوم، قال: فمن أيهم ضجيع بسباسة، والمنحور عنه ألف ناقة، وزاد الركب، ومبيض البطحاء؟ قالوا: من بني مخزوم، قال: فمن أيهم المقنع في حكمه، وعدل الجميع في الرفادة، وأول من وضع أساس الكعبة؟ قالوا: من بني مخزوم، قال: فمن أيهم صاحب الأريكة، ومطعم الجزيرة، قالوا: من بني مخزوم، فقال رجل من بني أمية: أيها الأمير، لو كان لهم مع قديمهم حديث إسلام، فقال الحجاج، أوما علمت بأن منهم رداد الردة، وقاتل مسيلمة وآسر طليحة، والمدرك بالطائلة مع الفتوح العظام والأيادي الجسام"[4]

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم، المستقصى من أمثال العرب، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٤، ص٦١.

[2] ينظر: الثعالبي، أبو منصور، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: ابراهيم الصالح، (ط١)، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤، جـ١، ص٤٦٢-٤٦٣.

[3] الهمذاني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، الطبعة الثالثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، ص٣٦٠.

[4] ابن أبي الحديث، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، جـ١٨، ص٢٩٦-٢٩٧.

المبحث الثاني

الشاعر الحارث بن خالد المخزومي

اسمه

هو الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخـــزوم ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن مضر بن نزار بن معـــد بـــن عدنان.[1]

---

[1] ينظر اسمه وترجمته في:

-ابن الكلبي، جمهرة النسب، مصدر سابق، ص٨٧.

-ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص٩٩.

-ابن سلام، كتاب النسب، تحقيق: مريم محمد خير، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ص٢٠٩.

-الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٣١.

-الزبيري، نسب قريش، مصدر سابق، ص٣١٣.

-البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: احسان عباس، دار فرانتس شتانير، بيروت، ١٩٧٩م، جـــ٤، ص٣٥٤.

-المبرد، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدوحة، قطر، ١٩٨٤م، ص١١-١٢.

-الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـــ٣، ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

-ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٤٦.

-ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، جـــ٢، ص٤٣١.

-البكري، سمط اللآلئ، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، جـــ٢، ص٦٤٥.

-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق: محب الدين العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، جـــ١١، ص٤١٦، وتهذيب تاريخ دمشق، تحقيق: عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، جـــ٣، ص٤٤٠.

-المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق: محمد الدليمي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٣٨.

-الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: شكري فيصل، (د.ط.)، دار فرانتس شتانير، بيروت، ١٩٩١م، جـــ١١، ص٢٥٥.

-الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، جـــ٢، ص١١٧، وص٣٦٧.

وينتسب إلى بني المغيرة، أقوى أسر بن مخزوم، فيقال: الحارث المخزومي والشاعر المكي والقرشي.

ولادته ونشأته

لقد غفلت المصادر عن تحديد زمن ولادة الشاعر، الحارث بن خالد المخزومي، فليس في المصادر المتوفرة ما يشير إلى السنة التي ولد فيها الشاعر، أو ما يحدد مراحل حياته ونشأته الأولى، فقد اكتنف الضياع حياة الرجل، وهو بذلك كغيره من بعض شعراء وأعلام عصره.

ولم تسعف المصادر في العثور على أية إشارة إلى سنة ولادته، وفي ظل هذه الظروف يحاول الباحث التماس تقدير تاريخ تقريبي لولادة الشاعر، من خلال ما وصل من أخبار وروايات ذات دلالة تاريخية، وله ذكر فيها، ويحاول هذا البحث أن يستقرئ مثل هذه الروايات ويناقشها، وذلك لتحديد الفترة التي ولد فيها الشاعر، ولمعرفة أطوار نشأته الأولى وتحديدها تحديدا يطمئن له الباحث عن طريق الاستنباط والاستدلال العقلي.

وأول خبر يرد فيه ذكر الحارث بن خالد، ما أورده البلاذري (ت٢٧٩هـ) حيث قال: "ولي يزيد بن معاوية وعمال أبيه على الكوفة، ابن بشير، وعلى مكة عمرو بن سعيد الأشدق، ويقال: الحارث بن خالد"[١].

ويقول البلاذري في موضع آخر: "مات يزيد ابن تسع وثلاثين سنة، وكان على مكة الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام"[٢].

ولم يثبت للبحث أن الحارث ولي عملا لمعاوية*:وعلى الأرجح أن يكون والد الشاعر هو الذي ولي الإمارة لعهد معاوية- كما تذكر المصادر.

-البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، جـ١، ص٤٥٣-٤٥٤.

-بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار القلم، بيروت، ج٣، ص٢٣٧-٢٣٩.

-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، ص٥٨٢.

-يحيى الجبوري، شعر الحارث المخزومي، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م، المقدمة، ص٩.

[١] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، دار فرانتس شتاينر بقيسادن، بيروت، ١٩٧٩م، جـ٤، ص٢٩٩.

[٢] المصدر السابق، نفسه، جـ٤، ص٣٥٤.

* ولاة مكة لعهد معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ-٦٠هـ): (عتبة بن أبي سفيان، مروان بن الحكم، سعيد بن العاص، عمرو بن سعيد الأشدق، عبد الله بن خالد بن أسيد).

ومن خلال الخبرين السابقين، يتبين أن الحارث المخزومي ولي إمارة مكة لعهد يزيد بن معاوية (٦٠-٦٥هـ)، ويبدو أن ولايته لمكة في هذه الفترة كانت لأكثر من مرة، إذ ولي الإمارة سنة ستين هجرية، كما ولاه يزيد الإمارة سنة ثلاث وستين مرة أخرى. أما ولايته سنة ستين للهجرة فتتأكد من خلال ما أورده الطبري (ت ٣١٠هـ) في أحداث سنة ستين، حيث ورد عن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: "لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين ابن علي وتهيأ للمسير للعراق، أتيته، ودخلت عليه وهو بمكة، ....، فقلت: أما بعد، فإني أتيتك يابن عم لحاجة، أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني وإلا كففت عما أريد أن أقول، فقال: قل، فوالله ما أظنك بسيء الرأي، ولا للقبيح من الأمر والفعل، قال: قلت له: إنه بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك ....، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، قال: فانصرفت من عنده، ودخلت على الحارث بن خالد بن العاصي ابن هشام، والي مكة، وأخبرته ما دار بيني وبينه، فقال: نصحته ورب المروة الشهباء، أما ورب البنية إن الرأي لما رأيته قبله أو تركه، ثم قال:

رُبَّ مستنصحٍ يغشُّ ويُردي وظنين بالغيبِ يُلفى نصيحا[١]

إن هذا الخبر يدعم ويؤكد خبر البلاذري السابق في ولاية الحارث المخزومي على مكة سنة ستين للهجرة، ومن خلال هذه الروايات والأخبار يظهر للبحث أن الحارث ولي الإمارة على مكة في عهد يزيد بن معاوية، فقد تولى يزيد الخلافة سنة ستين للهجرة فعزل عتبة بن أبي سفيان عن مكة وعهد ولايتها للحارث المخزومي[٢].

ويبدو أن ولايته -في هذه السنة- لم تدم طويلا، حيث عزله يزيد في السنة نفسها، وولى الوليد بن عتبة، ومن ثم أعاد الحارث بن خالد في سنة ثلاث وستين فيما تذكر المصادر[٣].

وإذا اطمأن البحث إلى أن ولاية الحارث المخزومي على مكة كانت في سنة ستين للهجرة، فلا بد أن يكون الشاعر في هذه المرحلة قد تجاوز فترة الصبا والشباب وعرف واشتهر

• ينظر: احمد دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، (د.ط)، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ، ص٤.

[١] ينظر الخبر في: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج٦، ص٣٠٥-٣٠٦.

[٢] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق الكبير، مصدر سابق، ج٣، ص٤٤١، وينظر أيضا: الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: شكري فيصل، دار فرانتس شتانير، بيروت، ١٩٩١م، ج١١، ص٢٥٥.

[٣] المصدر السابق نفسه، ج١١، ص٤١٩.

وأصبح رجلا قادرا على الولاية وتصريف شؤون البلاد، إذ من غير المعقول أن يتولى إمارة مكة والصلاة بالناس شاب صغير، بل لا بد أن يكون ذا تجربة وخبرة ومعرفة بالأمور، وأغلب الظن أن يكون الشاعر حينئذ قد تجاوز العشرين من عمره، على الأقل، وهذا يعني أن ولادة الشاعر قبل عام أربعين للهجرة، وعلى الأرجح أن تكون ولادته في العقد الثالث من القرن الأول الهجري، وبهذا يكون الشاعر قد عمر أكثر من ستين عاما أو في حدود هذا العمر، ففي شعره يذكر الشيب والشباب، ويحن إلى أيام صباه وشبابه، وذلك في قصيدة له قالها بعد عام (٧٥هـ)، ومنها:

رَحَلَ الشَّبابُ وليتُهُ لم يَرحَلِ ... وغدا لطيّـةِ ذاهبٍ مُتحمِّلِ
وَغَـدا بلا ذمٍّ وغادر بَعْـدَهُ ... شيباً أقامَ مكـانَهُ بالمَنـزِلِ
لَيْتَ الشَّبابَ ثوى لَدَيْنا حِقبةً ... قبل المَشيبِ وَلَيْتَهُ لم يَعْجلِ[1]

أما نشأته وصباه فلا يعلم عنهما شيء، فلم تتعرض المصادر لمراحل حياته ونشأته الأولى، ويبدو أنه ولد ونشأ في مكة، وما حولها من مناطق، بين أهله وعشيرته الذين سكنوا مكة، بحيث عد الحارث من شعرائها المعدودين[2].

وأغلب الظن أنه نشأ في بيت كريم عرف بالدين والعلم والأدب، فوالده خالد بن العاصي، من رواة الحديث، له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: لم يسمع منه[3]، أما أخوه عكرمة بن خالد فمحدث جليل، من جلة التابعين ومن وجوه قريش وساداتها.

وعرف الحارث بعلم غزير بالشعر واللغة والأخبار، فقد روي أن أبا عمر بن العلاء "كان يرسل أخاه معاذا إلى الحارث بن خالد ومعه كتاب فيه مسائل يسأله عنها، كما كان يكتب لأخيه عكرمة بن خالد يسأله عن مسائل"[4].

ولم يجد الباحث في المصادر المتوفرة، ما يشفي الغليل لمعرفة المزيد من أخباره وأيامه الأولى، كما لم يعثر على أية إشارة حول علاقة الشاعر بأسرته أو قبيلته، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الاتجاه السياسي والفكري، حيث كان الحارث بن خالد مرواني الهوى مع أن بني مخزوم كانت زبيرية الهوى[5].

---

[1] المخزومي، الحارث، شعره ، مصدر سابق، ١١٣/٢٩.

[2] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٩.

[3] ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مصدر سابق، ج١، ص٤٣١.

[4] الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٣٠٩ - ٣١٠

[5] المصدر السابق، ذاته، ج٣، ص٣١٣.

- **أسرته:**

ينتسب الشاعر إلى أسرة بني المغيرة من مخزوم بن يقظة، أكبر أسر بني مخزوم مكانة وسيادة، جده العاصي بن هشام كان ينادم العاص بن سعيد بن أمية وكانت قريش تطلق عليهما أحمقي قريش[١].

وروي أن أبا لهب قامره على مال فقمره، حتى أتى على جميع ماله، فقامره على الاسترقاق، فقمره أبو لهب واسترقه، وظل عنده قينا إلى أن خرج المشركون إلى بدر في السنة الثانية للهجرة، فخرج معهم، وقتل في بدر، قتله عمر بن الخطاب وكان خاله[٢]، أما والده خالد ابن العاصي، فقد أسلم يوم فتح مكة، وأقام فيها، وتولى إمارة مكة، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن عزل عنها نافع بن الحارث الخزاعي، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ولي مكة أيضا وبقي على مكة إلى أن عزله علي بن أبي طالب وولى أبا قتادة الأنصاري الإمارة.[٣]

وعاصر والده (خالد بن العاصي)، أحداث الدولة الأموية، ويبدو أنه تولى الإمارة لعهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أيضا، فقد ذكر الطبري ذلك في أحداث سنة ثلاث وأربعين، يقول: "...وكان على مكة خالد بن العاصي بن هشام"[٤]. وبعد هذا التاريخ تنقطع أخبار خالد بن العاصي.

ومن خلال ما سبق يستخلص البحث أن خالد بن العاصي كان ذا أثر ودور كبير في عصر الخلافة الإسلامية، حيث ولي إمارة مكة لعهد عمر وعثمان، كما ولي مكة لمعاوية بن أبي سفيان، ويبدو أن وفاته كانت في نهاية عهد معاوية أو بعد ذلك بقليل، وكان خالد بن العاصي ذا علم وأدب ودين، فهو من رواة الحديث، ورد له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عنه ابنه عكرمة وذكر له حديثين: الأول أنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الخمر فقال: "لعن الله اليهود حرمت عليهم السموم فباعوها وأكلوا أثمانها" أما

---

[١] ابن حبيب، المحبر، مصدر سابق، ص١٧٥.

[٢] ينظر: ابن سعد، الطبقات، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٥، ص٤٤٥، والأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٨.

[٣] ينظر: العسقلاني، ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد علي البجاوي، (ط١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م. وينظر: البلاذري، انساب الأشراف، مصدر سابق، جـ٤، ص١٥٩.

[٤] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، جـ٥، ص ٢١١.

الحديث الثاني فهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا وقع الطاعون في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منها، وإذا وقع في أرض ولستم فيها فلا تدخلوها.[١]

والدته وأخوته .

أم الشاعر هي فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمها صخرة بنت أبي جهل ابن هشام، كانت عند أبي سعيد، ولا عقب لأبي سعيد بن الحارث إلا من ابنته فاطمة، تزوجها خالد بن العاصي فولدت له الحارث بن خالد الشاعر.[٢]

وذكرت المصادر أخوين للحارث بن خالد هما: عكرمة بن خالد وعبد الرحمن بن خالد وعكرمه من سادات قريش وأكابرها، محدث جليل، من جلة التابعين، روى الحديث عن والده، كما روى عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم[٣]، ويبدو أن عكرمة من أم أخرى غير فاطمة، فقد ذكر الزبيري[٤] أن أمه هي أم معبد بنت كليب بن حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل بن كعب، وتوفي عكرمة بعد سنة خمس عشرة للهجرة.

أما عبد الرحمن، فهو من التابعين أيضا، وكان شاعرا، وقد نسبت إليه بعض أشعار أخيه الحارث، وكان عبد الرحمن بأرض الروم مع الجند الفاتح في سنة (٤٤هـ)[٥].

زواجه وأبناؤه .

تذكر المصادر أن الحارث المخزومي تزوج من أكثر من امرأة، فقد ذكر الأصفهاني خبرا له مع أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص مفاده: أن أم عمران هذه كانت عند عبد الله بن مطيع وله منها عمران وعبد الله ولكنه توفي عنها، فتزوجها الحارث بن خالد وله منها ابنته فاطمة.[٦]

ولم يعثر على اسمها، إذ أوردت المصادر كنيتها ولم تذكر اسمها، ويبدو أن الحارث كان يحب زوجته حبا كبيرا، فقد ذكرها في شعره، ولها يقول:

بانَ الخَليطُ الذي كُنّا بِهِ نَثِقُ بانُوا وَقَلْبُك مَجْنُونٌ بِهِمْ عَلِقُ

---

[١] ابن حنبل، المسند، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، جـ٢، ص٤١٦، وجـ٥، ص٣٧٣.

[٢] الزبيري، نسب قريش، ص٣١٣، والأصفهاني، الأغاني، جـ٣، ص٣٠٨.

[٣] الفاسي، تقي الدين، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مصدر سابق، ج٤، ص ١١٧-١١٨.

[٤] نسب قريش، ص٣١٥.

[٥] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ١٩٧٧م، ص ٢٠٧.

[٦] ينظر: الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٢٧.

تُنيلُ نَزْارًا قَلِيْلاً وهي مُشفِقَةٌ كما يَخافُ مَسِيْسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ
يا أُمَّ عِمْرانَ ما زَالَتْ وما بَرِحَتْ بِيَ الصَّبابَةُ حتَّى شَفَّنِي الشَّفَقُ
لا أعتَقَ اللهُ رِقِّي مِنْ صَبَابَتِكُمْ ما ضَرَّني أنَّني صَبٌّ بِكُمْ قَلِقُ
...
يَتُوْقُ قلبي إليكم كَيْ يُلاقِيكُم كما يَتُوقُ إلى مَنْجَاتِهِ الغَرِقُ[1]

قال مصعب: أنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع، هذا الشعر ثم فطن، فأمسك، فقال له عمران: امض رحمك الله، وما بأس بذلك، رجل تزوج ابنة عمه، وكان لها كفءا كريما.[2]

وكان الحارث يذكرها في شعره صراحة، ويكني عنها أحيانا، فقد كنى عنها بظليمة في قوله:

أقْوَىٰ مِنْ آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ فالغَمْرَتَانِ فأوْحَشَ الخَطْمُ
فجَنُوبُ أثْبِرَةٍ فَمُلحِدُها فالسِّدرَتَانِ فَمَا حَوىٰ دَسْمُ
...
أظُلَيْمُ إنَّ مُصَابَكُم رَجُلاً أهَدىٰ السَّلامَ تحيةً ظُلْمُ[3]

أما زوجته الثانية فهي حميدة بنت النعمان بن بشير الشاعر المعروف، قال الزبير في خبره: "وكان الحارث قد خطب في مقدمة دمشق حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارية"[4] ويبدو أنه تزوجها وهو شيخ كبير السن عندما قدم وافدا على عبد الملك بن مروان في دمشق.

وكانت حميدة شاعرة من شواعر العرب، وكانت سليطة اللسان، كما كانت تهجو أزواجها، وقد هجت الحارث المخزومي بأبيات منها:

نَكَحْتُ المَدِينيَ إذْ جاءَني فيا لَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَهْ
كُهُوْلُ دِمَشْقَ وشُبَّانُهَا أحَبُّ إليَّ مِنْ الجَالِيَهْ
لهم ذفر كصُنَانِ التُّيو سِ أعيا على المِسْكِ والغَالِيَهْ[5]

ورد عليها الشاعر بأبيات يهجوها بها، يقول:

أسَنَا ضَوْءِ نَارٍ ضَمْرَةٍ بالقَفْـ ـرَةِ أبْصَرَتَ أمْ سَنَا ضَوْءِ بَرْقِ

---

[1] شعره، ص٩٣-٩٤.

[2] الزبيري، نسب قريش، ص٣١٣.

[3] شعره، ص١٢٠-١٢٤.

[4] نسب قريش، مصدر سابق، ص٣١٣.

[5] ينظر: عمر كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٩٨-٢٩٩.

قَاطِنَاتُ الحَجونِ أَشْهَى إلى قَلْـ ـبِي مِـنْ سَاكِنَاتِ دُوْرِ دِمَشقِ
يَتَضَوَّعْنَ لـو تَضَمَّخْنَ بالمِسْـ ـكِ صُنَاناً كـأنَّـهُ رِيْحُ مَرْقِ[1]

ثم طلقها، فتزوجها روح بن زنباع، ولهذا الأخير معها مساجلات شعرية وهجاء كثير، فهجرها وخلف عليها الفيض بن الحكم الثقفي، فكان يسئ معاملتها، وكان روح بن زنباع قد سأل الله أن يسوق إليها فتى يسكر ويقيء في حجرها، فكانت تقول: "أجيبت في دعوة روح بن زنباع"[2] وتوفيت حميدة في أواخر خلافة عبد الملك بن مروان.

أما أبناء الشاعر فجميعهم من زوجته أم عبد الملك بنت عبد الله، ولا يعرف اسمها وهم: عبد الرحمن، وعبد الملك وفاطمة بنت الحارث، ولعبد الرحمن ابنه هي: حفصة بنت عبد الرحمن بن الحارث، تزوجها صالح بن علي، أما عبد الملك فله ابنة أيضا وهي عاتكة بنت عبد الملك تزوجها عبد الله بن حسن بن علي، فولدت له أدريس الذي صار بأرض المغرب.[3]

وبعد، فهذه أهم الأخبار والمعلومات التي أمكن استخلاصها مما ذكرته المصادر حول الشاعر وأسرته، وهي وإن كانت شحيحة، إلا أنها تعطي صورة عن الشاعر وأسرته بشكل علم، وتبرز جانبا من جوانب حياته.

ملامح شخصيته

لم يجد البحث -من المصادر التي اطلع عليها- شيئا كثيرا عن صفات الشاعر الخلقية أو هيئته، ومعظم الأخبار حول هذا الجانب تشير إلى أنه من وجوه قريش، الأشراف الأجواد، ومن رجال مكة المرموقين كان شاعرا مذكورا، وعرف الحارث بعلم غزير بالشعر واللغة والأخبار ومن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء -كما سبق- كان يرسل أخاه معاذا إلى الحارث المخزومي في مكة يسأله عن مسائل.[4]

ويمكن أن يستخلص بعض السمات والخصال الحميدة التي كان يتصف بها الشاعر، من خلال بعض أشعاره، ومن هذه الخصال: العفة والوفاء والطهارة، يقول حول ذلك:

لـولا الـذي حُمِّلْتُ مِنْ حُبِّكُمْ لكـان في إظهارِهِ مَخْرَجِ

---

[1] شعره، ص ١٦٢-١٦٣.

[2] عمر كحالة، أعلام النساء، مرجع سابق، جـ١، ص٢٥٩ وما بعدها.

[3] ينظر في ذلك: الزبيري، نسب قريش، مصدر سابق، ص٣١٥.

[4] ابن دريد، مصدر سابق، ص٩٨، وينظر أيضا: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣٠٩-٣١٠.

أو مَذهَبٌ في الأرضِ ذو فسْحَةٍ أجَلْ ومَنْ حَجَّتْ له مَذْحِجُ[1]

وعلى الرغم من غزله بعائشة بنت طلحة، إلا أن غزله كان تظرفا وغزلا عفيفا، فقد رفض الزواج منها، عندما توفي عنها زوجها مصعب بن الزبير، وكان الناس قد توهموا حبه لها والكلف بها، فقال: "لا والله لا أفعل لأني أكره أن يصحح الناس ما توهموه، وأن يظن أني كنت معتقدا لما كنت أقول فيها"[2]

وكان الحارث دينا، عفيفا متصونا،[3] إلا أنه كثيرا ما كان ينسب بعائشة ويذكرها في شعره تظرفا، فهو شاعر غزل يتبع الحسن والجمال، ولكنه كان يتنزه عن الفواحش، فأكثر غزله بعائشة يتسم بالرقة والعذوبة لا تشوبه رغبة عابرة. يقول الشاعر:

إذا اجْتَمَعْنَا هَجَرْنَا كُلَّ فاحِشَةٍ عِنْدَ اللِّقاءِ وَذاكُمْ مَجْلِسٌ لَبِنُ[4]

كما كان الشاعر برا بأصدقائه، يحفظ أسرارهم في حضورهم وغيابهم، يقول:

عَلَيَّ لإخواني رَقِيبٌ من الصَّفا تَبِيْدُ اللَّيالي وهو لَيْسَ يَبِيْدُ
يُذكِرُنيهِم في مَغِيبٍ وَمَشْهَدٍ فسَيَّانَ عِندي غَيَّبٌ وشُهُودُ[5]

ويقول أيضا، في حفظ السر وكتمانه، وفي حفظ الود بين الأصدقاء:

لا أَخُوْنُ الصَّديقَ في السِّرِ حتَّى يُنْقَلُ البَحْرُ بالغَرابيلِ نَقْلا
أو تَمُرَّ الجِبَالُ مَرَّ سَحَابٍ مُرْتَقٍ قد وَعَىٰ من الماءِ ثقلا[6]

ومع ذلك فقد كان الحارث بن خالد، مقبلا على الدنيا محبا لها يسعى للجاه والسلطان، لأن فيه تحقيقا لرغباته وميوله، فقد سأله عبد الملك بن مروان يوما: " أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي، وعرض جاهي"[7]

---

[1] شعره، ص٦٣.

[2] الخالديان، أبو بكر وأبو عثمان، المختار من شعر بشار، تحقيق: أبو طاهر اسماعيل، ، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٩٧. وينظر: الحصري، أبو اسحاق، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، جـ١، ص٢٨٨.

[3] المصدر السابق، نفسه، ص٩٧.

[4] شعره، ص١٤٣.

[5] شعره، ص٦٨.

[6] شعره، ص١٠٨.

[7] التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، (ط١)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، جـ٤، ص١٤٧.

ويظهر للباحث أن الشاعر عاش بمكة متأثرا بمظاهر الحضارة الجديدة في عصره من ترف وثراء وفراغ، مع أقرانه من شعراء الغزل الحضري.

إمارته على مكة

كان الحارث المخزومي من رجال مكة المرموقين، ذوي الشأن والمنزلة في قريش، عاصر أحداث الدولة الأموية وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش.[1] تولى إمارة مكة علىفترات في ولاية يزيد بن معاوية، كما ولاه عبد الملك الإمارة أيضا. أما ولايته على مكة لعهد يزيد (٦٠-٦٥هـ) فقد أورد الطبري خبر ولايته ضمن أحداث سنة ستين للهجرة -مر ذكرها-* ويستدل منها أن الحارث تولى الإمارة في عهد يزيد، إذ كان على مكة الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، فعزله يزيد، وولى الحارث بن خالد[2].

وفي سنة ثلاث وستين للهجرة، يرد ذكر الحارث بن خالد واليا على مكة، أيام عبد الله ابن الزبير، ويبدو أن يزيد عهد إليه الولاية، بعد أن عزل واليه عليها -آنذاك- عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وفي هذه السنة حج يحيى بن حكيم بن صفوان بالناس، وكان أهل مكة قد ارتضوا به واستعملوه ليصلي بهم بدلا من الحارث بن خالد.[3]

وربما يكون يحيى بن حكيم هذا على صلة مع ابن الزبير، فقد كان يهادنه ويسانده فكتب الحارث بن خالد -عامل يزيد- كتابا يذكر له مهادنة ابن حكيم لابن الزبير، فعزله يزيد وأقر الحارث على إمارة مكة، ولكن ولايته لم تتم، فقد منعه ابن الزبير من الصلاة بالناس، وكان شأن عبد الله بن الزبير قد قوي واشتد، وانحاز إليه كثير من أهل مكة، ولم يدع لنفسه بعد، فاعتزل الحارث المخزومي داره وبقي يصلي فيها بمواليه وبمن أطاعه من أهل مكة.[4]

وعندما دعا ابن الزبير إلى نفسه، وانحاز إليه بنو مخزوم، كان الحارث يهادن ابن الزبير، وربما يكون قد انحاز إليه، ويستدل على ذلك من خلال ما ورد في كتاب الحارث بن خالد إلى عقبة بن مسلم المري الذي أرسله يزيد على رأس جيش كبير لقتال عبد الله بن الزبير

---

[1] جرجي، زيدان، تاريخ الأدب العربي، دار الهلال، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٢٨٦.

* ينظر نص الخبر في ص٢٥-٢٦، من هذا البحث.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سابق، جـ١١، ص٤١٩.

[3] ينظر: المصدر السابق، ذاته، جـ١١، ص٤١٦.

[4] نفسه، ج١١، ص ١٢.

في مكة، وجاء فيه: "أصلح الله الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فانحزت"[1]، فرد عليه عقبة بن مسلم بكتاب يتوعده ويهدده فيه: "أما بعد، فقد وصلني كتابك تذكر فيه أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت، وأيم الله ما أبالي على أي جنبيك سقطت، إلا أن شرهما إليك أحبهما إلي، وأيم الله -لئن بقيت لك- لأنزلنك حيث أنزلت نفسك والسلام".[2]

ولكن عقبة بن مسلم لم يبق له، فانتهى إلى المشلل، وتوفي قبل أن يصل مكة.

مما سبق يتبين أن الحارث بن خالد كان أحد ولاة مكة ليزيد ابن معاوية.* ويظهر أنه ولي الإمارة في سنة ستين للهجرة، ولكنه لم يمكث طويلا، فقد عزله يزيد في العام نفسه، ولكنه عاد فولاه مكة أيام ابن الزبير سنة ثلاث وستين هجرية.

وكان الحارث في هذه المدة، قد انحاز لابن الزبير -كما مر- كما كان يكن الاحترام والتقدير لابن الزبير، ويقر بشجاعته، فقد قال، عندما أرسل إليه الحجاج أن يحترز من هرب ابن الزبير -متعجبا: "ابن الزبير وابن صفية وابن اسماء لو كان البحر بينه وبينه لخاضه إليه".[3]

وفي سنة أربع وستين للهجرة، توفي يزيد بن معاوية، فدعا ابن الزبير لنفسه وبايعه أهل الحجاز، وظل الحارث المخزومي معتزلا في داره، إلى أن تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، فأرسل جيشا كبيرا بقيادة الحجاج بن يوسف إلى مكة للقضاء على ثورة ابن الزبير وتمكن الحجاج من قتل ابن الزبير والقضاء على ثورته، وبعد مقتل ابن الزبير دخلت الحجاز في طاعة الأمويين.

وفي سنة خمس وسبعين للهجرة، وفد الحارث المخزومي على عبد الملك في دين أصابه ويقال: بل حج عبد الملك ولما انصرف، خرج الحارث معه، فقدم عليه وأقام ببابه شهرا لا يصله، فانصرف من عنده عاتبا غاضبا،[4] وقال في ذلك الأبيات التالية:

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: محمد الإسكندري، (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، جـ١، ص٢٣١.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، مصدر سابق، جـ١، ص٢٣١.

* ولاة مكة لعهد يزيد بن معاوية، (٦٠-٦٤هـ): "عمرو بن سعيد، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، عثمان بن محمد بن أبي سفيان، الحارث بن خالد المخزومي، عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، يحيى بن حكيم".
ينظر: احمد دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، مرجع سابق، ص٤.

[3] الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مصدر سابق، ج٤، ص٩.

[4] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣١٤-٣١٥.

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْني عَلَيْهَا غِشَاوةٌ ... فلمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أُلُومُهَا

وَمَا بِي وإنْ أقْصَيْتَني مِنْ ضَرَاعَةٍ ... ولا افْتَقَرت نَفْسِي إلى مَنْ يَضِيمُهَا

عَطَفْتُ عليكَ النَّفْسَ حتَّى كأنَّما ... بكفَّيكَ بُؤسِي أو لديكَ نَعيمُهَا[1]

فبلغ هذا الشعر عبد الملك بن مروان، وأرسل في طلبه، فقال له: حار: هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة، أو في قصدي دناءة؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، فقال: فما حملك على ما قلت، فقال: جفوة ظهرت لي، كنت حقيقا بغير هذا، فخيره بين قضاء دينه، أو مئة ألف دينار، أو ولاية مكة سنة، فولاه اياها"[2]

وفي هذه السنة حجت عائشة بنت طلحة، وكان الحارث يحبها ويتغزل فيها، وكانت تطوف، فأدركها وقت الصلاة قبل أن تتم طوافها، فأرسلت إلى الحارث أن أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة، حتى فرغت من طوافها، وأنكر عليه أهل الموسم هذا العمل، وضج الناس فبلغ خبره عبد الملك بن مروان، فكتب إليه يؤنبه، وعزله عن مكة، وولى مكانه عبد الرحمن بن خالد بن أسيد، فقال الحارث: "والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت"[3].

وهكذا خسر الحارث الولاية، كما خسر لقاء عائشة أيضا، وكان قد أرسل إليها أن أوعدينا مجلسا نتحدث فيه، فقالت له: "في غد أفعل"[4]، ولكنها رحلت من ليلتها فأرسل إليها يعاتبها في شعر له، يقول:

ما ضَرَّكُمْ لو قُلْتُمْ سَدَدَا ... إنَّ المنيَّةَ عاجِلٌ غَدُهَا

وَلَهَا عَلينَا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ ... لَسْنَا عَلَى الأيام نَجْحَدُهَا

لو تَمَّتَ اسْبَابَ نِعْمَتِها ... تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنا يَدُهَا

إنِّي وأيَّاهَا كَمُفْتَتِنٍ ... بالنَّارِ تُحْرِقُهُ وَيَعْبُدُهَا[5]

وفي رواية أخرى ذكر الأصفهاني خبرا مفاده أن الحارث بن خالد كان على مكة في سنة ثلاث وثمانين، وفيها: "لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولي على الحج رجلا، وكان الحارث المخزومي عامله على مكة فخرج أبان بن عثمان من المدينة -

---

[1] شعره، ص ١٣٧-١٣٩.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، ج١ ، ص ٣٠٣.

[3] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٣٥.

[4] المرجع السابق، نفسه، جـ٣، ص٣٢١.

[5] شعره، ص٧٣-٧٤.

وهو عامله عليها- وغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس فتنازع مع الحارث، وقال الحارث: لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم وتغالبا، فغلبه أبان بن عثمان بنسبه ومال إليه الناس فحج بهم"[1]. فقال الحارث: يهجو أبانا، ويعرض بالحجاج:

فَإنْ تَنْجُ مِنْهَا يا أَبَانُ مُسَلمًّا ... فقد أَفْلَتَ الحَجَّاجَ خَيْلُ شَبِيبِ

وَكَادَ غَدَاةَ الدَّيرِ يُنفِذُ حِضْنَهُ ... غُلامٌ بِطَعْنِ القِرْنِ جِدٌّ طَبيْبِ

وأَنْسَوْهُ وَصْفَ الدَّيرِ لمَّا رَآهُمُ ... وَحسَّنَ خَوْفُ المُوتِ كُلَّ مَعِيبِ[2]

إن الرواية السابقة تبين أن الحارث كان على ولاية مكة أيام ثورة ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين، وإذا صح الخبر السابق، فإن الحارث يكون قد ولي إمارة مكة في هذه الفترة أيضا، وعلى الرغم من عدم وجود روايات تؤكد هذه الرواية في كتب الأدب والتاريخ، إلا أن هناك بعض القرائن حول ذلك، الأمر الذي يرجح صحة هذه الرواية، فقد كان أبان بن عثمان على المدينة في سنة ثلاث وثمانين، كما كانت المعارك دائرة بين الحجاج وابن الأشعث في العراق في هذه السنة، كما أن في شعر الحارث السابق إشارة إلى ذلك حيث هجا أبانا وعرض بالحجاج، كما فيه ذكر لوقعة دير الجماجم التي تم فيها القضاء على ثورة ابن الأشعث*.

وكان الحجاج قد عاتب الحارث نتيجة لذكره وتعريضه به عندما هجا أبانا فقد لقيه الحجاج بعد ذلك -أي بعد عام ثلاث وثمانين- وقال له: "مالي ولك يا حارث؟ أينازعك أبان عملا فتذكرني، ...، فقال الحارث: المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد"[3].

مما سبق يظهر أن الحارث، كان أحد ولاة مكة* لعبد الملك بن مروان ولا يوجد ذكر للحارث بعد هذه الفترة، ضمن ولاة مكة، كما أنه لا يوجد له أثر واضح أو أحداث سياسية في خلافة سليمان بن عبد الملك.

---

[1] الأغاني، السابق نفسه، ج٣، ص٣٢٤-٣٢٥.

[2] شعره، ص٦١-٦٢.

* دير الجماجم: موقع في الكوفة، فيه كانت الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث سنة ثلاث وثمانين، وفي تسميته بهذا الاسم أقوال.

ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٥٠٣.

[3] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٥.

* ولاة مكة لعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٥هـ): "الحجاج بن يوسف، ومسلمة بن عبد الملك بن مروان، والحارث بن خالد المخزومي، وخالد بن عبد الله القسري، ونافع بن علقمة الكناني، ويحيى بن الحكم بن أبي العيص".

ينظر: أحمد دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، مرجع سابق، ص٥.

وفاته:

لم يعثر الباحث على نص صريح يحدد السنة التي توفي فيها الشاعر -فيما اطلع عليه من مصادر- كما اختلف الباحثون في تقدير سنة وفاة الشاعر.

وإزاء هذا الأمر فإن من الصعوبة بمكان الجزم بتحديد سنة وفاة الشاعر، وسيحاول الباحث التماس تقدير زمن وفاته، مرجحا أقرب الآراء في ذلك، ومستندا إلى الروايات والنصوص ذات الصلة بذلك، فهناك رواية يرد فيها ذكر الحارث بن خالد، في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)، وتتعلق بمناضلة الحارث لرجل من بني عبس، وجاء فيها عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي، قال: "ناضل سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله العبسيين، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ، ورمى العبسي فأصاب، فقال:

أنا نَضَّلْتُ الحارثَ بنَ خَالِدِ

ثم رمى العبسي فأخطأ، ورمى الحارث فأصاب، فقال الحارث:

حَسْبَتَ نَضْلُ الحارثِ بنِ خالدِ

ورميا فأخطأ العبسي، وأصاب الحارث، فقال الحارث:

مَشْيَكَ بين الزُّرْبِ والمَرابِدِ

ورميا فأخطأ العبسي، وأصاب الحارث بن خالد، فقال:

فإنَّكَ النَّاقِصُ غَيرُ الزَّائِدِ

فقال سليمان: أقسمت عليك يا حارث الا كففت عن الرمي والقول فكف"[1].

إن الرواية السابقة تظهر للبحث أن الحارث المخزومي عاش في خلافة سليمان بن عبد الملك، حيث كان يناضل العبسي بحضرة سليمان، وعلى الرغم من عدم وجود نصوص وروايات تساند وتدعم هذا الخبر، إلا أن الباحث يرجح صحته، ففي هذه الفترة أصبح الحارث بن خالد شيخا كبيرا، إذ نجد له شعرا يذم فيه الشيب، ويحن إلى الصبا والشباب، مما يدل على أنه عمر طويلا وأصبح شيخا في هذه الفترة[2].

كما أن رواة هذا الخبر من الرواة الموثوق بهم، والمشهود لهم بالأمانة والصدق، ومن هنا يظهر أن وفاة الشاعر من الأرجح أن تكون في أواخر خلافة سليمان بن عبد الملك، أي في

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٨-٣٣٩.

[2] ينظر شعره، ٢٩/ ص١١٣-١١٧.

حدود سنة مئة للهجرة، فلم يعثر البحث على أخبار للشاعر بعد هذا التاريخ، إذ تنقطع أخباره من المصادر بعد هذه الفترة، وقد قدر عمر فروخ وفاته في هذه الحدود مستندا على هذه الرواية[1].

وبهذا يكون الشاعر عاصر كثيرا من أحداث الدولة الأموية في القرن الأول الهجري.

---

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ج٥، ص٥٨٢.

خريطة تبين نسب الحارث بن خالد المخزومي.

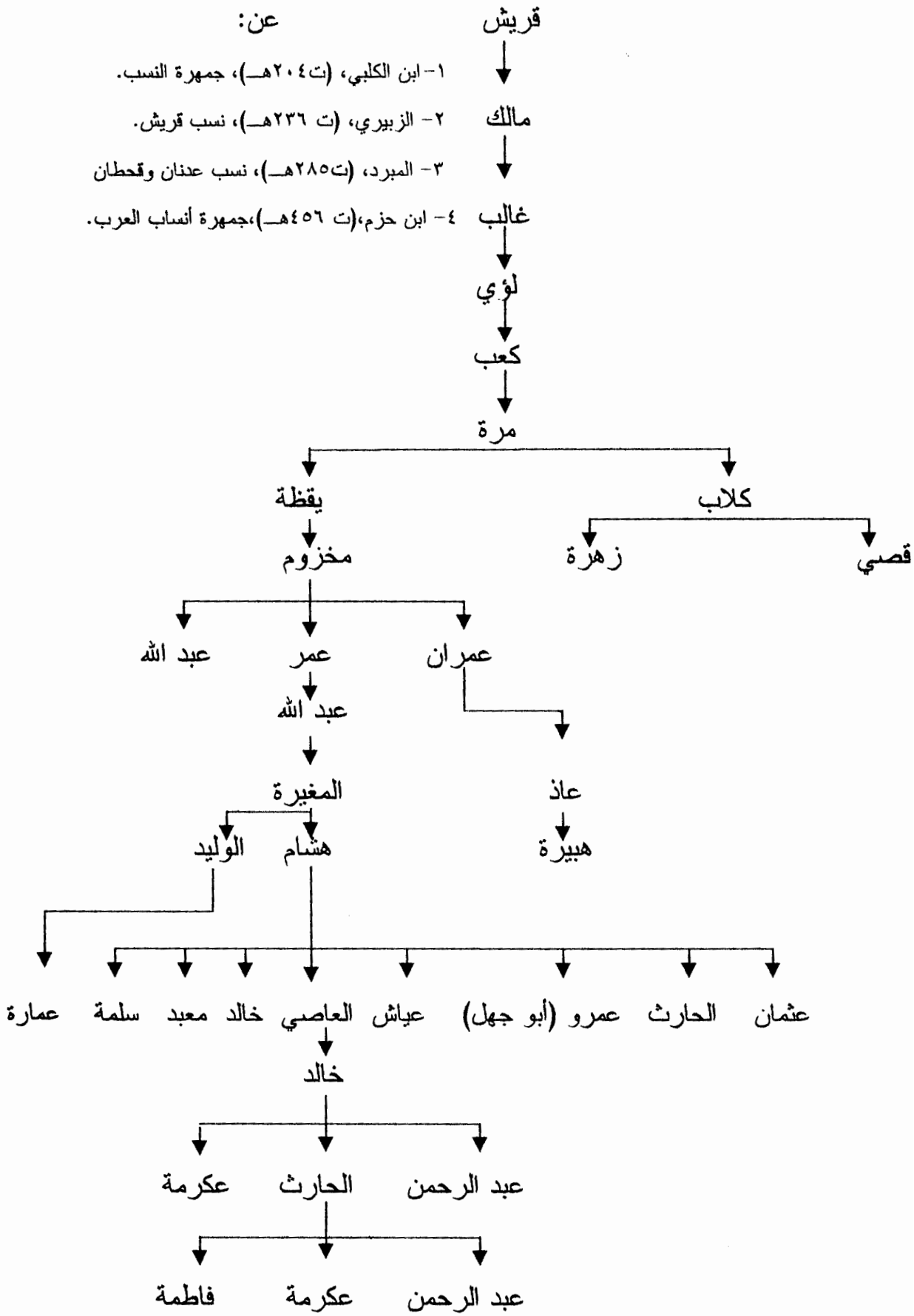

الفصل الثاني

شعره

المبحث الأول

شعر الحارث المخزومي في المصادر القديمة.

لم يرد نص صريح -فيما توافر من مصادر- يشير إلى ديوان الحارث بن خالد المخزومي، كما لم يعثر الباحث على أية إشارة أو ذكر لديوان مجموع يضم شعره في فهارس المخطوطات العربية، فالنديم مثلا لم يذكر للحارث بن خالد ديوانا شعريا ضمن دواوين الشعراء التي أوردها في كتابه.[1]

وازاء هذا الأمر، فإن شعر الحارث تناثر في المصادر القديمة، وفي بطون الكتب، حيث التفت القدماء إلى الشاعر، فذكروا أخباره، وأوردوا شعره في أماكن متفرقة من مؤلفاتهم، ولذلك فقد حظي الشاعر بذكر متميز في المصادر الأدبية وغير الأدبية، ككتب التاريخ والتراجم، وتشكل هذه المصادر الأصول الأساسية الأولى لدراسة الشاعر وشعره، ولهذا فإنه من الأهمية بمكان أن يتعرض هذا البحث إلى المصادر التي ذكرت أخباره وأشعاره، وبيان أهمية بعض هذه الأخبار للبحث، كونها تكشف عن جوانب متعددة تتعلق بهذا الشاعر، كمراحل حياته، ومكانته في عصره، وشاعريته، وقد أخذ البحث بتقسيم هذه المصادر إلى ثلاثة أقسام وذلك حسب موضوعات هذه المصادر وهي:

١) كتب التاريخ والأنساب. ٢) كتب اللغة والنحو. ٣) كتب الأدب والنقد.

وأخذ البحث -في عرضه للمصادر- بالتسلسل الزمني لوفاة المؤلف، مع ايراد بعض الأخبار، وذلك بحسب أهميتها للبحث.

١) كتب التاريخ والأنساب والتراجم.

تعد كتب التاريخ والأنساب من المصادر المهمة للشعر العربي، إذ احتوت هذه الكتب على كثير من الشعر الذي كان يأتي في سياق الحوادث والأخبار، كشواهد وأدلة تؤيد وتدعم مثل هذه الأخبار.

ومن أوائل المؤلفين الذين ذكروا الشاعر وأوردوا بعض أخباره: ابن خياط (ت٢٤٠/٨٥٤م) في **تاريخه**. فقد ذكره ضمن أحداث سنة (٦٠هـ)، وأورد خبر إمارته على مكة في هذه السنة، وهذا الخبر من أقدم الأخبار حول ولاية الشاعر. وكذلك عند الأزرقي

---

[1] النديم، الفهرست، تحقيق: ابراهيم رمضان، (ط١)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤، ص١٨٣.

(ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) في: **أخبار مكة وما جاء فيها من الأثر**. وقد انفرد برواية بيت من شعره، لم يرد في غيره من المصادر، وهو:

إلى طَرَفِ الجِمارِ وَمَا يَلِيْها إلى ذَاتِ القَتَادةِ من ثَبِيرِ

ويبدو أن هذا البيت جزء من قصيدة لم تصل إلينا، ولم نجد ما يتمم هذا البيت في غير هذا المصدر، إذ إن المعنى لا يستقيم إلا بأبيات أخرى ترتبط مع هذا البيت.

وعند **ابن قتيبة** (٢٧٦هـ/٨٨٩م) في كتابه: **عيون الأخبار**، ورد خبر الشاعر مع مسلم ابن عقبة المري، وانفرد ابن قتيبة في إيراد الرسائل المتبادلة بين الشاعر ومسلم.

وعند الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م) في: **تاريخ الرسل والملوك**، ورد له بيت من الشعر في خبر طويل ضمن أحداث سنة (٦٠هـ). وأخذ المسعودي (٣٤٦هـ/٩٥٧م) في: مروج الذهب هذا الخبر، إذ أورده بنصه. وترجم له **ابن عساكر (٥٧١هـ/١١٧٥م) في: تاريخ دمشق**، وأورد له مجموعة من الأبيات والمقطوعات الشعرية من شعره، وانفرد ابن عساكر بإيراد كنية الشاعر، حيث كناه (أبا وابصة)، ولم يثبت أن الشاعر كان يكنى بهذه الكنية، وربما اعتمد ابن عساكر على بيت من الشعر، قيل في هجاء الحارث، وذلك عندما تعرض الشاعر للحجاج بشعره، فرد عليه أحد رجال الحجاج بقوله:

أبا وابص ركب علاتك والتمس مكاسبها إن اللئيم كسوب
ولا تذكر الحجاج إلا بصالح فقد عشت من معروفه بذنوب
ولست بوال ما حييت إمارة لمستخلف إلا عليك رقيب[1]

وقد **اقتفى الصفدي (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) في: الوافي بالوفيات**. أثر ابن عساكر وأخذ عنه هذه الكنية، وليس لدى البحث ما يثبت صحة هذه الكنية. واكتفى الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٠٩٤م) في: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، على ذكر ولاية الشاعر على مكة لعهد عبد الملك بن مروان.

وأما كتب الأنساب، فقد اقتصرت على نسب الشاعر وأسرته، وأوردت بعض هذه الكتب أبياتا من شعره، على تباين فيما بينها من حيث: الايجاز والتفصيل، ومن أهمها: **القاسم بن سلام** (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) في: كتاب النسب، وابن الكلبي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) في جمهرة النسب.

---

[1] ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمروي، طبعة دار الفكر، ١٩٩٥، جـ١١، ص ص ٤١٥-٤٢١.

وكذلك الزبيري (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) في نسب قريش. والبلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م) في: أنساب الأشراف، وقد أنفرد البلاذري في إيراد مهاجاة الحارث والفضل بن عباس*.

وله ذكر عند ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) في: جمهرة أنساب العرب. وعند **المقدسي** (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) في: التبين في أنساب القرشيين. فهذه أهم كتب التاريخ والأنساب التي تعرضت للشاعر، وذكرت نسبه وبعض شعره، وتختلف هذه المصادر فيما بينها من حيث الأهمية والفائدة، حيث إن هذه المصادر كان يعتمد بعضها على بعض فاللاحق يأخذ من السابق، ولذلك وردت بعض الأخبار بنصها في أكثر من مصدر.

أما أهمية هذه الأصول فتكمن في أنها أمدت البحث بصورة واضحة المعالم حول نسب الشاعر وأسرته، ومكانته بين أفراد قبيلته في عصره، كما احتفظت هذه الأصول بطائفة ليست قليلة من شعره، إذ كانت مصدرا مهما في توثيق شعر الشاعر.

٢) كتب اللغة والنحو:

وتمثل هذه المصادر مصدرا مهما من مصادر الشعر بعامة، وشعر الحارث بخاصة فقد أورد علماء النحو واللغة كثيراً من شعره، في جملة القضايا النحوية واللغوية التي كانوا يناقشونها، فالحارث من الشعراء الفصحاء الذين يستشهد بشعرهم، وفي شعره ثروة لغوية وأدبية وجغرافية كبيرة، كما كان ذا معرفة ودراية باللغة والأخبار، وقد ورد سابقا أن أبا عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/٧٧٠م) -وهو من أكبر علماء اللغة والنحو- كان يرسل أخاه معاذا إلى الشاعر يسأله عن مسائل.[1]

ومن أهم هذه المصادر، كتاب: مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ/٨٣٥م)، وكتاب: **المعاني الكبير في حروف المعاني لابن قتيبة** (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وانفرد المبرد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) في كتابه: المقتضب، برواية بيتين من الشعر، نسبهما للحارث المخزومي؛ ورد في باب: لام المدعو المستغاث به ولام المدعو إليه: "أما ما جاء في فتح لام المستغاث به وكسر لام المدعو له فأكثر من أن يحصى، منه ما أذكره، قول الحارث بن خالد:

---

* الفضل بن عباس: هو الفضل بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، الملقب بالأخضر، أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وكان أول هاشمي يمدح أموياً.

[1] الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣١٠.

يا للرجال ليوم الأربعـــاء، أمـــا ينفك يبعث لي بعد النهى طربا

لكـــن قد شاقه أن قيل: ذا رجب يـــا ليت عـــدة حول كله رجبا"[1]

ولم نجد ما يثبت صحة نسبة هذين البيتين للشاعر، فهذان البيتان غـير موجوديـن فـي مجموع شعره، كما أن هذا الشعر لا يشبه شعر الحارث، ولا يعلم من أين أتى بهما المبرد فـــي نسبتهما للحارث، ويرجح البحث نسبة هذه الأبيات إلى عبد الله بن مسلم الهذلي وقـــد ورد مـــا يعزز ذلك في معجم البلدان، قال: "لما ولي الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بـــن مســـلم بـــن جندب أن يؤم بالناس في مسجد الأحزاب، فقال له: أصلح الله الأمير، لم منعتني مقـــامي ومقـــام آبائي وأجدادي قبل؟ قال: ما منعك إلا يوم الأربعاء، ثم ذكر القصيدة".[2]

ومن المصادر الأخرى: الاشتقاق وجمهرة اللغة -لابن دريد (٣٢١هـــ/ ٩٣٣م)، وقـد أورد خبر ولايته على مكة، ومكانته في قومه، واستشهد بأبيات من شعره. وكذلك في: مجـــالس ثعلب- لأبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ/٩٠٦م)، حيث أورد له مقطوعتين من شعره في مجالسه. وكذلك في كتاب: الإيضاح -لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) فقد استشهد بشـــعره أثنـــاء حديثه عن الفاء الداخلة على خبر المبتدأ بعد أما، وقد أورد له قوله:

فأما القتال لا قتال لديكمو ولكن سيرا في عراض المواكب

وهو من الشواهد النحوية، استشهد به كثير من علماء النحو.[3]

وكذلك في كتاب: شرح أبيات سيبويه -للسيرافي (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، إذ استشـــهد لـــه ببيت من الشعر، شاهدا على التعريف والتنكير، يقول الشاعر:

يا دَارُ حَسَّرها البِلَى تَحْسِيرا وَسَفتْ عليها الرِّيحُ بَعدَكِ مورا

دَقَّ التُّرابُ نَجِيلَـــهُ فَـــمُخَيِّمٌ بِعِـــراصِهَـــا وَمُسَيَّـــرٌ تَسْيِيـــرا

فالشاعر نادى دارا بعينها، فصارت معرفة، وليست بنكرة لما قصد قصدها؛ لأنـــه أتـــى بعدها بالفعل حسرها.[4]

---

[1] ينظر: المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، جـ٤، ص٢٥٦.

[2] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج١، ص١٣٧.

[3] حنا جميل حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، (ط١)، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤، ص٤٨، رقم الشاهد (٣٧٢).

[4] ينظر: السيرافي، أبو محمد يوسف، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٧٦م، جـ١، ص٥٢٣.

وأما المعاجم فقد حفلت بشعره، ومن أهمها: تاج اللغة وصحاح العربية -للجوهري (ت٣٩٨/١٠٠٧م)، حيث استشهد الجوهري بما يقارب من ثلاثة عشر بيتا في مواضع متفرقة. وكذلك في: معجم ما استعجم من اسماء الأماكن والبلاد- للبكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، استشهد بأكثر من عشرة أبيات على اسماء الأماكن التي يذكرها. وفي معجم البلدان -لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ورد له ثلاثة عشر بيتا.

وفي **معجم لسان العرب** -لابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)، ورد له ستة عشر بيتا من شعره في مواضع متفرقة، وأورد البغدادي (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، في **خزانة الأدب ولب لباب العرب** ترجمة مختصرة للحارث بن خالد، مع إيراد بعض شعره كشواهد لغوية.

وتشكل هذه المصادر مجموعة أخرى تضاف إلى المصادر التاريخية التي سبق ذكرها واحتوت شعر الحارث وحفظته من الضياع.

٣) كتب الأدب والنقد.

نعرض هنا أهم الكتب التي أوردت أخبار الشاعر، وذكرت بعض المقطوعات الشعرية له، ومن أهم الكتب وأوسعها احتفالا بالشاعر، كتاب: الأغاني -للأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)[1] إذ يعد هذا الكتاب من أكبر المصادر الأدبية، وأوسعها رواية لشعر الحارث المخزومي وأخباره، فقد اختار المؤلف مائة من الأصوات المختارة، وترجم لأكثر من مئة شاعر وشاعرة في مختلف العصور، وكان الحارث المخزومي من أولئك الشعراء الذين نالوا اهتمام المؤلف وعنايته، وربما يعود السبب في هذا الاهتمام إلى أن الشاعر يعد من شعراء الغزل المعدودين، والذين يرتبط شعرهم بالغناء ارتباطا كبيرا. ولهذا فقد ترجم له ترجمة طويلة بلغت ما يقرب من ثلاثين صفحة.

ومن هذه الترجمة يمكن التعرف إلى حياة الشاعر ومنزلته وشعره، فقد حوت هذه الترجمة معظم أخباره، وكثيرا من شعره الغنائي، وقد بلغ عدد أبيات شعره في هذا الكتاب وحده، ما يزيد عن مئة بيت، معظمها من الغزل، ويعود الفضل إلى هذا الكتاب في حفظ شعر الحارث، وصونه من الضياع، وذلك بعد أن فقد كثير من شعره، وتكمن أهمية هذه الترجمة في شمولها وتفاصيل الأخبار فيها، كما كانت تشكل مصدرا مهما لما جاء بعدها من مصنفات، حيث كانت هذه المصنفات تأخذ عن هذه الترجمة، ولذلك فإن هذا الكتاب يعد في رأس المصادر والكتب التي اعتمد عليها البحث.

---

[1] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٣٠٨- ٣٣٨.

ومن المصنفات الأخرى، كتاب: **الزهرة-للأصفهاني** (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م)، وقد أورد لـه بعض المقطوعات الشعرية مما لم ترد في الأغاني، ومنها مقطوعة يقول فيها:

علي لإخواني رقيب من الصفا تبيد الليالي وهو ليس يبيد

يـذكرنيهـم في مغيب ومشهد فسيان عندي غيب وشهود[1]

ومن المصادر الأخرى، العقد الفريد -لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الـذي أورد خبر وفادة الشاعر على الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق، وما قاله من شعر فـي عتـاب الخليفة عبد الملك. وكذلك في كتاب: الأمالي -للقالي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، وفيه خبر المفاضلـة بين أنصارعمر بن أبي ربيعة وأنصار الشاعر الحارث في شعر لهما،ويبدو أن القالي قد اسـتقى هذا الخبر من الأغاني، إذ ورد بنصّه، وكذلك من المصادر التي تعرضت للشاعر: **المصون فـي الأدب- للعسكري** (ت٣٨٢هـ/٩٩٢م)، وترجم له **المرزباني-** (٣٨٤هـ/٩٩٤م) فـي: **معجـم الشعراء**، وفي: **البصائر والذخائر- للتوحيدي** (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، **والمختار من شعر بشار- للخالديين** (٣٨٠هـ/٩٩٠م-٣٩٠هـ/٩٩٩م)، ورد له بعض الشعر والأخبار المتفرقة معظمـها ذكر في الأغاني.

ومن المصادر الأخرى: **شرح ديوان الحماسـة- للمرزوقـي** (ت٤٢١هـ/١٠٣١م)، وكتـاب: **أمـالي المرتضـى (غـرر الفوائـد ودرر القلائـد)- للشـريف المرتضـى** (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، حيث انفرد برواية عن أبي عكرمة الضبي حول أحسن بيـت قيـل فـي صفة امرأة عجزاء، وذكر بيتاً مفرداً للحارث في ذلك، قال: "قال لنا الأصمعي يوما: أحسن مـا قيل في صفة امرأة عجزاء خميصة، قول أبو وجزة السعدي:

أدماءُ في وضح يكاد إزارها يقوى ويُشبع ما أحبَّ إزارُها

فقال أبو عكرمة: ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي:

غرثانُ سِمطُ وشاحِها قلقٌ ريَّان من أردافها المرط"[2]

ولم يرد هذا البيت في غير المصدر المذكور.كما أورد الحصري (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) خبرا له في: **زهر الآداب وثمر الألباب- للحصري.**

---

[1] الأصفهاني، الزهرة، تحقيق: ابراهيم السامرائي، (ط١)، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م، ج١، ص٧٣٨، وينظر: ص٢٠٨. وينظر: شعره، ق(٦)، ص٦٨.

[2] ينظر في تفصيل ذلك: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٠٤م، ج٢، ص٤٦١-٤٦٢، والبيت في شعره، ص٨٦.

ومن الكتب والمصادر أيضاً كتاب: ذم الهوى- لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وقد ذكر فيه المؤلف أن الشاعر كان عاشقاً لعائشة بنت طلحة، وله فيها أشعار يطول ذكرها، بحيث أن ابن المرزبان أفرد لها كتاباً، وفيه، أن الحارث بن خالد رفض الزواج من عائشة بنت طلحة عندما تأيّمت قائلاً: "والله لا يتحدث رجالات قريش أن تشبيبي بها كان لريبة أو لشيء من الباطل"[١].

وفي كتاب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- لابن الأثير (٦٣٧هـ/١٢٤٠م)، أورد المؤلف خبراً مفاده؛ أن أول من أتى من العرب بصورة المنازل تمثلت في القلوب، فإذا عفت آثارها، لم تعف صورها من القلوب، مشيراً إلى قول الشاعر:

إني وما نحروا غداة منى ... عند الجمار يؤودها العُقل

لو بدّلت أعلى مساكنهم ... سُفلاً وأصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبلُ

وأورد بعض الشعراء الذين نسجوا على إثره في هذه الصورة"، [٢]

من العرض السابق للمصادر التي تعرضت للشاعر وذكرت شعره، يتبين مدى انتشار شعره، وتعدده في تلك المصادر، في مختلف العصور، مما يدلل على شهرة الشاعر وسيرورة شعره بين الناس، وحضوره عند العلماء والأدباء بحيث يُستشهد بشعره في كثير من القضايا والمناسبات.

شعره المجموع

ذُكر سابقاً أنه لم يعثر على خبر أو ذكر، يشير إلى ديوان مخطوط يضم شعر الحارث المخزومي، غير أن شعر بني مخزوم، كان قد حظي باهتمام عدد من علماء الأدب ورواة الشعر، فقد ذكر النديم أن أبا سعيد السكري (ت٢٧٥هـ) كان قد جمع شعر بني مخزوم، مع ما جمع من أشعار القبائل[٣]، ولا بد أن يكون الحارث أحد هؤلاء الشعراء الذين جمع السكري شعرهم في كتابه، إلا أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وكان نصيبه الضياع مع غيره من كتب ودواوين، وإذا كان الحارث المخزومي شاعر غزل ونسيب، فقد رصد جزءاً كبيراً من غزله في

---

[١] ابن الجوزي، أبو الفرج، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص٢٢٧.

[٢] ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٦٠.

[٣] النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص١٩٣.

عائشة بنت طلحة، وله فيها أشعار يطول ذكرها- فيما يقول ابن الجوزي-[1] بحيث أن ابن المرزبان أفرد كتاباً في أشعار الحارث بعائشة.

ومن المؤسف أن هذين الكتابين من الكتب المفقودة، وبهذه الحال بقي شعر الحارث المخزومي متناثراً في بطون الكتب والمصادر.

أما في العصر الحديث، فقد قام بعض الباحثين والدارسين بحمل لواء جمع وتحقيق شعر من فقدت دواوينهم الشعرية، وكان لهم مكانتهم وحضورهم المتميز في عصرهم، وذلك مساهمة من أولئك الباحثين والدارسين في حفظ تراث الأمة وصونه من الضياع والتلاشي، ومن هؤلاء المحققين الأستاذ يحيى الجبوري، الذي له في هذا الميدان جهدٌ بارزٌ، إذا قام بجمع وتحقيق كثير من شعر أولئك الشعراء الذين لم تصل دواوينهم، وتميزوا بشعرهم الجيد*.

وكان الشاعر "الحارث المخزومي" ممن نال اهتمامه وعنايته، فنشط في جمع شعره وتحقيقه، وبذل جهداً طيباً في البحث والتنقيب عن شعره في مظانه الأولى، إلى أن استقام لديه ما صلح من شعره، فأخرجه إلى النور في طبعته الأولى، التي ظهرت في بغداد علم (١٩٧٢م)، وقد اشتملت هذه الطبعة على أكثر من مئتين وست أبيات من شعره، صدّرها بترجمة مفصلة لحياة الشاعر، وقسّم المحقق الشعر إلى قسمين: وضع في القسم الأول الشعر صحيح النسبة للشاعر، أما في القسم الثاني فوضع فيه ما نسب للشاعر ولغيره من الشعراء، وجاء القسم الأول في مئة وخمسة وثمانين بيتاً في ستٍ وأربعين قصيدة ومقطوعة، أما القسم الثاني فبلغ عدد الأبيات فيه واحداً وعشرين بيتاً، ضمن ست مقطوعات.

وبعد فترة من الزمن ظهرت الطبعة الثانية من شعره في عام (١٩٨٤م)، عن دار القلم في الكويت وهي طبعة منقحة ومزيدة، حيث أضاف المحقق إلى الشعر ثلاثة قصائد للشاعر كان قد عثر عليها في مخطوطة منتهى الطلب لابن ميمون (ت نهاية القرن السادس هـ)، وبلغ عدد أبيات هذه القصائد ستين بيتاً، وهذه الطبعة هي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة.

أما المنهج والذي اتّبعه المحقق في جمع الشعر فيقوم على الدقة والمنهجية ويتمثل هذا المنهج بالنقاط التالية:

---

[1] ذم الهوى، مصدر سابق، ص٢٢٧.

* جمع الجبوري وحقق: شعر النعمان بن بشير الأنصاري، شعر عروة بن أذينة، شعر المتوكل الليثي، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، شعر عمر بن لجأ التيمي، شعر أبي حية النميري، شعر عمرو بن شأس الأسدي، شعر عبده بن الطبيب، شعر هدبة بن الخشرم العذري، شعر العباس بن مرداس السلمي،.....

١-قسّم الكتاب إلى مقدمة وقسمين، وتضمنت المقدمة تعريفاً بالحارث المخزومي وحياته وموضوعات شعره، وفي القسم الأول أثبت المحقق الشعر الذي رجح نسبته للشاعر، وبلغ عدد الشعر في هذا الجزء مائتين واثنين وعشرين بيتاً، أما القسم الثاني فيضم الشعر الذي نسب للحارث ولغيره من الشعراء وجاء في واحد وعشرين بيتاً.

٢-جعل المحقق المتن خالصاً للشعر، ورتّب القصائد والمقطوعات ترتيباً هجائياً وذلك بحسب القافية، أما تخريج الأبيات، فوضعها في الحاشية، ذاكراً الروايات المتعددة ومقابلاً بينها، كما وضع في الحاشية أيضاً تفسيراً للمفردات الغريبة بالاعتماد على المعاجم اللغوية.

٣-ضبط الشعر ضبطاً دقيقاً بما يزيل اللبس، كما قام ببيان وزن كل قصيدة وكذلك المناسبة التي قيلت فيها القصيدة أو المقطوعة، وذلك حسب ما ذُكر في المصادر التي أخذت منها.

٤-ختم الكتاب بالملاحق والفهارس المتعددة والمنوّعة، كفهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفهرس الشعر، وفهرس اللغة، والأعلام، والقبائل، والمواضع، لكي يسهّل على القارئ الرجوع إلى الكتاب.

ويمكن ملاحظة أن المحقق أثبت بعض الشعر في قسم شعر الحارث، كان من حقه أن يكون في قسم ما ينسب للشاعر ولغيره، ومن ذلك:

أماطت كساء الخزّ عن حُرّ وجهها وأرخت على المتنين بُرداً مهلهلا

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا[١]

فقد اعتمد المحقق في نسبة هذه الأبيات على زهر الآداب -للحصري (ت٤٥٣هـ)، إلا أن هذه الأبيات تنسب للعرجي، وهي مثبتة في ديوانه[٢]، في قصيدة طويلة، ولذلك كان من حقها أن تكون في قسم ما ينسب للشاعر ولغيره.

ومن ذلك أيضاً الشطر: "**يا عمرو وحُمَّ لقاؤكم عمرا**" فقد نسبه المحقق للشاعر المخزومي، فأثبته في قسم شعر الشاعر، ولكن هذا الشطر جزء من قصيدة طويلة لأبي دهبل الجمحي، وهي مثبتة في ديوانه، ومطلعها:

يا عمرو حُمَّ فراقكم عمرا وعزفت منا النأي والهجرا[٣]

---

[١] شعره، ص١١٢.

[٢] ينظر: العرجي، أبو عبد الله، ديوانه، تحقيق: سجيع جميل الجبلي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ق (٦٨)، ص٢٨٣- ص٢٨٦.

[٣] الجمحي، أبو دهبل، ديوانه، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، (ط١)، ١٩٧٢م، ق (٥٦)، ص١٠٩.

فكان حق هذا الشعر أن يوضع في قسم ما ينسب للشاعر ولغيره، مع أن البحث يرجّح نسبة الشعر لأبي دهبل، كما ورد في شعره.

ولا بد في هذا المجال من الإشارة إلى أن شعر الحارث يختلط بشعر غيره من شعراء الغزل، كعمر بن أبي ربيعة، وعبيد الله بن قيس الرقيات والعرجي وغيرهم، ومن أمثلة ذلك قصيدته:

ظعن الأميرُ بأحسن الخلق وغدا بلُبّكَ مطلع الشَّرق
مرّت على قَرنٍ يُقادُ بها تعدو أمام براذن زُرق
في البيت ذو الحسب الرفيع ومن أهل التُّقى والبِّر والصدق

فهذه المقطوعة من شعر الحارث المخزومي، وهي مثبتة في مجموع شعره[1]، ولكن الرواة خلطوا في نسبتها، فنسبها المدائني (ت ٢٢٥هـ) في المردفات من قريش، إلى عبيد الله ابن قيس الرقيات، وكذلك تابعه الحموي (ت٦٢٦هـ) في معجم الأدباء.[2]

وذهب إبراهيم عبد الرحمن إلى ذلك، ونسب القصيدة لعبيد الله بن قيس الرقيات زاعماً أن هذه القصيدة تشخص خصائص أسلوب الغزل في شعر ابن قيس، يقول: "تتميز- القصيدة- من حيث أسلوبها في التعبير عما تناولته من معانٍ وأفكار من شعر ابن قيس الذي يصف فيه المرأة وصفاً حسّياً"[3]. ثم يرجّح نسبة القصيدة إلى ابن قيس الرقيات.

ويذهب البحث إلى أن هذه الأبيات ثابتة النسبة للحارث المخزومي، كما أوردها الأصفهاني في أغانيه، وكما هي واردة في مجموع شعره، إذ عرف الحارث بغزله بعائشة بنت طلحة وشهر بذلك، فقال هذه الأبيات عندما ارتحلت عائشة مع زوجها مصعب بن الزبير إلى العراق، أما ما ذهب إليه إبراهيم عبد الرحمن فلا يمكن الاعتماد عليه، وذلك لأن سمات شعر الغزل الحضري تكاد تكون متشابهة. ولا بد أن الرواة قد خلطوا في نسبة كثير من شعر الغزل، فكانوا ينسبون المقطوعة الواحدة لأكثر من شاعر، وذلك لأن الموضوع واحد، وعادة ينسب الشعر المتشابه إلى الشاعر الأشهر، فربما تكون هذه المقطوعة نسبت لعبيد الله بن قيس الرقيات، وذلك لشهرته.

---

[1] شعره، ص ٩٦-٩٧، وقَرَنْ: جبل ذكره ياقوت واستشهد بهذه الأبيات (معجم البلدان، قرن).

[2] الحموي ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص٣٧٧.

[3] إبراهيم عبد الرحمن، عبيد الله بن قيس الرقيات حياته وشعره، (د.ط،م،ن)، د.ت، ص ١٠٤-١٠٥.

وعثر الباحث أثناء جمع المعلومات حول الشاعر وشعره على بعض المقطوعات الشعرية والأبيات المفردة، مما لم ترد في مجموع شعره، وقد وردت هذه الأبيات في المصادر التي حققت حديثاً، أي بعد صدور الطبعة الثانية من شعره، ومنها أبيات مفردة أخلَّ بها مجموع شعره، وجدت في بعض الكتب والمعاجم القديمة:

الفائت من شعره

على الرغم من الجهد الذي بذله الجبوري في جمع شعر الحارث المخزومي وتحقيقه فقد أتيح للباحث العثور على مقطوعتين من شعره، بلغ عدد أبياتهما سبعة أبيات، وأخرى أبيات مفردة وجدت في بعض المصادر القديمة.

١. قال الحارث بن خالد المخزومي:

إذَا بَخَلَتْ عَليَّ أَقُولُ سِرّاً ... لِنَفْسِي سَوْفَ إنْ بَخَلْتْ تَجُودُ
أُعَلِّلُهَا بِهِ وَأُسِرُّ وَجْداً ... شَبِيهِ المَوْتِ أهْوَنُهُ شَدِيدُ
فَمَا بَرِحَ الهَوْىٰ لَكِ مِنْ فُؤادِي ... وَعليَّ تَصْرِيدُ نَائِلِكم يَزِيدُ[١]

٢. قال الحارث بن خالد:

إن تبذلي لي نائلاً أشفى به ... قرح الفؤاد فقد أطلتِ عذابي
وعصيتُ فيكِ أقَارِبي فَتَقطّعتْ ... بَيني وَبينهم عُرى الأسْبَابِ
وتركتني لا بالوصال ممسكا ... منهم ولا أسعفتني بثواب
فبقيتُ كالمهريق فضلةَ مائهِ ... في حَرِّ هاجرة كلمع سَرَابِ[٢]

٣. قال الحارث بن خالد المخزومي:

وأقسم أنّ ما بك من علة ... ولكنّ رأيُكَ فِينَا عَلِيلُ[٣]

٤. وفي رثاء هشام بن المغيرة، ورد البيت التالي مفرداً:

وأصبح بطن مكة مقشعرا ... كأنّ الأرض ليس بها هشام[٤]

---

[١] ابن آيدمر، محمد بن يوسف، الدر الفريد وبيت القصيد، تصدير: فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، (د.ت)، جـ١، ص٣٠٥.

[٢] المصدر السابق، نفسه، جـ٢، ص٢٩٥.

[٣] ابن آيدمر، مصدر سابق، جـ٣، ص١٤٤.

[٤] شعره، ص١٢٥.

وقد وجدت أبياتاً أخرى مع هذا البيت، من الوزن نفسه، كما أن هذه الأبيات ترتبط مع البيت السابق في المعنى، مما يرجح أن هذه الأبيات جزء من قصيدة طويلة، لم يبق منها سوى هذه الأبيات:

وأصبح بطن مكة مقشعرا	كـأن الأرض ليس بها هشام
يظـل كـأنه أثناء سرط	وفـوق جفانه شحـم ركـام
فلكبراء أكل حيث شاءوا	وللصغـراء أكـل واقتثـام
ماح البلاد لنا فـي أوليتنا	على حسود الأعادي مائح قثم
فبكيـه ضباع ولا تملـي	ثمـال الناس إن قحـط الغمام[1]

٥. **واستشهد الأخفش في بيت من الشعر، نسبه إلى الحارث بن خالد، وهو:**

لم أغمض له وشأني به	ما ذاك إني بصوبه مسرور[2]

ظاهرة ضياع شعره

قبل الحديث عن بناء القصيدة في شعر الحارث المخزومي، لا بد من الإشـارة إلـى أن كثيراً من شعره ضاع ولم يصل إلينا، فالشعر الذي بين أيدينا -ربما- لا يشكل سوى جزء يسـير من شعر الحارث، ولعل كثيراً من هذا الشعر ضاع، ويمكن أن نتبين آثار هذا الضياع من بعـض الأقوال والإشارات حول شعره ومن شعره المجموع من ناحية ثانية.

ورد في بعض المصادر القديمة، ما يفيد بأن شعر الحارث كان كثيراً، قـال الزبـيري: "كان الحارث بن خالد شاعراً كثير الشعر"[3]، ولعل هذه الإشارة مـن أقـدم مـا وصـل مـن الملاحظات حول شعره، ويستشف من العبارة السابقة أن قسماً من شـعره قـد ضـاع وضـل الطريق، إذ إن الذي وصل من شعره ليس بالكثير. وربما اطلع الزبيري على شعر الحـارث أو ديوانه، وكان شعره كثيراً في عصره، الأمر الذي دفعه إلى الحكم على شعره بالكثرة، مما يقـوي الاعتقاد بضياع قسم من شعره.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٥٣٤، مادة قثم.

[2] الأخفش، كتاب الاختيارين، ص ٧٠٨/٧٠٧.

[3] الزبيري، نسب قريش، مصدر سابق، ص٣١٣.

وأما الأصمعي فقد عد الشاعر على رأس طبقة الشعر المحدث مع عمر بن أبي ربيعة يقول: "من أراد النسيب من الشعر المحدث، ففي شعر ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي، والطبقة الذين مع هؤلاء"[1].

وقد ربط الأصمعي بين عمر والحارث، ووضعهم في مقدمة طبقة شعراء الغزل والنسيب كالعرجي والأحوص وغيرهم. وكذلك فعل الأصفهاني،[2] الذي عده أحد شعراء قريش الغزلين وقدمه على كثير من الشعراء، ولكن شعر الحارث أقل هؤلاء الشعراء المعدودين كما، وربما لا تتناسب مثل هذه الأحكام والآراء مع شعره -كما وصل إلينا، الأمر الذي يدفع إلى إن هؤلاء المؤلفين ربما اطلعوا على ديوان الحارث أو معظم شعره، وكان كثيرا ما جعلهم يقدمونه على غيره ويصدرون هذه الأحكام.

ومن أكثر القرائن دلالة على ضياع شعره ما ذكره النديم من أن ابن المزربان ألف كتابا في شعر الحارث بعائشة بنت طلحة،[3] وما يزال هذا الكتاب من الكتب المفقودة، وإذا كان ابن المرزبان قد ألف ذلك الكتاب في شعر الحارث بعائشة فمما لا شك فيه أن شعره الغزلي كان كثيرا جدا، بحيث خلص ابن المرزبان غزله بعائشة وأفرد له كتابا مستقلا.

ومن شعره يمكن أن يظهر أثر الضياع في شعره من كثرة المقطوعات القصيرة، والتي يعتورها النقص أحيانا، ومن ذلك أيضا كثرة الأبيات المفردة في شعره، ولعل كثيرا من هذه الأبيات كان يشكل مطلعا لقصيدة أو مقطوعة ضاعت ولم يبق منها سوى البيت المفرد، الذي لا يستقيم فيه المعنى أو الفكرة إلا بوجوده ضمن أبيات أخرى، ومن أمثلة هذه الأبيات المفردة، البيت:

إلى طرف الجمار وما يليها إلى ذات القتادة من ثبير[4]

فقد ورد هذا البيت مفردا، وربما كان هذا البيت مطلعا لقصيدة من شعره ضاعت أبياتها، ولم يبق منها سوى هذا البيت، الذي يقتصر فيه الشاعر على تحديد الأماكن، ويكثر مثل هذه الأبيات المفردة في شعره، ومن الأبيات التي ليس من شك في أنها جزء من قصيدة لم يبق منها إلا مثل هذا البيت، يقول فيه:

---

[1] العسكري أبو أحمد، المصون في الأدب، مصدر سابق، س١٧٤.

[2] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣١٠.

[3] النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص ١٨٣.

[4] شعره، ص٨٥.

فوددت إذ شحطوا وشط مزارهم وعدتهم عنا عواد تشغل[1]

ومن الأمثلة على هذه الأبيات، قوله:

وأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام[2]

حيث ورد هذا البيت منفردا في مجموع شعره، وهذا البيت جزء من قصيدة طويلة لم نقف عليها، ولا نعرف منها إلا هذا البيت في رثاء هشام بن المغيرة.[3]

وقد عثر البحث على أربعة أبيات من الوزن والقافية نفسه، ورجح البحث نسبتها للحارث فهي جزء من هذه القصيدة، وترتبط بالبيت المذكور في المعنى أيضا.[4]

ويمكن ملاحظة التفاوت في عدد الأبيات على أوزان الشعر التي نظم فيها الشاعر فقد تقاسم شعره المجموع سته بحور من أوزان الشعر، ولم ينظم الشاعر -فيما بين أيدينا من شعره- على غيره هذه البحور. فمعظم شعره من وزن بحر الكامل فالطويل فالبسيط، وأما البحور الأخرى فلم يأت من شعره فيها سوى البيت أو البيتين، ولم ينظم الشاعر في الأوزان القصيرة كالهزج والمجزءات على الرغم من أن هذه الأوزان تتلاءم مع فن الغزل، والحارث أحد هؤلاء الشعراء، الأمر الذي يوحي بضياع بعض شعره.

ومما سبق يمكن القول إن كثيرا من شعر الحارث ضاع ولم يصل إلينا، وربما تعود أسباب هذا الضياع إلى الرواة هذا من ناحية، واختلاط شعره بشعر الشعراء الغزلين في عصره كعمر والأحوص والعرجي وابن قيس الرقيات من ناحية أخرى، وربما نسب كثير من شعر الحارث إلى هؤلاء الشعراء، حيث ينسب الشعر المتشابه للشاعر الأكثر شهرة في العادة، الأمر الذي جعل الرواة ينسبون كثيرا من شعره إلى عمر بن أبي ربيعة أو العرجي أو غيرهم، ولعل في تضخم ديوان عمر عن أقرانه من شعراء الغزل دلالة إلى ذلك الاختلاط والتشابه.

مكانة الشاعر ومنزلته

حظي الشاعر بمكانة مرموقة ومتميزة في عصره، فهو أحد شعراء قريش المعدودين، وقد عده الأصفهاني من شعراء قريش الغزلين المشهورين، قالوا: "إن العرب كانت تفضل قريشا في كل شيء إلا الشعر، فلما نجم فيها عمر بن أبي ربيعة، والحارث بن خالد المخزومي

---

[1] نفسه، ص١٠٦ ، وينظر أيضا: ص١٢٥، ص١٤٣.

[2] نفسه، ص١٢٥.

[3] شعره، ص١٢٥.

[4] ينظر ص ٥٠ من هذا البحث.

والعرجي وأبو دهبل الجمحي، وعبيد الله بن قيس الرقيات أقرت لها العـــرب بالشـــعر"[١]. فقـــد تميزت قريش في الشعر بهؤلاء الشعراء في العصر الإسلامي والأموي واشتهرت بذلـــك، فلـــم يكن لقريش شهرة في الشعر والشعراء في العصر الجاهلي، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عـــدم اشتراكهم بالحروب والمعارك فلم تقم فيهم نائرة، لأن الشعر يزدهر في ظل هذه الظروف.

أما في العصر الأموي، فقد أقرت لها العرب بالشعر، لتقدمها في هـــذا المضمـــار، ولا سيما شعر الغزل. ومن النص السابق تتبين مكانة الشاعر الحارث المخزومي بين شعراء قريـش، فهو ثاني الشعراء منزلة بعد عمر ابن أبي ربيعة، قدم على العرجي وأبي دهبـــل وابـــن قيـــس الرقيات. ويرتبط ذكره وشاعريته بعمر بن أبي ربيعة، بل إن بينهما تشابه كبير فيختلط شـــعرهما ويتداخل، وذلك لأن كليهما وليد بيئة الحجاز التي تميزت بشعر الغزل، كما أنـــهما مـــن قبيلـــة واحدة، ثم أن كلا منهما شاعر غزل ونسيب وأخذت هذه المشابهة بينهما في الغزل حد الموازنـــة والمقارنة.

أما الأصمعي (ت٢١٦هـــ)، فقد عد الشاعر أحد زعماء الغزل المحدث، قال: "مـــن أراد النسيب من الشعر والغزل من شعر العرب الصلب، فعليه بأشعار عذرة والأنصـــار، ومـــن أراد النسيب من الشعر المحدث ففي شعر ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والطبقة الذيـــن مع هؤلاء"[٢]، وربما اطلع الأصمعي على شعر الحارث في الغزل، واستمد من ذلك حكمه علـــى الشاعر، ولا بد أن يكون كثيراً، إلا أن كثيراً من هذا الشعر ضاع ولم يصل إلينا، ويدلـــل علـــى ذلك ما ورد عن الزبيري من قوله: "كان الحارث شاعراً كثير الشعر"[٣] مما يرجح ضياع جـــزء ليس باليسير من شعره.

وتبوأ الشاعر مكانة سياسية مرموقة لدى الخليفين الأمويين: يزيد بـــن معاويـــة، وعبـــد الملك ابن مروان، حيث كان الشاعر يميل إلى بني مروان، "فكان الحارث مرواني الهوى، مـــع أن بني مخزوم كانت زبيرية الهوى"[٤].

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣١٠.

[٢] العسكري، أبوأحمد، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، ص١٧٤.

[٣] الزبيري، نسب قريش، مصدر سابق، ص١٣.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣١٠.

إذا كان الحارث شاعراً، أميراً، يهوى الجاه والسلطان، حظي بمكانة مرموقة في عصره.

أما المحدثون فلم يخصوا الشاعر بكثير عناية، فأوردوا بعض أخباره وأشعاره من الحديث عن شعر الغزل في عصر بني أمية، فترجم له جرجي زيدان في تاريخه، وقال عنه بأنه: ذو قدر وخطر ومنظر في قريش[1]، وذكر ميوله إلى بني مروان، أما شوقي ضيف فلم يأت بجديد في ذلك، فقد اعتمد على الأغاني في بيان منزلته.

وعده هداره من الشعراء الذين يهتمون بالحسن والجمال، فلم يكن يدقق بجمال المرأة، وذهب إلى أن الحارث مع العرجي والأحوص، تغزلوا بالجواري، وكثرت أشعارهم في الجواري[2] وليس في شعر الحارث غزل في جارية سوى مقطوعة واحدة في سلامة، وجل شعره في نساء شريفات حرائر، كعائشة بنت طلحة وليلى بنت مرة، وغيرهما.

---

[1] جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٦.

[2] محمد مصطفى هدارة، الشعر العربي في القرن الأول الهجري، (ط١)، دار العلوم العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٥٤.

المبحث الثاني

موضوعات شعره

I الغزل

تمهيد

الغزل من الفنون الشعرية التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي، وقد شغل الشعراء بالتغزل بالمرأة في الشعر، لأن الغزل لغة العاطفة، فهو من أكثر موضوعات الشعر قربا من النفس، وهو -الغزل- وسيلة الشاعر للتعبير عما يختلج في داخل نفسه من أحاسيس ومشاعر، ومن هنا فقد تغنى الشعراء بالمرأة منذ الجاهلية، فوقفوا على أطلالها ورسومها، وذكروا جمالها، ووصفوها وصفا دقيقا، وصوروها في صور جميلة رائعة، وأبرز مظاهر تعلق الجاهلي بالمرأة وقوفه على ديارها وبكاء أطلالها، حيث كانت حياة الجاهليين قائمة على التنقل والارتحال، الأمر الذي جعل علاقة الشاعر بالمحبوبة عرضه للتصدع والفراق، فكان الشاعر يقف علىديار صاحبته، يستعيد ذكرياته في هذه الأماكن ثم يصف ما بقي من آثار هذه الديار كالنوءي والأثافي والأحواض، وغير ذلك، ويصف مشاهد إرتحال المحبوبة، ثم محاسنها مصورا حنينه إليها.[1]

وكان الغزل في العصر الجاهلي غير مستقل عن غيره من المواضيع وغالبا ما يرد الغزل في مطالع ومقدمات القصائد، حيث يبتدئ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار، ثم يصف الشوق والوجد للمرأة، ومن ثم الرحلة إلى أن ينتقل إلى الغرض الذي نظم شعره من أجله، وقد لاحظ ذلك ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، أثناء حديثه عن بناء القصيدة الجاهلية، فبعد ذكر الأطلال والديار ينتقل الشاعر إلى النسيب فيذكر شدة الشوق وألم الوجد، وفرط الصبابة، لكي يميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وذلك لأن التشبيب لائط بالقلوب[2].

فالغزل جزء هام من البناء الفني للقصيدة العربية، على أنه كان بعض الشعراء قد خصص قصائد كاملة للغزل، وجعل الغزل غايته ومطلبه، كامرئ القيس، والمنخل اليشكري والمرقش، وغيرهم.

---

[1] احسان النص، الغزل في عصر بني أمية، (د.ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٦م، ص ص ٣-٥.

[2] ينظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م، ص٧٤.

أما في العصر الإسلامي، فقد ضعف شعر الغزل، وتخفف منه الشعراء وذلك بفعل الدين الإسلامي، فقد شغل الناس في هذا الدين الجديد فابتعدوا عن الغزل وانصرفوا إلى الموضوعات الأخرى كالفخر والمهاجاة بين المسلمين والمشركين. على أن الدين لم يقف في وجه عاطفة الحب، بل حددها بتنظيم العلاقات العاطفية عن طريق الزواج، فرفع الإسلام من شأن المرأة، وأعلى من قدرها بعد أن كانت مبتذلة في الجاهلية، ولم يخرج شعر الغزل عن القصيدة العربية في الأغلب الأعم، فظل يتصدر مطالع القصائد.

وأما في العصر الأموي، فقد استقل شعر الغزل عن الموضوعات الأخرى، وظهرت القصيدة الغزلية المستقلة، ونظم الشعر الذي لا يتطرق إلى موضوع آخر سوى التغزل بالمرأة، وازدهر شعر الغزل في الحجاز ازدهاراً كبيراً، واتجه الشعر الغزلي في هذا العصر إلى اتجاهات متعددة، ومن هذه الاتجاهات: الغزل التقليدي، الذي سار فيه الشعراء على سنن الشعراء الجاهليين، من حيث الوقوف على الأطلال ومساءلة الديار ووصفهما، والآخر الغزل الحضري الذي نما وازدهر في حواضر الحجاز في مكة والمدينة والطائف، وقد تعرض شعراؤه إلى وصف المرأة وذكر محاسنها ومفاتنها، وقد تأثر هذا الشعر بالمظاهر الحضارية الجديدة في مكة وحواضرها، وأما الثالث: فالغزل العذري والذي ظهر في نجد وهو غزل عفيف صادق، يعبر عن حب حقيقي، وتجربة حية عاشها شعراء البادية.

وسيعرض البحث لهذه الاتجاهات بشيء من الإيجاز وذلك لكي يتضح موقع الشاعر وشعره من هذه التيارات المتداخلة.

الغزل التقليدي

يتعلق هذا الجانب من الغزل، في أغلب الأحيان -بمقدمات القصائد، والذي كان الشعراء يصدرون به قصائدهم، جرياً على النمط المتوارث في القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي، وهو صورة مكررة عن غزل الجاهليين، الذي كان يتخذ وسيلة وتمهيد إلى غيره من موضوعات الشعر الأخرى كالمدح والفخر وغيرها، وقد سار كثير من شعراء العصر الأموي على السنن المتوارثة منذ الجاهلية في نمط القصيدة، فوقفوا على الأطلال، ووصفوا الديار الدارسة، وقد عد طه حسين، هذا النمط من الغزل نوعاً مستقلاً بذاته، يقول: " ... والثالث الغزل العادي الذي ليس هو في حقيقة الأمر إلا استمراراً للغزل القديم المألوف أيام الجاهليين، أريد به الغزل الذي لا يقصد لذاته كما يقول أصحاب المنطق، وإنما يتخذ وسيلة إلى غيره من فنون الشعر إلى المدح

والهجاء والوصف ونحوها، أريد به هذا الغزل الذي كان الجاهليون يبتدئون به قصائدهم والـــذي ظل الإسلاميون يبتدئون به قصائدهم إلى اليوم.."[١].

وهذا اللون من الغزل يتعلق بالمرأة من حيث: أطلالها والوقوف على آثارهـــا وديارهـــا ووصف مشاهد التحمل والارتحال، وهو في جملته غزل متكلف، مصطنـــع، وربمـــا "لا يمثـــل شعوراً صادقاً إزاء امرأة معينة، وإنما هو ضرب من الصناعة الشعرية"[٢] فقد تكون المرأة التـــي يذكرها الشاعر غير حقيقية، وأكثر ما يتمثل هذا اللون من الغزل في شـــعر جريـــر والأخطـــل والراعي والفرزدق والحارث المخزومي، وغير هؤلاء الشعراء في ذلك العصر.

الغزل الحضري

نشأ هذا الضرب من الغزل في حواضر الحجاز، مكة والمدينة والطائف، وأخـــذ يشـــكل ظاهرة واضحة وهامة في غزل العصر الأموي، وقد أطلق الدارسون على هذا الغزل تســـميات متعددة، فأطلق عليه طه حسين: غزل المحققين أو الإباحيين، يقول: "غزل الإباحيين الذين كـــانوا يتغنون في شعرهم هذا الحب الأفلاطوني، الذين أسميهم "المحققين" وهم الذيـــن كـــانوا يتغنـــون الحب ولذاته العملية، كما يفهمها الناس جميعـــاً"[٣]. ويطلـــق عليـــه بعضـــهم الآخـــر الغـــزل الحضري[٤]، وذلك لأنه نشأ في الحواضر، وبعضهم يسميه الغزل الصريـــح[٥] ويطلـــق عليـــه آخرون، الغزل الحسي اللاهي[٦]، أو الغزل العمري[٧]، نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة زعيم هـــذه الطائفة.

ومهما تعددت التسميات، فهي تصب في قالب واحد، وهي مسميات لشيء واحد فـــهو لا يخلو من الإباحية، وذلك لأنه لا يتحرج من ذكر عورات النساء ومفاتنـــهن ووصـــف أعضـــاء المرأة، وهو غزل صريح، لكونه يصرح بهذه المفاتن ويذكرها صراحة، وهو غـــزل حضـــري،

---

[١] طه حسين، حديث الأربعاء، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج١، ص١٨٧.

[٢] إحسان النص، الغزل في عصر بني أمية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٣] طه حسين، حديث الأربعاء، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٤.

[٤] عمر الطباع، مواقف من الأدب الأموي، تحليل ودراسة منتخبات، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٩١م، ص١٥٣.

[٥] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٣٤٧.

[٦] صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مرجع سابق، ص٣٤٦.

[٧] شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص ٣١٢.

وينظر: عبد المجيد زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٤٢.

لأنه نشأ في حواضر الحجاز ومدنه الكبرى، كمكة والمدينة والطائف، كما يتمثل فيه كثير من مظاهر حياة أهل ذلك العصر، وما أصابها من رقي وحضارة.

وهذا الغزل ليس وليد العصر الأموي، فجذوره قديمة في الشعر العربي، فقد عرف الغزل الحسي في العصر الجاهلي، ويظهر ذلك في غزل امرئ القيس والأعشى، والمنخل اليشكري وغيرهم من شعراء الجاهلية، يقول بكار: "كان الغزل الحسي الفاحش هو النوع السائد في غزل الجاهليين وقلما خلا منه شعر شاعر"[1].

وقد تطور هذا الغزل تطوراً كبيراً في عصر بني أمية، وذلك بفعل تقدم الحياة وتطورها في ذلك العصر، حيث ساعدت عوامل متعددة على ازدهاره في الحجاز ومن أهم هذه العوامل: انتقال مركز الحكم والخلافة من مكة إلى دمشق، وما رافق هذا التحول والانتقال من تغير وتبدل في نظام الحكم والولاية، حيث تحول أمر الخلافة من نظام قائم على الشورى إلى حكم وراثي منذ معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، وقد عكف الأمويون على سياسة عزل إقليم الحجاز عن شؤون الدولة وأمور السياسة، واتبعوا في ذلك كافة الوسائل وشتى السبل، من العنف إلى السلم والمهادنة، فإغداق الهبات والأموال الكثيرة على أبناء الحجاز، وذلك بدافع صرف أبناء الصحابة عن المطالبة بالحكم والخلافة، وكان من نتيجة ذلك أن تكدست الأموال في حجور الحجازيين وتوفر لديهم الفراغ الكبير، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في ظهور الغناء واللهو.

كما انتعشت مكة إقتصادياً، فهي مركز الخلافة الإسلامية، ومنها انطلق الإسلام إلى كافة أصقاع الأرض، فقد كانت مكة متحضرة منذ الجاهلية، حيث كانت مركزاً لطرق القوافل التجارية، وفيها الكعبة حيث أصاب أهلها حظاً وفيراً من الغنى والثراء، يضاف إلى ذلك الأموال التي انهالت على المكيين، نتيجة للفتوحات الإسلامية ومن الأمويين أنفسهم.

ومن الجانب الاجتماعي كان المجتمع المكي والحجازي يتكون من طبقة الأشراف والأمراء وطبقة عامة الناس، وطبقة الموالي والرقيق الذين كان لهم أكبر الأثر في المجتمع حيث امتزجوا مع السكان الأصليين وأدخلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم، فترافق الثراء الكبير مع الفراغ مما ساعد على ازدهار فن الغزل، وإحداث نظرية الغناء[2].

يضاف إلى العوامل السابقة، ما عرف عن أهل الحجاز من الرقة والدعابة والدعة في العيش، فكانوا يميلون إلى الظرف والتظرف، ومن ذلك روي أن أبا حازم "خرج يوماً يرمي

---

[1] يوسف بكار، اتجاهات الغزل في العصر الأموي في القرن الثاني للهجرة، (ط٢)، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص١٣.

[2] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٢٩.

الجمار فإذا هو بامرأة حاسرة، قد فتنت الناس بجمال وجهها وألهتهم بجمالها، فقال لها: يا هذه إنك بمشعر حرام، وقد فتنت الناس، وشغلتهم عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ (سورة التوبة، الآية ٣١) فقالت: إني من اللائي قيل فيهن:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأرخت على المتنين برداً مهلهلا

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة ألا يعذبها الله تعالى بالنار، فجعل أبو حازم يدعو، وأصحابه يؤمنون، فبلغ ذلك الشعبي، فقال: ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم، أما والله لو كان من قرى العراق لقال: أغربي عليك لعنة الله"[١].

وقد رافق هذه الرقة والظرف، الشعور بالحرمان والأسى والحزن، فلم يستطيعوا الوقوف في وجه بني أمية الذين اغتصبوا الخلافة، فراحوا يقضون على هذا الفراق والحرمان في الذهاب إلى مجالس اللهو والغناء وحلقات السمر والنوادي، وساعد على ذلك مشاركة المرأة للرجل في هذه المجالس، فقد برزت المرأة للرجال، وأخذت تجتمع بهم وتسمع شعرهم، وانتشرت دور الغناء والملاهي، كدار جميلة وغيرها[٢].

وكان للرقيق والموالي من غير العرب دورٌ هامٌ في تطور فن الغناء، حيث أدخلوا الألحان والأنغام، ونهضوا بفن الغناء، حيث أصبح الشعر ينظم ليغنى على الآلات الموسيقية.

ومما لا شك فيه أن هذه العوامل السابقة مترابطة، ولذلك تظافرت هذه العوامل فهيأت الظروف الملائمة لازدهار الغزل الحضري وانتشاره، الذي بدأ متأثرا بحضارة العصر وكان على رأس هذه الطبقة من الشعر، شعراء قريش، ومنهم عمر بن أبي ربيعة والحارث المخزومي وغيرهم.

وأما من حيث السمات والخصائص الفنية لهذا الغزل فمن أبرزها: أنه قائم على تعدد النساء في شعر هؤلاء الشعراء، فلم يقتصر الشاعر على امرأة واحدة، بل نجد جريدة من أسماء النساء في شعرهم، وهذا التعلق بنساء كثيرات ليس من الحب في شيء بقدر ما هو حب الجمال والحسن ذلك "أن التعلق بعدد من النساء في آن واحد، لا يصح أن يسمى حباً، وكذلك تلك

---

[١] الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مصدر سابق، ج١، ص١٦٨.

[٢] ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سابق، ص٢٧، وما بعدها.

العاطفة الآنية السريعة الذبول والانطفاء ليست من الحب في شيء، فالحب يبنى على التعلق بامرأة واحدة، وعلى استمرار العاطفة وصدقها"[1].

كما تميز هذا الغزل بعدم التحرج من ذكر محاسن المرأة ومفاتنها، على خلاف بين الشعراء وكذلك وصف بحلاوة الألفاظ وعذوبتها، وسهولة التعبير واللغة.

الغزل العذري/ العفيف

ينسب هذا اللون من الغزل إلى قبيلة عذرة، وهي قبيلة من قصاعة، كانت تسكن في شمال الحجاز، بوادي القرى "وهو وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة، مياهها جارية، وفيه منازل جهينة وعذرة وكانت قديماً منازل ثمود وعاد"[2] وقد عرف فيهم الحب وإليهم ينسب العشق والتتيم، وينسب هذا الغزل إلى العفة أو العذراء، فنقول[3]: امرأة عذراء أي، عفيفة وأصبح هذا اللفظ مرادفا للعفة والطهر والتسامي.

نشأ هذا الغزل بوادي نجد، فهو نبت صحرواي، انبتته البيئة البدوية، حيث شظافة العيش، والضيق والحرمان، فكان الرجل يلتقي في فتاته في المراعي أو موارد المياه، بعيداً عن الأهل، فيقيم معها روابط المحبة والألفة، وإذا ما ارتحلت هذه المرأة، تأججت العاطفة لتصبح حباً جارفاً، لا يجد الشاعر التنفيس عن نفسه إلا الشعر، فلذلك كان العذريون ينفثون -من خلال شعرهم- عواطفهم ومشاعرهم تجاه المحبوبة، وهو حب روحاني طاهر ليس فيه نزوة أو رغبة عابرة "فهو حب إنساني طبيعي احتكمت فيه تقاليد البيئة البدوية، التي لا تقر الصلات الماجنة، وتفرض على المحبين التزام العفة وأن يكبتوا غرائزهم الجنسية، وأن يقنعوا بتبادل الأحاديث والنظرات"[4].

وجذور هذا الغزل قديمة تعود للعصر الجاهلي، فقد عَرَفَ العصر الجاهلي بعض الشعراء المتيمين الذين قرنت أسماءهم بأسماء محبوباتهم كعنترة وعبلة، والمرقش الأكبر وأسماء، والمنخل اليشكري: وفاطمة، ... وغيرهم.[5] ولكنه لا يشكل ظاهرة لافتة للنظر في ذلك العصر.

---

[1] إحسان النص، الغزل في عصر بني أمية، مرجع سابق، ص٤٨.

[2] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٥، ص٣٩٧-٣٩٨.

[3] ينظر: إحسان النص: الغزل في عصر بني أمية، السابق، ص٢٣.

[4] إحسان النص، المصدر السابق، ص٢٥.

[5] أحمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص٣١٠.

وتطور هذا الغزل في العصر الأموي، وأخذ يشكل ظاهرة فنية كبرى في شعر ذلك العصر وهو في حقيقته غزل طاهر، ينم عن نفس سليمة، تهذبت في ظل الدين الجديد حيث صبغها الإسلام بالنقاء والصفاء، فارتفع عن كثير من جوانب الحس والمادة فهو يعبر عن الصراع بين الجسد والروح، هذا الصراع الذي يتحول في نفس العاشق لأسباب كثيرة... إلى رغبة مكبوتة، هذه الرغبات كان العذريون يتسامون بها فوق مستوى الغرائز، ويرتفعون بها فوق مستوى البشر، ويستعلون بها فوق رغبات البشر.

وقد حاول الدارسون تعليل أسباب هذه الظاهرة وتفسيرها، فتعددت مذاهبهم في ذلك ومن أهم هذه التفسيرات: التفسير السياسي والحضاري، والتفسير الاقتصادي الاجتماعي، والتفسير النفسي الفني، وسيتناول البحث هذه التفسيرات بشيء من الإيجاز للوصول إلى التفسير الأكثر إقناعاً لهذه الظاهرة.

١) التفسير السياسي والحضاري

كان طه حسين من أوائل من قدموا تفسيراً حول ظاهرة الحب العذري، فذهب إلى أن البلاد العربية -بعد أن تم الفتح للمسلمين، وبعد جهادها في محاولة الاحتفاظ بالسلطان السياسي، وانتقال مركز الحكم منها إلى الشام، انصرفت هذه البلاد -أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة، وفرغت للحياة الخاصة، فانكبت على نفسها وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل[١]

ولم تكن البلاد العربية خاضعة لليأس وحده، وإنما كانت خاضعة أيضاً لما يلائم اليأس أشد الملائمة -كما يقول- وهو الثراء ووفرة المال، حيث أثرى أهل مكة بما ورثوه من فيء كثير أيام الفتح، وبما كان الخلفاء الأمويون يدرون عليهم من الأموال اصطناعاً لهم، ولذلك كان أهل مكة والمدينة يائسين، ولكنهم كانوا أغنياء، فلذلك انشغلوا باللهو[٢].

وكذلك كان أهل البادية بالإضافة إلى اليأس، يعيشون في فقر كبير، فلذلك لم يتح لهم اللهو، وقد تأثروا بالقرآن الكريم، فحيل بينهم وبين حياتهم الجاهلية ولذلك نشأ في نفوسهم شيء من التقوى، ليس بالحضري الخالص، ولا بالبدوي الخالص ولكن فيه سذاجة بدوية وفيه رقة إسلامية، فانصرف هؤلاء عن حروبهم وأسباب لهوهم في الجاهلية، كما انصرفوا عن الحياة العملية في الإسلام، فانكبوا على نفوسهم وانصرفوا إلى شيء من المثل الأعلى في الحب من

---

[١] طه حسين، حديث الأربعاء، مرجع سابق، ج١، ص١٨٨-ص١٨٩.

[٢] المرجع السابق، نفسه، ج١، ص١٩٠.

جهة، ولبراءتها من ألوان الفساد التي غمرت مكة من ناحية ثانية، فاستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن ولكنها نغمة زهد وتصوف[1].

ومن الناحية الحضارية بين أن حياة العرب تغيرت من الناحيتين المعنوية والعقلية، ولم تتغير من الجانب المادي، حيث ظل العرب يخضعون لقانون البداوة، أما حياتهم العقلية فقد تغيرت تغيراً ملحوظاً، ونشأ اليأس من الحياة المادية، فتكون لهم مزاج خاص لا بالبدوي الغليظ ولا بالحضري الرقيق، وإنما هو بين بين، ينكب على النفس ليتعرف إلى دوافعها، وهو حزن ساذج نتيجة للفقر والحرمان واليأس والعزلة السياسية، ثم يقارن بين أثر الإسلام في نفوس هؤلاء الشعراء، وبين ما حدث في نفوس الشعراء والكتاب الفرنسيين ويرى أن الشبه بينهما شديد جداً، ويرى أنهما وجهان مختلفان في المظهر ومتفقان في الأسباب[2].

ويتبنى عبد القادر القط رأي طه حسين، ويتوسع فيه، ويقارن بين الشعر العذري، وحركة الشعر الرومانسي الأوروبي، ويذهب إلى: أن كثيراً من السمات الفنية تشترك بين هذه الحركات على خلاف في الطبيعة والحركة، ثم بين ما أحدثه الإسلام من انقلاب هائل في حياة العرب حيث أصبح الإنسان متأرجحاً بين القديم والجديد، وظهر هذا التأرجح من خلال الرموز التي أوردها ذلك الإنسان في الأدب الذي أنشأه، فالشعور بالغربة أو الحنين والفقد من الرموز التي تصلح للتعبير عن الصراع النفسي من خلال تجربة الحب العذري، وذلك ما حدث للإنسان الغربي بعد الثورة الصناعية -كما يقول[3].

ولا يخفى أن هذا التفسير للغزل العذري يرتكز على ركنين هامين: الأول وهو انتقال السلطة ومركز الحكم من مكة إلى دمشق، وما نتج عن ذلك من ثراء واسع، وفراغ كبير وشعور باليأس والحزن في نفوس الحجازيين، وأما الثاني فيتمثل بالتطور الحضاري، وتغير كافة مناحي الحياة في الحجاز وأثر الدين في نفوس الناس وحياتهم.

---

[1] المرجع السابق، نفسه، ج١، ص٢٢١ وما بعدها.

[2] نفسه، ج١، ص٢٢٣.

[3] عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٠٤-ص١٠٨، ملخصاً.

وقد أخذ بهذا التفسير كثير من الباحثين والدارسين ومنهم: شـــكري فيصـــل[1] وشـــوقي ضيف[2]، ومحمد غنيمي هلال[3]، ويوسف اليوسف[4]، مع ملاحظة أن منهم من توسع في بحثـــه حول هذه الظاهرة، ومنهم الآخر مال إلى الإيجاز في عرضه، ولا تخرج هذه التفســـيرات عـــن التفسير السابق.

---

[1] شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص٢٨٠ وما بعدها. يقول "الغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج، وتذهب مذهب التقى، وتؤثر السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة، فالنفس أمارة بالسوء، ولذلك آثرت هذه الطائفة أن تعدل عن شهواتها، فكانت مثلاً واضحاً للتربية الإسلامية في سموها وتعاليمها".

[2] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، د.ت، ص١٠٦، ويذهب "إلى أن العرب لم يعرفوا الترف، ولا أفسدتهم الحضارة، وقد رقق الإسلام نفوسهم وصفاها، فكان طبيعيا أن لا يكون غزلهم إباحيا صريحا بل يكون غزلا متساميا، فيه نبل وفيه حرمان وفيه طهارة، وارتفاع عن الحس والمادة".

[3] محمد غنيمي هلال، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٣.

"فالانصراف عن السياسة وليس الفقر هو سبب نشوء الغزل العذري، فالشعور باليأس من هذه الحياة المترفة اللاهية وبعدهم عن المدن، فكانت تعوزهم أسباب الحياة، ولصرامة التقاليد العربي في نفوسهم أيضا".

[4] يوســـف اليوسف، الغزل العذري، دراسة في الحب المقموع، الطبعة الثانية، دار الحقائق، دمشق، ١٩٨٢، ص ص ٢٦-٢٧

ويذهب إلى أنه نتيجة هزيمة التيار الإسلامي، وتحول الإمبراطورية العربية إلى ملكية استبدادية، انفصل الفرد عن الدولة ووجدت قطيعة بين الفرد والدولة، وظهرت المعارضة الصريحة وتمثلت في حركة الخوارج، أما المعارضة المبطنة ظهرت من خلال الوجع العشقي في شعر العذريين".

٢) التفسير الاقتصادي والاجتماعي.

ذهب عبد المجيد زراقط إلى تفسير ظاهرة الغزل العذري اقتصادياً، فيرى "أن ظاهرة الحب العذري يمكن أن تجد تفسيرها في القيمة التي أصبحت للمال، وفي هذا التفاوت الاجتماعي والاقتصادي الذي أخذ يظهر منذ أواخر العصر الجاهلي"[١].

واستجدت بعض الأمور الجديدة في عصر بني أمية، فقد انفتحت خزائن الدنيا، وظهرت الثروات الطائلة، وكان في توزيعها زيادة لحدة هذا التفاوت، وذلك التمايز بين أفراد المجتمع، كما أن ضخامة هذه الثروات أدت إلى ارتفاع المهور وتكاليف الزواج، وأخذ المجتمع في التفاوت طبقياً، وطمِحَ أولياء الحرائر، الذين رأوا في زواج بناتهم فرصة تدخلهم إلى دنيا السادة والثراء، وأقبلوا على مغريات الحياة، ومنها الفتاة العربية -ابنة البادية، هؤلاء السادة ازداد إقبالهم فازداد الطلب، ولعل الغنى والطلب هما السبب في إعطاء المهر هذه القيمة[٢].

أما بالنسبة إلى بني عذرة، فقد قطنوا وادي القرى، وكانوا يعتمدون على الزراعة ولكنها لم تكن شيئاً مهماً بالنسبة إلى الفتوح، التي لم ينل منها شباب عذرة شيئاً -كما يقول زراقط- وفي ظل هذا المجتمع الجديد، أصبح زواج فتيات هذه القرى يتم لرجال أصابوا من الثراء الشيء الكثير، وحصلوا على مكانة اجتماعية متميزة، وبذلك يستطيعون توفير الحياة الرغدة للفتاة ولأهلها، وقد خلف هذا الزواج آثاره في نفوس فتيان هذه القرى، الذين كانوا -أثناء فترة الصبا- قد عقدوا أواصر علاقات الحب مع هذه الفتيات، ولم يكن بمقدورهم منافسة هؤلاء المترفين، فكان الحب العذري الذي يعبر عن حالة العشق أيام الصبا، ثم يخلص من كل هذا إلى أن ظاهرة الحب العذري "من ظواهر المرحلة التاريخية الجديدة، التي صار فيها الاتصال بين الرجل والمرأة محدداً بالزواج، وصار أمر الزواج يعود إلى الأهل، الذين كانوا ينظرون إلى الموضوع من الجانب الاقتصادي والاجتماعي..."[٣].

٣) التفسير النفسي والفني.

يقدم صادق العظم تفسيراً نفسياً يعلل به ظاهرة الشعر العذري، ويقوم تفسيره على أساس مفارقة الحب، ويرى "أن الحب عاطفة إنسانية عامة يتصف بالامتداد في الزمن مع

---

(١) عبد المجيد زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص١٧٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق، نفسه، ص١٧١/١٧٢.

(٣) المرجع السابق، نفسه، ص١٨٠، وما بعدها.

استمرار العاطفة عبر مدة معينة من الزمن، والبعد الآخر عنف الحالة العاطفية وحدتها في لحظة معينة من الزمن" وهو ما يطلق عليه بالاشتداد[١].

ويذهب إلى أن هذه النزعة الامتدادية في الحب تتجسد في ظاهرة الزواج وتكوين الأسرة، التي تشكل ركناً هاماً في بناء المجتمع، أما ظاهرة الاشتداد فتظهر في المغامرات الغرامية، التي تقوم على المفاجأة والخفاء مما يزيد من قوة الحب ونشوته.

وعلى هذا فالحب يسير في اتجاهين متناقضين، وينزع نزعتين متضاربتين، ولا يمكن إشباع إحداهما إلا على حساب الأخرى[٢]. ويذهب إلى أن العشق العذري محاولة لمواجهة مفارقة الحب والتغلب عليها، وذلك باختيار نزعة الاشتداد فيه، ورعايتها عن طريق رفض العلاقة المستقرة بين العاشقين، لأنها تؤدي إلى اضمحلال الحب فالشاعر العذري لا يحب شخص حبيبته بقدر ما يحب عشقه لها، وعلى هذا فالحب تعبير عن حالة مرضية في نفس العاشق، تظهر في سقمه وحرمانه، والتلذذ بهذا الحرمان والألم والشقاء، والاستمتاع بذلك[٣].

ويذهب إبراهيم السنجلاوي إلى قريب من هذا الرأي، ولكنه ينطلق من العلاقة القائمة بين الحب والفن، ويرى أن هؤلاء العشاق ليسوا عشاقاً بقدر ما هم فنانون، والفنان العاشق – عنده– يختلف عن العاشق فحسب، فالعشق يلتهم الأنا وينقضّ على ذات الفنان حتى يجرده من فنه، ولهذا فلا بد من مسافة بين العاشق وحبه، وهذه المسافة بمنزلة صمام الأمان، بحيث لا يطغى الحب على الفن، ولا تعني هذه المسافة بين الحب والفن التنافر، بقدر ما تعني التعاون والتماسك[٤].

فالشاعر العذري دائب الحرص على إبقاء حبه متوهجاً، والشعراء العذريون يصنعون العراقيل، والحواجز الكبيرة، أمام أي امتلاك للمحبوبة، والشاعر يقصد هذا العمل قصداً، فيصطنع الحواجز التي تحول دون الإشباع، والشاعر "يعرف تماماً أن بقاء هذا الحب يرتبط ببقاء هذه الموانع التي تمنع من الإشباع"[٥].

والشاعر يفعل ذلك لأن مطالب الفن تغري العاشق بالابتعاد عن المحبوبة لتكون أكثر إثارة، ويخلص السنجلاوي إلى أن الحب العذري القائم على الحرمان ما هو إلا نتيجة لهذا

---

[١] صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م، ص٣١.

[٢] ينظر: المرجع السابق، نفسه، ص٣٦-٣٧.

[٣] المرجع السابق، نفسه، ص١٠٠ وما بعدها.

[٤] إبراهيم السنجلاوي، الحب والموت في الشعر الأموي، منشورات جامعة اليرموك، إربد (د.ت)، ص٢٦-٢٧.

[٥] المرجع السابق، نفسه، ص٣٢.

الارتباط بين الحب والفن، وهذا الحب يقوم على الحرمان لا على الإشباع: لأن الإشباع يقطع تيار التجربة، ويخمد أنفاس الحب[1].

ويلتقي تفسير السنجلاوي السابق مع تفسير صادق العظم في كثير من الجوانب.

وبعد، فهذه أهم التفسيرات والآراء التي طرحت حول تفسير ظاهرة الغزل العذري، ويذهب البحث إلى أن تفسير طه حسين وعبد القادر القط من أكثر هذه التفسيرات شمولاً ودقة، مع ملاحظة أنه من الصعوبة الفصل بين هذه التفسيرات، فظاهرة الغزل العذري كانت نتيجة لأسباب سياسية وحضارية واقتصادية ونفسية، بحيث تظافرت هذه العوامل وأدت إلى ازدهار الغزل العذري، كما هو الحال في الغزل الحضري.

وقد كانت المرأة في كلا الاتجاهين، الحضري والعذري، هي الموضوع الرئيس، وقد تناولها الشعراء كلاً بأسلوبه الخاص، فسما الحب العذري بالمرأة إلى مرتبة عالية تفوق البشر أحياناً، بينما ظل تيار الغزل الحضري يدور في فلك الحسية والمادية.

ولا بد من الإشارة إلى أنه لا توجد حدود فاصلة وقاطعة بين الاتجاهين، فهما يتداخلان ولذلك نجد بعض السمات العذرية عند شعراء الغزل الحضري، والعكس صحيح، وعلى الرغم من التداخل فيمكن ملاحظة بعض السمات الفارقة، ومنها ما تميز به الحب العذري من العفة والروحانية والطهارة فيصور الشاعر مشاعره وعواطفه تجاه المرأة، ويكثر في هذا الشعر الشكوى من الفراق، والألم والحرمان، فهو غزل ذاتي يصور عواطف الشاعر وانفعالاته، ويتميز باقتصاره على امرأة واحدة، أما الغزل الحضري، فهو حسي، يبرز محاسن المرأة الخلقية والخُلقية، كما أنه قائم على التعدد، فتكثر فيه أسماء النساء.

غزل الحارث المخزومي

يعد الحارث المخزومي أحد شعراء قريش الأشراف، وأحد شعراء الغزل في عصر بني أمية، فكان شاعراً غزلياً، محباً للحسن والجمال، ومعظم شعره في الغزل، فقد تحدث عن المرأة، ووقف أمامها متأملاً ومبدياً مشاعره وأحاسيسه تجاهها، ومن شعره نجد أن الشاعر لم يكن من أولئك المتيمين الذين وقفوا قلوبهم وشعرهم على امرأة واحدة، فقد تعددت أسماء النساء في شعره، كعائشة بنت طلحة، وبشرة، وأثلة وعثمة، وليلى، وظليمة، ....الخ، على أن الشاعر كان

---

[1] ينظر: المرجع السابق، نفسه، ص٢٨-٢٩.

قد صرف كثيراً من شعره الغزلي إلى عائشة بنت طلحة، يذكرها صراحة ويكنّي عنها تارة أخرى وربما أن كثيرا من الأسماء السابقة كنى عنها. ويمكن تقسيم شعره الغزلي إلى: غزل تقليدي وحضري، وعذري.

غزله التقليدي

ويظهر هذا الغزل في مقدمات قصائد الشاعر ومقطوعاته، فقد افتتح قصائده بالوقوف على الأطلال والديار، وذلك جرياً على المألوف من غزل الجاهليين، وضرباً من التقليد والمحاكاة، والشاعر في ذلك إنما يجاري الشعراء السابقين في غزلهم، وكان للغزل التقليدي مكانٌ واسعٌ في شعره، ومن ذلك حديثه عن ديار بشرة، وقد استعجمت عليه، يقول:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما — كالرق أجرى عليها حاذق قلما
بالخنف هاجت شؤوناً غير خامدةٍ — فانهلت العين تذري واكفاً سجما
دارٌ لبشرة أمست ما تكلمنا — وقد أبنت لها لو تفقه الكلما[1]

فقد وقف الشاعر على ديار بشرة، بعدما انمحت آثارها ومعالمها، وبدت كالرق القديم الذي تظهر فيه آثار الخطوط والكتابة، ويتساءل الشاعر، تساؤل العارف الخبير، عن هذه الديار، فقد أثارت ذكرياته الماضية، فأخذت العيون تذرف الدمع الغزير على هذه الذكريات والآثار، وهذه الديار استعجمت على الشاعر، ولم تجب على سؤال الشاعر، فهي لا تفقه الكلم.

كما وقف الشاعر على ربع بشرة، في موضع بالجناب، وخاطب هذه الديار، متسائلاً عن أهلها، فهذا المكان أصبح مقفراً وموحشاً بعد رحيل ساكنيه، يقول:

يا ربع بسرة بالجناب تكلّم — وابن لنا خبراً ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً — خلقاً كحوض الباقر المتهدم[2]

وللشاعر في هذه المعاني نظائر وأشباه كثيرة في شعره، فكثيراً ما وقف على أطلال المرأة التي يتغزل بها، ويتساءل عن أهلها وساكنيها بعد رحيلهم عنها، ويأسف على هذا الرحيل، فالشاعر يذكر أثر عوامل الطبيعة، وفعلها بهذه الديار، فقد تلاعبت الرياح بما بقي من الآثار فيها، وكذلك غيرت الأمطار من معالمها، حيث يدرك الشاعر فعل الزمن بهذه الديار، يقول:

لمن الديار رسومها قفرُ — لعبت بها الأرواح والقطرُ

---

(1) شعره، ٣٥/ ١٢٧-١٢٨.

الخيف: خيف منى بمكة المكرمة، وأصل الخيف ما انحدر عن الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

(2) شعره، ص١٣٢/ الجناب: موضع، وأصله: الفناء وما قرب من محلة القوم.

وخلا لها من بعد ساكنها حجج مضين ثماني أو عشرُ[1]

كما لا يفوت الشاعر أن يذكر الأماكن التي تقع فيها أطلال صاحبته، فهو يتحدث عن أطلال ربما تكون معروفة لديه، فهي فيما بين المحصّب والحجون، وكذلك يحسُّ الشاعر بفعل الزمن في هذه الديار، يقول:

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

أقوت وغير آيها مرَّ الحوادث والسنين[2]

ويطيل الشاعر في الوقوف على الأطلال، ووصف الديار، فيذكر خلوها من الأنيس فقد خلت من أهلها، ولذلك بدت هذه الديار مقفرة ومجدبة، وتغيرت آثارها وعلاماتها بفعل العوامل الطبيعية، فالرياح تذري الأتربة الناعمة، فتطمس الآثار كما غيرت الأمطار أراضي هذه الديار:

عفت الديار فما بها أهلٌ حزانها ودماثها السهلُ

تذري الروامس ما استخف لها وجرى بترب عزازها الوبلُ[3]

ثم يقسم الشاعر بالقرابين والهدي التي ينحرها الحجاج في مكة، أنه حتى ولو تغيرت ديار هذه المحبوبة عن خططها المعهودة، ورسومها المشهودة، وقلبت هذه الديار حتى جعلت أعاليها أسافلها، وأسافلها أعاليها، لعرف مغناها المختص بها ومثواها الجامع لأسبابها، وذلك لما انطوت عليه ضلوعه من مودة إلى أهلها أيام وصالها[4].

فالشاعر يعزي نفسه بذكرى الحب الذي تمكن من قلبه، فأصبح دليله إلى معرفة ديارها، وإن انطمست معالمها ودُرست آثارها:

إني وما نحروا غداة منى عند الجمار يؤودها العقلُ

والبدنُ إذ سيقت لمنحرها أدماً يحلل بره المحلُّ

لو بدّلت مغنى ديارهم سفلاً وأصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبلُ[5]

---

[1] شعره، ص١٥٩-١٦٠.

[2] شعره، ص١٤٤/ المحصب: موضع بين مكة ومنى.

الحجون: جبل بأعلى مكة.

[3] شعره، ص٩٩-١٠٠، حزانها: جمع حزيز،وهو الموضع الذي كثرت حجارته وغلظت.

دماثها: مفرد: دمث، وهو السهل من الأرض، ضد الحزن.

[4] ينظر: المرزوقي، أبو علي، شرح ديوان الحماسة، نشره: عبد السلام هارون واحمد أمين، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٣، ص١٢٨٢-١٢٨٣.

[5] شعره، ص٩٩-١٠٢.

فالمحبة التي يحمِّلها الشاعر إلى بشرة، ومكانها في قلبه، دفعت الشاعر إلى الجزم بمعرفة هذه الديار، فقد دفع الشك عن ذاكرته، حين أخبره قلبه بمكانها، على الرغم من الجدب والإقفار الذي أصاب هذه الديار.

وينتقل الشاعر في القصيدة نفسها إلى وصف هذه الديار والأطلال التي بدت داثرة إلا بعض العلامات التي لا زالت واضحة كأواري الخيل التي تظهر كالأواخ، وكذلك الرواكد الجاثمة في مكانها، ولم يبق غير هذه المعالم، ونتيجة لذلك فإن الخبير بهذه الديار، العارف بها، يدفع عن نفسه الشك –والذي سببه هذا التغير والتبدل– ويكاد يجزم بمعرفة هذه الأماكن، يقول:

وأواربـاً للخيـل داثرة مثل الأواخ يمرها الفتلُ

ورواكداً أصلين منتصبا فترى قراين بينها فصلُ

فيكاد يعرفها الخبير بها فيـرده الإقـواء والمحلُ[1]

وخاطب الشاعر ديار صاحبته، مستخدماً أسلوب النداء، يقول:

يا دار حسَّرها البلى تحسيراً وسفت عليها الريح بعدك مورا

دق التـراب نخيلـه فمخيِّم بعـراصـهـا ومسـيِّر تسييرا

يا ربع بشرة إن أضر بك البلى فلقـد عهـدتك آهـلا معمـورا[2]

فهذه الدار قد سفت عليها الرياح وغيرت آثارها ومعالمها، ويلح الشاعر على بيان أثر الرياح في هذه الديار، التي أخذت تجول في عرصاتها، وقد حملت هذه الرياح الأتربة الدقيقة والناعمة إلى أماكن بعيدة، ومن الأتربة أقام في هذه الديار، فالرياح تسفي هذه الأماكن.

أما اللوم والعذال، فقد كان الشاعر يشكو منهم في شعره، وقد وقف منهم موقف حزم وقلة الاهتمام، فلم يكترث لأقوالهم، ولا يطيعهم، ولا يسمع لهم وبذلك يردهم بغيظهم، حتى لقد علم هؤلاء الوشاة أن كلامهم لا يجدي مع الشاعر:

ما إن وشى بك عندنا من كاشح إلا يـرد بغيظـه لـم يقبـل

حتى لقد علم الوشاة فأقصـروا ورأوا لديَّ حديثهم في الأسفل[3]

فهؤلاء الوشاة لا يراعون الحرمات، فهم يحاولون الإيقاع بين المتحابين، وشاية وحسداً ويسعون للإفساد بينهم، وشكوى الوشاة شكوى قديمة في الشعر العربي، وقد يطلب

---

(1) المصدر السابق، نفسه، القصيدة ذاتها.

(2) شعره، ص٧٩.

(3) شعره، ٢٩، ص١١٦.

الشاعر من صاحبتــه أن تصله وأن لا تتركه لكلام اللوام والعذال الذيــن لا يراعــون العــهود والحرمات، يقول:

لا ترجعيني إلى من ليس يرحمني وقاك من تبغضين الحتف والسقما

إن آلــوشــاة كثيــر إن أطعتهم لا يــرقبــون بنــا إلاّ ولا ذممــا[1]

أما الشيب فمن أهم أسباب صدود المرأة عن الرجل، والشيب نذير الموت والهلاك وقــد أكثر الشعراء من الشكوى من الشيب وامتداح أيام الصبا والشباب، ذلك لأن الشيب سبب هجــوان المرأة للرجل، وصدودها، ولذلك فالشاعر يحنُّ إلى أيام الشباب لما له فيها من ذكريــات الحــب واللهو، وقد تناول هذه المعاني الشاعر المخزومي، فهو يعلن رحيل الشباب، ويرى أنه تعجل فــي الرحيل، ويتمنى لو أنه ثوى حقبة أخرى ولم يعجل بالرحيل، يقول:

رحل الشباب وليته لم يرحل وغدا لطيــه ذاهب متحمل

وغــدا بــلا ذم وغادر بعدهُ شيبــاً أقــام مكانه بالمنزل

ليت الشباب ثوى لدينا حقبة قبل المشيب وليته لم يعجل[2]

ويمتدح الشاعر أيام شبابه وصباه، ويرى أن في ظله تنزهاً عن الفحشــاء، فــهو عــف الضريبة والسجية، يكره الشاعر فراقه، لأن تابعه المشيب، الذي ينعته بأنه لئيم المدخل:

ولئن مضى حدُّ الشباب وجدُّه وبدت روايــع مستبين أشكــل

مــا إن كسبت بــه لحيٌّ سُبَّة ولألفين بــه كريــم المأكــل

ولقد أرى في ظلــه ونعيمــه نزهاً عن الفحشاء صافي المنهل

عف الضريبة قد كرهت فراقه إذ بعض تابعــه لئيــم المدخــل

ولقد يكون مع الشباب إذا غدا غمــراً يكون خلافــه متمهّــل[3]

وبعد هذا العرض، يمكن القول إن الحارث سار في غزله التقليدي علــى نمــط الغــزل الجاهلي والإسلامي في هذا الجانب، ومثل هذه المقدمات عميقة الجذور في الشعر العربي، وقــد طرق الشاعر في غزله التقليدي معظم المعاني التي طرقها الشعراء، كالوقوف علــى الأطــلال ووصف الديار الدارسة، ومخاطبتها، ومن الشكوى من الوشاة واللائمين، ومن الشيب والشــباب، وغيرها.

---

[1] شعره، ٣٥/ ص١٣١.

[2] شعره، ٢٩/ص ١١٣.

[3] شعره، المصدر السابق، نفسه، ٢٩/ ص١١٤-١١٥.

وكثرت الأوصاف والمعاني القديمة في شعره، مثل: تنكر الرسوم، واندثار المعالم وإقفار الرسم وإقوائه، وذكر الفراق والبين وغير هذه المعاني، والتي تشكل مظهراً من مظاهر التقليد عند الشاعر.

ويلاحظ في غزل الحارث التقليدي، أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمكنة فقد تعددت أسماء الأماكن والمواضع من البلاد في شعره، كما يلاحظ أن الشاعر كان يتخفف من وصف مشاهد التحمل والارتحال، ووصف الظعائن، التي كانت تشكل معلماً بارزاً وجزءاً هاماً من بناء القصيدة العربية، ويدل ذلك على أن الشاعر لم يرحل في شعره وربما لم يقف على الطلل في الحقيقة، بل يتمثل ذلك لأنه من متطلبات الفن ومن مستلزمات النظم الشعري، فالشاعر كان يعيش في مكة وحواضرها، ولا معنى لذكر الحضري للطلل في غزله.

غزله الحضري/ الحسي

ويتعلق هذا الغزل بوصف المرأة وصفاً حسياً، وتصوير حسنها وجمالها، والحارث المخزومي أحد شعراء الغزل الحضري، كان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في غزله، وهو أحد زعماء هذا اللون من الغزل، ولذلك فقد وصف المرأة وصفاً دقيقاً، فوصف أعضاء جسدها وطولها، وقوامها، والتفت إلى جمال الوجه وأجزائه، فوصف هذه الأجزاء، إذ كان الشاعر يتحسس مواضع الجمال في المرأة التي يتغزل بها وفي معظم أوصاف الشاعر للمرأة، لم يخرج عن الصورة المألوفة للمرأة عند شعراء الغزل في عصره كعمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص.

وكثيراً ما توصف المرأة بالبياض والنصاعة، ولذلك تشبه بالشمس والبدر والكواكب فهي هيفاء، دقيقة الخصر، ضامرة البطن، ممشوقة القوام، وأحياناً تكون مكتنزة الأجزاء، عظيمة العجيزة، وشعرها أسود فاحم كالليل، كما توصف بأنها مترفة ومنعمة.

ومن المظاهر الحسية والحضرية في غزل الحارث، قوله:

خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُهَا رُؤْدُ الشَّبَابِ غَلَا بِهَا عَظْمُ[1]

فهي دقيقة الخصر، ضامرة البطن، غضة الشباب، ليس لعظمها حجم، وهي هيفاء ضامرة ونحيفة، فلا يستقر وشاحها لدقة خصرها.

أما المرأة فيشبهها الشاعر بالغزال الشادن، واستملح لها صوت هذا الغزال لما لصوته من غنة تزيد من دلاله، يقول:

---

[1] شعره، ص١٢٢.

لولا الذي حُمِّلْتُ من حُبِّكُمْ لكَانَ في إظهارِهِ مَخْرَجُ
لكنْ سَبَانِي مِنْكُمُ شَادِنٌ مُرَبَّبٌ ذو غُنَّةٍ أدْعَجُ
أغَرُّ مَكْفُورٌ هَضِيمُ الحَشَى قد ضَاقَ عنهُ الجِحْلُ والدُّمْلُجُ[1]

فهي غراء ناصعة البياض، ممتلئة الأرداف، بحيث لا يسمع لحليها وزينتها صوت دلالة على الامتلاء، ويلح الشاعر على هذه الصورة الجمالية بحيث نجدها في كثير من شعره، فهو يمتدح تناسق أعضاء المرأة وتناسبها، وهي ممتلئة الجسم دقيقة الخصر، كشحها لطيف، فلا يشتكي منها طول ولا قصر، يقول:

يا لَيْتَ شِعْرِي وكَمْ أُمْنِيَةٍ قُدِرَتْ وُفْقاً وأخرى أتَى من دونِها القَدَرُ
ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيْعُ له طَيَّ الحِمالةِ لا جَافٍ ولا فَقِرُ
لهُ شَبِيهَانِ لا نَقْصٌ يَعِيبُهُمَا بَحِيْثُ كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ[2]

وتتكرر الصورة السابقة للمرأة في شعره، حيث إن تناسب أعضاء المرأة وتناسقها من صور المرأة المرغوب فيها عند الشعراء، إذ إن نظرة الشعراء إلى جمال المرأة الجسدي تكاد تتمحور حول التناسب والتناسق والانسجام، وذلك من ذوق الفطرة السليمة التي لم تفسد بالترف والحضارة[3].

وقد يقرن الشاعر بين ضخامة العجيزة ودقة الخصر ونحافته، وامتلاء الساقين فهي ريانة الأرداف، ووشاحها قلق:

غَرَثَانُ سِمْطٍ وِشَاحِها قَلِقٌ رَيَّانُ من أرْدَافِها المِرطُ[4]

ويلح الشاعر على ضخامة عجيزة المرأة، حيث نجد مثل هذا الإلحاح في كثير من شعره، فهي مستديرة، مملوءة الجسم، فلا تكاد تظهر عظامها.

لَفَّاءُ مَمْلُوءٌ مُخَلْخَلُهَا عَجْزَاءُ ليس لعَظْمِها حَجْمُ
خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُهَا رُؤْدُ الشَّبَابِ غَلَابِها عَظْمُ[5]

---

[1] شعره، ٣/ ٦٤-٦٥.
[2] شعره، ٧٦/١٢.
[3] ينظر: أحمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص٣٣-٣٤.
[4] شعره، ٨٦/١٨.
[5] نفسه، ١٢٢/٣٢.

ويصور الشاعر المرأة بأنها ثقيلة العجيزة، ولذلك فهي تنوء عندما تنهض وتتحرك لضخامة عجيزتها، وهي بذلك كالشخص ضعيف الجسم والذي يحمل حملاً ثقيلاً أكبر من استطاعته، فهو يئن وينوء بهذا الحمل:

وَتنوءُ تُثْقِلُها عَجِيْزَتُها نَهْضَ الضَّعيفِ يَنُوءُ بالوَسْقِ[1]

ويشبه الشاعر عجيزة المرأة بكثيب الرمل الوثير في قوله:

من كلِّ مُصْبِيَةِ الحَدِيثِ تَرَى لها كَفَلاً كَرابِيَةِ الكَثِيبِ وَثِيْرا[2]

ويبالغ الشاعر في هذه الصفة، بحيث تبدو المرأة عاجزة عن القيام بالكثير من الأعمال والواجبات، وربما لا تستطيع أداء مناسك الحج معاً، فهي تطوف مرة وتقعد أخرى، ثم تنهض على فتر، فلا تتم طوافها إلا وقد أصيبت بالتعب والإعياء، وقد جهدت منها الأحشاء:

يَقْعُدنَ في التَّطوافِ آوِنَةً وَيُطُفْنَ أحياناً على فَتْرِ

فَفَرِغْنَ من سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ أحشاؤُهنَّ مَوائِلَ الخُمْرِ[3]

وعندما سمعت سكينة بنت الحسين، هذه الأبيات، لم تستحسنها، وقالت: والله لو طافت الإبل لجهدت أحشاؤها"[4].

ويصف الشاعر المرأة بالبياض، فهي مشرقة الجبين، ناصعة البياض، وكان الشاعر يلح على وصف المرأة بالبياض، فهو يستحسن بياضها ولذلك يشبه الشاعر وجه صاحبته بالشمس والقمر والكواكب، فهي كالبدر الذي يزيل الظلام ويشع فيه النور، وجبينها بدر:

غَرَّاءُ واضِحَةٌ كأنَّ جَبِيْنَها بَدْرُ السَّمَاءِ ظَلامَهُ يَجْلُو[5]

ويقول: وَجْهُكِ البَدْرُ لو سَأَلْتُ به المُزْ نَ من الحُسْنِ والْجَمَالِ اسْتَهَلا[6]

فوجه محبوبة الشاعر شديد البياض، جميل مشرق، تستهل السماء لحسنه وجماله، تكريماً لهذا الحسن والجمال.

وكذلك شبه الشاعر وجه صاحبته بالشمس في صورة رائعة، يقول:

أَطَافَتْ بِنَا شَمْسُ النَّهارِ وَمَنْ رأى من النَّاسِ شَمْسَا بالعِشَاءِ تَطُوفُ[7]

---

[1] نفسه، ٢٣/٩٨.

[2] نفسه، ١٣/٧٨.

[3] شعره، ١٥/٨٣.

[4] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٤.

[5] شعره، ٢٤/١٠٣.

[6] نفسه، ٢٢/١١٠.

[7] نفسه، ٢١/٩٢.

ولاكتمال جزئيات الصورة في شعره، يعرج الشاعر على وصف أسنان صاحبته فأعجبته أسنانها البيض، فهي مؤشرة ومنتظمة، محددة ومحززة، تخلو من العيوب كالتثلم والتقضم، يقول:

ضَحِكَتْ عن مُرْهَفِ الأنيابِ ذِي أُشُرٍ لا قَضَمٌ في ثَنَاياهُ ولا رَوَقُ[1]

ولم يتطرق الشاعر إلى وصف جمال الفم ورائحته، وهو بذلك يختلف مع معاصره عمر بن أبي ربيعة. الذي ذكر فم صاحبته، وأطال في وصف طعمه ورائحته عند التقبيل، حيث كان عمر يؤكد "أن جمال الفم وطيب رائحته، وعذوبة طعمه، صفات لازمة للفم الجميل في كل وقت من أوقات الليل والنهار"[2] فكان يصف الفم وصفا حسيا، لا يخلو من الفاحشة أحيانا، وأما الحارث المخزومي فاكتفى بالوصف الخارجي، ولم يتطرق إلى وصف فم صاحبته.

وأما شَعْر المرأة في شعر الحارث، فهو كثيف، جعد النبات، وهو أسود فاحم يغطي الرأس فيبرز جمال الوجه الأبيض، وشَعْرها غزير وكثيف، تظل فيه المدارى، وضفائره طويلة كالحبال، يقول:

وتظِلُّ مِدْرَاهَا المَوَاشِطُ في جَعْدِ النَّبَاتِ قُرُوْنُهُ جُثْلُ[3]

من خلال ما سبق ذكره من أبيات للشاعر في وصف المرأة، يتبين أن الشاعر قد تناول مظاهر الجمال العامة للمرأة، كاعتدال القامة، ودقة الخصر، وكثافة الشعر، وضخامة العجيزة، حيث ركز الشاعر على صورة المرأة المثال، التي لا تختلف عند معظم شعراء الغزل، إلا من حيث الإيجاز أو التفصيل، فهذه الأوصاف للمرأة، لا تخالف الذوق العربي، الذي يتضح من قول أحد الأعراب في وصف المرأة، عندما سُئل عن ذلك، "قيل لأعرابي: "أتحسن صفة النساء؟ قال: نعم، إذا عذب ثناياها، وسهل خدَّاها، ونهد ثدياها، وفعم ساعداها والتف فخذاها، وعرض وركاها، وجدل ساقاها، فتلك همّ النفس ومناها"[4].

ومن أهم صفات المرأة عند الشاعر، الاكتناز والامتلاء -كما سبق- مع دقة الخصر وضخامة العجيزة، فقد سُئِل الأصمعي عن أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خميصة؟ فأنشد قول الأعشى:

---

[1] نفسه، ٢٢/٩٤.

[2] خليل عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٢٥.

[3] شعره، ٢٤/١٠٤.

[4] الجاحظ، أبو عثمان، المحاسن والأضداد، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت/ ١٩٦٩م،ص١٢٤.

صفر الوشاحين ملءُ الدرع بهكنة إذا تأتى يكادُ الخصر ينخزل

وأنشد قول علقمة بن عبدة:

صفر الوشاحين ملءُ الدرع خرعبة كأنّها رشأ في البيت ملزومُ

وأنشد قول ذي الرمة:

ترى خلفها نصفا قناةٍ قويمةٍ ونصفا نقا يرتجُّ أو يتمرمرُ

فقال (الأصمعي): أحسن ما قيل فيه، قول أبي وجزة السعدي:

أدماءُ في وضح يكاد إزارها يقوى ويشبعُ ما أحبَّ إزارها

وقال أبو عكرمة، ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي:

غرثان سمط وشاحها قلق ريان من أردافها المرط" [1]

والمرأة في شعر الحارث مترفة ومنعمة، فهي خود، ممكور مخدّمها، تشبه تماثيل النصارى ومعابدهم: فيشبه الشاعر بشرة بصنم النصارى الذين يظلون يدورون حوله في أيام أعيادهم، وهي صورة حضارية ذات أثر ديني:

وبِشَرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تِمثالِ بِيْعَةٍ تَظَلُّ النَّصارى حولَهَا يَومَ عِيْدِهَا [2]

ويظهر أثر الحضارة في شعره من خلال ذكر كثير من مظاهر الحضارة الحديثة في عصره، فذكر البساتين والحدائق، ومن ثم تشبيه المرأة بالدمية أيضا:

قُبُّ البُطُونِ أوانسٌ مِثْلُ الدُّمَىٰ يَخْلِطْنَ ذاكَ بِعِفَّةٍ وَتَكَرُّمِ [3]

وكان أثر الحضارة كبيراً في شعر الشعراء الغزلين في العصر الأموي بشكل عام. [4]

وتظهر بعض أدوات الزينة في شعر الشعراء الغزلين في العصر الأموي، حيث تحضرت المرأة ونعمت بالثراء أيضا، إذ "اهتمت المرأة بأمور زينتها وجمالها، فأضافت إلى جمالها جمالاً آخر، تبدو معه امرأة متحضرة مترفة"[5] وكانت المرأة تتزين بالحلي والجواهر وتتطيب بالعطور كالمسك والكافور، والزعفران.

---

[1] ينظر: الشريف المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، مصدر سابق، ج١، ص٤٦٠-٤٦١.

[2] شعره، ٧٥/١١.

[3] شعره، ١٣٣/٣٦.

[4] ينظر حول هذا الأثر: عمر عيد المومني، المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٨م، الفصل الرابع، ص١٤٠.

[5] خليل عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، مرجع سابق، ص١٤٩.

يقول الحارث:

لِمَنِ الدِّيارُ رُسُومُهَا قَفْرُ لَعِبَتْ بها الأرْوَاحُ والقَطْرُ
والزَّعْفَرَانُ علىٰ تَرَائِبِها شَرِقٌ بهِ اللَّبَاتُ والنَّحرُ [1]

فهي مشرقة الصدر، طويلة الجيد، تفوح منها الرائحة الطيبة، ويظهر أثر الطيب في ثيابها أيضا:

وَكَأنَّ غَالِيَةً تُبَاشِرُهَا تحتَ الثِّيَابِ إذا صَفَا النَّجمُ [2]

ومما سبق يظهر أن الشاعر لم يقترب من الفاحشة في غزله الحضري والحسي بل كان يكتفي بوصف الجمال والحسن، وهو بذلك أقرب إلى اتجاه الغزل الحسي غير الفاحش، الذي شاع في غزل القرن الثاني للهجرة[3]، حيث يقصر الشعراء غزلهم على ذكر محاسن المرأة وجمالها، وما عرفت به من وسائل تتزين بها.

ومجمل هذه الأوصاف لا تخالف ذوق العربي، ولا تخدش الحياء، وقد جاءت هذه الأوصاف بما يتلاءم وروح العصر، وما أصابه من حضارة ورقي وتطور في كافة أوجه الحياة.

الملامح العذرية في شعره

ذُكِر سابقاً أنه ليس من السهولة الفصل بحدود قاطعة بين الغزل الحضري والغزل العذري إذ تتداخل خصائص كل اتجاه في الآخر وسماته، فنجد كثيراً من السمات العذرية عند شعراء الغزل الحضري، كما نجد بعض الأوصاف الحسية للمرأة في غزل العذريين.

والحارث المخزومي من شعراء الغزل الحضري في مكة، سار في غزله على طريقة عمر بن أبي ربيعة، إلا أن شعر الحارث يختلف عن شعر عمر من حيث الكم والمضمون، فشعر الحارث لا يشكل ربع شعر عمر من حيث عدد القصائد، وأما من حيث المضمون، فلم يتطرّق الشاعر إلى وصف علاقاته ومغامراته الغرامية مع المرأة التي يتغزّل بها كما كان يفعل عمر.

---

[1] شعره، ١٥٩/٢-١٦٠.

[2] نفسه، ١٢٣/٣٢.

[3] ينظر: يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، مرجع سابق، ص١٤٨-ص١٥٧.

ونلاحظ كثيراً من السمات والملامح العذرية في شعر الحارث المخزومي، فأغلب غزله، غزل عفيف رقيق، معظمه في عائشة بنت طلحة، حيث كان الحارث يحب عائشة حباً عفيفاً طاهراً، يخلو من الفاحشة لا تكلف فيه ولا ابتذال [1].

وإذا ما أتيح له اللقاء معها والاجتماع بها، فإنه يجتنب الفاحشة، ويتحدث إليها حديثاً عفيفاً، يقول:

إذا اجْتَمَعْنَا هَجَرْنَا كُلَّ فَاحِشَةٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَذَاكُمْ مَجْلِسٌ لَبِنُ [2]

وسنحت الفرصة للشاعر للنيل من عائشة، بعد أن توفي عنها زوجها مصعب، قيل له: ما يمنعك منها الآن؟ قال: والله لا يتحدث رجالات من قريش أن تشببي بها لريبة أو لشيء من الباطل[3] ومن خلال النص السابق تتضح العفة التي كان يتصف بها الشاعر، والإباء في نفسه، فقد كان الشاعر عاشقاً لعائشة حقاً، ولعل عائشة كانت غرامه الوحيد أو الأكثر شدة[4].

وكان الشاعر يعاني من قسوة الحب وآلامه، وما يخلفه في النفس من حرقة وفراق عند رحيل المحبوبة، فيأخذ الشاعر بالشكوى والبكاء، وينسكب دمعه بغزارة، ويصوّر الشاعر معاناته في هذا الحب:

سأبكي ومالي غير عيني مُعوّلٌ عليكِ ومالي غيرُ حُبّك من جُرم
لعلّ انسكاب الدّمع أنْ يذهب الأسى ويشفي ممّا بالفؤاد من السُّقم[5]

فالبكاء سبيل الشاعر إلى التغلب على الحزن والألم، نتيجة للفراق، لعله يخفف من حدة هذا الحزن والألم والمعاناة من السقم؛ والبكاء الشديد على المحبوبة من سمات الغزل العذري، بل يستغرق الجانب الأكبر من هذا الغزل[6].

ويتكرر هذا الحزن والأسى الذي يخلف الضعف والسقم للجسم في شعره، فيذكر الشاعر حنينه وشوقه الجارف إلى لقاء المحبوبة:

---

[1] شعره، المقدمة، ص٣٢.

[2] شعره، ١٤٣/٤١.

[3] ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، ١٩٦٢م، ص٢٢٧.
وينظر: الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب للبستاني، (د.م.ن)، ١٩٨٩م. ص٤١.

[4] محمد سعيد الدغلي، أحاديث غزلية في الغزلين العذري والعمري وامتداداتهما في الغزل العربي، (ط٢)، ١٩٨٥م، ص١١٥.

[5] شعره، ٣٨/ ص١٣٦.

[6] إحسان النص، الغزل في عصر بني أمية، مرجع سابق، ص ٣١.

قد سل جسمي وقد أودى به سقم من أجل حيّ جلوا عن بلدة الحرم

يحنّ قلبي إليها حين أذكرها وما تذكّرت شوقاً آب من أمم [1]

وكان الشاعر يشتكي من الوشاة والرقباء والعذّال، وهذه الشكوى من السمات العذرية أيضاً، ومن الموضوعات الجزئية التي تضمّنها الغزل العذري وجاءت في شعر الحارث المخزومي، مثل كتمان السر ورعايته، وحفظ العهد والود فلا يفشي السر:

راع لسرك ليس يذكُر غيره كيما يرينك حيث كنتِ بمعزل [2]

وحفظ الود:

وترعى من الودّ الذي كان بيننا فما يستوي راعي الأمانة والمبدى [3]

وهكذا يمكن ملاحظة كثير من السمات والملامح العذرية، كتصور آثار الحب وآلامه والحديث عن الوشاة والرقباء والعذال، وكذلك الشكوى والمعاناة واليأس من هذا الحب البائس.

وكان الشاعر يعاتب عائشة بنت طلحة، بسبب صدودها، وعدم وصالها وإخلافها المواعيد، فقد قدمت عائشة بنت طلحة تريد الحج، فأرسل الشاعر إليها رسولاً يستأذنها في مجلس يتحدثان فيه، فأرسلت إليه أن في غدٍ أفعل، ولما قضت مناسكها، سرت من ليلتها ورحلت، وعندما سئل عنها الشاعر أخبر خبرها فقال يعاتبها:

ما ضركم لو قلتم سددا إن المنيّة عاجل غدها

ولها علينا نعمة سلفت لسنا على الأيام نجحدها

لو تممت أسباب نعمتها تمّت بذلك عندنا بدُها [4]

وكان رسوله إليها الغريض، فلحقها في عسفان* ومعه كتاب الحارث وفيه شعره وأنشدها قوله، فلما سمعت الشعر قالت: "ما يدع الحارث باطله، والله ما قلنا إلا سدداً، ولا أردنا إلا أن نشتري لسانه"[5].

---

[1] شعره، ٣٧/ ص١٣٤.

[2] نفسه، ٢٩/ ص١١٦.

[3] نفسه، ٦٩/٧.

[4] شعره، ٧٣/١٠-٧٤.

* عسفان: موضع في مكة، قيل: موضع بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين، وقيل: قرية جامعة بها منبر ونخيل. (ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص١٢١/١٢٢).

[5] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣١٧/٣١٨.

وكانت عائشة كثيرة الصدود، لا تصل الحارث، فضاق الشاعر بذلك، فقال فيها شعراً كثيراً، وكانت عائشة تحبُّ أن يقول الشاعر فيها شعراً، فكانت تسأل عنه، ومن ذلك أن قادماً قدم من مكة ودخل عليها، فقالت له: ماذا فعل الأعرابي؟ ولم يفهم مرادها، وعندما عاد إلى مكة أخبر الحارث بذلك فدفع إليه برقعة كتب فيها شعراً، وأرسله إليها، ومن شعره فيها:

من كان يسأل عنّا أين منزلنا ... فالأقحوانة منّا منزلٌ قمنُ

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدّره ... طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن [1]

وحال الشاعر كحال العشاق والمحبين، كثيراً ما كان يشكو العذال واللوام كما ذكرنا سابقاً وهو يقول في ذلك:

إن الوشاةَ كثيرٌ إن أطعتهم ... لا يرقبون بنا إلاً ولا ذمما [2]

وكان الشاعر يشكو البين -نذير الشؤوم والفراق. وما يُخلفه هذا الفراق من سقم في الجسم وحزن وألم، يقول:

زعموا بأن البين بعد غدٍ ... فالقلبُ مما أحدثوا يجفُ

والعين منذ أجدّ بينهم ... مثل الجمان دموعها تكف

ومقالها ودموعها سجم ... أقلل حنينك حين تنصرفُ

نشكو وتشكو ما أشتّ بنا ... كلٌ بوشك البين معترف [3]

وكذلك وصف الشاعر سقمه ومرضه نتيجة لهذا الفراق، وما ترك فراقها من شوق لها وحنين، ودموع:

قد سُلَّ جسمي وقد أودى به سقم ... من أجل حيٍّ جلوا عن بلدة الحرم

يحنُّ قلبي إليها حين أذكرها ... وما تذكّرتُ شوقاً آب من أمم

إلا حنيناً إليها إنّها رشأ ... كالشمس رؤد ثقال سهلة الشّيم [4]

وقد شكا الشاعر من نزول الشيب ورحيل الشباب، والشيب نذيرٌ للموت والفناء ولذلك كثرت شكوى الشعراء منه وذمه، يقول الشاعر:

---

[1] شعره، ٤٠/ ١٤٠-١٤١، الأقحوانة: موضع قرب مكة، ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام.

[2] السابق، نفسه، ١١٦/٢٩.

[3] شعره، ٢٠/٩٠، ٩١.

[4] نفسه، ٣٧/ ١٣٤، ١٣٥.

رحل الشباب وليته لم يرحل وغدا لطيَّة ذاهـب متحمّل

ليت الشّباب ثوى لدينا حقبة قبل المشيب وليته لم يعجل [1]

ولذلك فقد ظهرت بعض من المعاني العذرية في شعر الحارث الغزلي، ولا يعني هـذا أن الحارث شاعر غزل عذر ، وذلك لأن شعره يفتقر إلى أهم سمة من سمات العذريين، وأبرزهـا وضوحاً –وهي الوحدانية في الحب، أي التغزل بمحبوبة واحدة.

وعلى هذا فإن شعر الحارث المخزومي يمثل تيارات الغزل في عصره خير تمثيل.

حب الحارث وغزله بأعلام النساء في عصره

الحارث وعائشة بنت طلحة.

تغزل الشاعر بنساء عديدات، وفي شعره جريدة كبيرة بأسماء النساء التـي وردت فـي قصائده ومقطوعاته، واستحوذت عائشة بنت طلحة على كثير من شعره الغزلي، وله فيها أشـعار كثيرة، وذكر سابقاً –أن ابن المرزبان ألف كتاباً في شعر الحارث بعائشة.

وهي عائشة بنت طلحة بن عبيد بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيـم وأمها: أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق[2].

وكانت عائشة من أندر نساء عصرها حسناً وجمالاً وعفة وأدباً، وكان لـها علـم كبـير بأخبار العرب وأشعارهم، فهي عالمة وأديبة، وكانت لا تستر وجهها مـن أحـد ولمـا عاتبـها مصعب ابن الزبير في ذلك، كانت تقول: "إن الله قد وسمني بميسم جمال أحببتُ أن يراه النـاس، ليعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره، ووالله ما فيَّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد" [3].

وكان عبد الله بن عبد الرحمن قد تزوجها، وهو زوجها الأول، وله منها: عمران، وعبـد الرحمن فكانت تكنى بأم عمران[4].

---

[1] نفسه، ١١٣/٢٩.

[2] الأغاني، الأصفهاني، مصدر سابق، ج٣، ص١٧٦، وينظر: عمر كحالة، أعلام النساء، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٧- ص١٥٤.

وجمال فرحات، ذم النساء في التراث العربي، الدار العالمية، بيروت، د.ت، ص٧٦-٧٨.

وينظر: جبرائيل جبور، حب عمر بن أبي ربيعة وشعره، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م، ص٦٥-ص٨٨.

[3] المصدر السابق، نفسه، ج٣، ص١٨٧/١٨٨.

[4] نفسه، ج٣، ص١٨٤.

وقد تغزل الشاعر بعائشة في ثماني قصائد، يذكرها صراحة مرّة، ويكنّي عنها أحياناً بجاريتها "بسرة" أو أثلة وعثمة، وغير ذلك من الكنى، ويتميّز غزل الشاعر بعائشة بأنه غزلٌ صادقٌ عفيفٌ.

وعندما ارتحلت عائشة وزوجها مصعب إلى العراق، عزّ على الشاعر رحيلها، فصوّر شدة حبه لها وتعلقه بها، ذاكراً جمالها وسحر وجهها، يقول:

ظعن الأمير بأحسن الخلق — وغدا بلبّك مطلع الشّرق
فظللت كالمقهور مهجته — هذا الجنون وليس بالعشق
أترجّة عبق العبير بها — عبق الدّهان بجانب الحقّ
ما صبّحت أحداً برؤيتها — إلاّ غدا بكواكب الطّلق (١)

وله فيها مقطوعة، يظهر فيها كثير من السمات العذرية، حيث يصف الشاعر أثر الفراق والرحيل في نفسه بأسلوب حواري، فيشكو الشاعر البين -نذير الشؤوم والفراق، يقول:

زعموا بأنّ البين بعد غدٍ — فالقلب مما أحدثوا يجفُ
والعين منذ أجدّ بينهم — مثل الجمان دموعها تكفُ
ومقالها ودموعها سجمٌ — أقلل حنينك حين تنصرفُ
تشكو ونشكو ما أشتّ بنا — كُلٌّ بوشك البين معترفُ (٢)

وحال الشاعر حال كل الشعراء العشاق، فهو يشكو من اللائمين والعاذلين، أولئك الذين يحاولون، وضع الحواجز دون لقاء الأحبة، ويقدم الشاعر الأعذار إلى صاحبته على ذنوب لم يرتكبها، وينحو باللائمة على الكاشحين:

إني أتيت بشكوى لا أسرُّ بها — وذرو قولٍ ولم أخش الذي نجما
حتّى بدا لي ولم أعلم بقائله — وقد أكون ما حاولته فهما
لا يرغم الله أنفاً أنت حاملـه — بل أنف شانيك فيما ساءكم رغما
إن كان رابك شيء لست أعلمه — منّي فهذي يميني بالرّضا سلما
إن آلوشاة كثيرٌ إن أطعتهم — لا يرقبون بنا إلاّ ولا ذمما (٣)

وله أيضاً فيها قصيدة طويلة، تبلغ سبعة عشر بيتاً، يصف جمالها وحسنها، فتبدو كالبدر إشراقاً وجمالاً، وهي تفوق النساء جمالاً وحسناً، فإذا حضرت في مكان فإنه يكتسي الجمال

---

(١) شعره، ٢٣/٩٦-٩٨.
(٢) شعره، ٢٠/ ٩٠-٩١.
(٣) شعره، ٣٥/ ١٣٠-١٣١.

والحسن، حتى إن جمال النساء الأخريات يختفي ويضمحلّ إذا ما حضـــرت عائشـــة، ويجعـــل الشاعر كل النساء فداءً لها:

إنّ شخصاً رأيته ليلـــة البـــد ... ر عليه انثنى الجمـــال وحـــلاّ
جعـــل الله كـــلّ أنثـــى فداءً ... لك بل خدها لـــرجـــلك نعـــلا
وجهك البدر لو سألت به المز ... ن من الحسن والجمال استهلاّ
إنّ عند الطـــواف حيـــن أتته ... لجمـــالاً فعمـــاً وخلقـــاً رفـــلاّ
وكسين الجمال إن غبن عنها ... فإذا ما بدت لهـــنّ اضمحـــلاّ [1]

ثم ينتقل إلى تقديم الاعتذار، ويعترف لها بأن ما كان قد حصـــل، فـــهو غـــير مقصـــود ويطالبها بعدم الصدود عنه، لأنها إن فعلت ذلك إنما تقتله، فيسعى إلى رضاها فـــهو يغضـــب إن غضبت وسخطت، ولكنه يشعر بالرضى والسعادة إن رضيت عنه:

اتّقي الله واقبلي العذر منّي ... وتجافي عن بعض ما كان زلاّ
لا تصـــدّي فتقتليني ظلمـــاً ... ليس قتـــل المحـــبّ للحبّ حلاّ
ما أكن سؤتُكم به فلك العت ... بـــى لدينـــا وحـــقٌ ذاك وقـــلاّ
لم أرحّب بأن سخطت ولكن ... مـــرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا [2]

وقال الشاعر فيها، وقد كنى عنها بجاريتها وحاضنتها (بشره).

يـــا بشر إنّي فاعلمي ... بـــالله مـــجتهداً يميني
ما إن صرمت حبالكم ... فصلي حبالي أو ذريني [3]

وقـــال أبو عبيدة عن هذه الأبيات[4]، قـــدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة، فلـــم يـــزل الحارث يدور حولها، وينظر إليهـــا، ولا يمكنـــه كلامهـــا، حتى خرجت، فذكر الأبيات السابقة.

لقد أحب الشاعر عائشة بنت طلحة حباً صادقاً عفيفاً، وأكثر غزله فيها، وكان الحـــارث يتوسل إليها بكافة السبل والوسائل التي تتيح له اللقاء بها والتحدث إليها كما كانت عائشة ترغـــب أن يذكرها في شعره، فكانت تسأل عنه وعن شعره فيها، وقدمت عائشة -مرة- تريد الحج، فلمـــا كان وقت الصلاة، وأذن المؤذنون، أرسلت إليه عائشة أنه بقي عليّ شيء من طوافي لـــم أتمـــه، فقعد الحارث وأمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة، وجعل الناس يتصـــايحون، حتـــى فرغـــت مـــن

---

[1] نفسه، ٢٧/١١٠-١١١.
[2] شعره، ٢٧/ ١٠٩-١١٠.
[3] شعره، ٤٢/ ١٤٤-١٤٥.
[4] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج١١، ص١٩٧.

طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله عن ولاية مكة، وكتب الحارث إليه: "والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبّرت" [1].

وهكذا فقد خسر الحارث ولاية مكة بسبب ذلك، كما خسر لقاء عائشة.

الحارث وليلى بنت أبي مرّة

وهي المرأة الثانية في حياته، وهي ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها: ميمونة بنت أبي سفيان، وهي من نساء قريش الشريفات المشهورات وهي من أجمل نساء قريش، قدمت الحج وأخذت تطوف بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد، وأعجب بها[2]، فأنشأ يقول:

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى ... من النّاس شمساً بالعشاء تطوفُ

أبو أمّها أوفى قريش بذمّةٍ ... وأعمامها إمّا سألت ثقيفُ [3]

فقد شبه الشاعر ليلى بالشمس في الحسن والضياء، كما نوّه الشاعر بمكانتها في قريش، فجدُّها أبو سفيان بن حرب، من أشهر رجالات قريش مكانة، وكذلك أعمامها ينتسبون إلى ثقيف.

وقد وقف الشاعر على أطلال ليلى، فأطلالها في الجزع بين المشقر والحضر، من مكة وقد وقف الشاعر على هذه الأطلال، بعد رحيل أهلها، فهي خالية من الأنيس، مقفرة وموحشة، فأخذ يستعيد ذكرياته الماضية، فوقف على أطلالها منذ الصباح وحتى العصر، يبكي عهودها ومواثيقها السابقة:

أمن طلل بالجزع من مكّة السدّر ... عفا بين أكناف المشقّر فالحضر

ظلت وظلّ القوم من غير حاجةٍ ... لدن غدوة حتّى دنت حزة العصر

يبكّون من ليلى عهوداً قديمة ... وماذا يبكّي القوم من منزلٍ قفر [4]

ويتخذ شعره بليلى هذه طابعاً قصصياً، فقد أرسلت إليه رسولاً يلومه في عدم زيارتها، وتزعم أنه قد سئم حبها، وأرسل الشاعر إليها يخبرها عن سبب غيابه وإخلافه زيارتها، وذلك بسبب المرض الذي ألمّ به، يقول:

---

[1] المصدر السابق، نفسه، ج٣، ص٣١٨.

[2] الأغاني، الأصفهاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٠.

[3] شعره، ٩٢/٢١.

[4] شعره، ٨٤/١٦. المشقر: سوق في الطائف. الحضر: موضع بين مكة والمدينة.

لقد أرسلت في السرّ ليلى تلومني ... وتـزعمني ذا مَلّـة طـرفا جـلدا
وقـد أخلفتنا كـلّ ما وعدت به ... والله مـا أخلفتها عـامداً وعـدا
فقلت مجيباً للرسـول آلـذي أتى ... تراه لك الويلات مـن قـولها جدّا
أفي مكثنا عنكـم ليالٍ مرضتُهـا ... تزيدينني ليلى علـى مرضي جهدا
تُعـدّين ذنباً واحـداً مـا جنيتـه ... عليّ ومـا أحصـي ذنوبكم عدًّا
فإن شئتِ حرّمت النساء سواكـم ... وإن شئتِ لم أطعم نقاخاً ولا بردا[1]

هذا معظم غزل الحارث بليلى، وهو لا يشكل كماً كبيراً إذا ما قورن بغزله بعائشة.

الحارث وأم عمران.

وهي أم عمران بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، ولـم تذكـر المصـادر اسمها، ولكنها عرفت وشهرت بكنيتها في شعر الحارث، وكانت أم عمران هذه عند عبد الله بـن مطيع، وله منها ابنان: عمران ومحمد، وعندما توفي عنها زوجها عبد الله، تزوجها الحارث بـن خالد، فولدت له فاطمة بنت الحارث[2].

ويبدو أن الشاعر كان يحب زوجته حباً كبيراً، فقد ذكر شدة حبه لها، وشوقه إليها، وكـان يسعى ويتمنى وصالها ونوالها، وقد ذكرها الشاعر بكنيتها أم عمران، يقول:

يا أم عمران ما زالت وما برحت ... بي الصبابة حتى شقّني الشفقُ
لا أعتـق الله رقي من صبابتكم ... مـا ضرّني أنني صبٌّ بكم قلقُ
يتوق قلبي إليكـم كـي يلاقيكم ... كمـا يتوق إلى منجاته الغرقُ [3]

وقد أنشد هذا الشعر في مجلس بحضرة ابنها عمران، ثم فطن المنشـد، فأمسـك عـن القول، فقال له عمران: "لا عليك، فإنها كانت زوجته، امض رحمك الله، وما بأس بذلك، رجـل تزوج ابنة عمه، وكان لها كفـءً كريماً، فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا"[4].

---

[1] شعره، ص ١٥٥-١٥٧، النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده.
[2] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٧.
[3] شعره، ٢٢/ ٩٤-٩٥.
[4] الأصفهاني، السابق، نفسه، ج٣، ص٣٢٧.

وتشبيب الشاعر بأم عمران ينمُّ عن حبٍّ يحمله لها في قلبه، فلا تشوبه نزعة عابرة، وقد كنّى الشاعر عنها (بظليمة) في مقطوعة من شعره، افتتحها بالوقوف على ديارها وأطلالها، ثم يصفها ويبين جمالها -وربما يكون الشاعر قد قال قصيدته فيها قبل أن تصبح زوجة له، لأنه يذكر أنها تصده، وهو يتمنى أن يتحدث معها:

أقوى من آل ظليمة الحزم ... فالغمرتان فأوحش الخطمُ
فجنوب أثبرة فملحدها ... فالسّدرتان فما حوى دسمُ
إذ ودّها صاف ورؤيتها ... أمنية وكلامها غنمُ
أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلمُ
أقصيته وأراد سلمكم ... فليهنه إذا جاءك السّلمُ [1]

وقد شهر هذا الشعر بفعل الغناء، حيث غُنّي به في مجالس اللهو والسمر، وينم معظمه عن عاطفة صادقة.

الحارث وأم بكر.

تغزل الشاعر بامرأة لم يذكر اسمها، وكنى عنها بـ (أم بكر)، روي: أن الشاعر كان واقفاً على جمرة العقبة، فرأى أم بكر، وهي ترمي الجمار، فرأى أحسن الناس وجهاً، وكان في خدها خال ظاهر، فسأل عنها وأخبر اسمها، وعرف مكانها، فكان يرسل إليها، يطلب منها أن تأذن له بالحديث إليها، فأذنت له فكان يأتي إليها ويتحدث معها، حتى انقضى موسم الحج، فأرادت الخروج إلى بلادها، فقال الحارث: فيها شعراً، منه:

ألا قل لذات الخال يا صاح في الخدّ ... تدوم إذا بانت على أحسن العهدِ
ومنها علامات بمجرى وشاحها ... وأخرى تزين الجيد من موضع العقدِ
وترعى من الودّ الذي كان بيننا ... فما يستوي راعي الأمانة والمبدي [2]

---

[1] شعره، ٣٢/ ١٢٠-١٢٤.

الخطم: موضع دون سدرة آل أسيد، وهو موضع قرب المدينة.

الحزم: موضع في مكة، أمام خطم الحجون الذي دون سدرة آل أسيد، يساراً على طريق نخلة والحاج العراقي، وأصل الحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته. (الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٤).

الغمرتان: منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها.

[2] شعره، ٦٩/٧.

فقد ذكر الشاعر صفات "أم بكر"، ففي خدها خال، كما أن في مجرى وشاحها علامات ويطلب إليها الشاعر المحافظة على العهود والمواثيق، إذا ما ارتحلت، ويذكر الوجد الفراق والبين، يقول:

كثير إذا تدنوا اغتباطي بك النوى ووجدي إذا ما بنتم ليس كالوجدِ

أقول ودمعي فوق خدي مُخصّلٌ لـه وشلٌ قد بلّ تهتانه خدّي

لقد منح الله البخيلة ودّنا وما منحت ودّي بدعوى ولا قصدِ [1]

فيصفها الشاعر بالبخل، وأنها قد أخذت منه المودة والمحبة دون دعوى أو قصد وربما أن الشاعر رأى "أم بكر" في موسم الحج، فقال قصيدته السابقة متغزلاً بحسنها وجمالها، وهو حب عابر لا يبلغ حب الشاعر لعائشة بنت طلحة أو ليلى المرية.

وتغزل الشاعر بنساء أخريات، وردت أسماؤهن في شعره، مثل: عثمة، وأثلة، ونعم، وغيرها، ولعل هذه الأسماء كانت كُنى عن عائشة بنت طلحة أو غيرها.

ويمكن أن نقول إن الحارث قد خصص كثيراً من شعره الغزلي في عائشة بنت طلحة فقد كان يكني عنها بكنى كثيرة فربما أن كثيراً من هذه الأسماء كنى لعائشة بنت طلحة

موضوعات أخرى:

لم يتطرق الشاعر كثيراً إلى موضوعات الشعر المعروفة كالمدح والفخر، وغيرها من الموضوعات التي كانت شائعة في الشعر العربي، فالحارث من شعراء الغزل خصص شعره للتغزل بالمرأة، ولكن لدينا أبياتامن شعره في الهجاء والعتاب، ساقتها مناسبات اسخطته، فهجا وعاتب.

I الهجاء في شعر الحارث

يشكل الهجاء عند الشاعر المخزومي الموضوع الثاني بعد الغزل، ولا يشكل شعره في هذا الجانب كماً كبيراً، "فالحارث شاعر غزل، كان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح أو الهجاء،"[2] إلا أنه سقطت بعض المقطوعات والأبيات من شعره، في الهجاء، في مناسبات أسخطته، وقد بلغ عدد أبيات شعره في الهجاء أحد عشر بيتاً، معظمها من نوع الهجاء الشخصي، الذي كان يقال نتيجة لخصومات أو منازعات شخصية، وتشكل أبيات

---

[1] شعره، ص٧٠.

[2] الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٣٠٩.

الحارث في الهجاء جانبا من شعره، والشاعر الغزلي في العادة ضعيف الهجاء وقليله لأن الرقة في الغزل تضعف عدوان الهجاء.

ومن هجائه، مقطوعة قالها في هجاء أبان بن عثمان بن عفان، عندما نازعه أبان على الصلاة بالناس، وكان عبد الملك بن مروان قد شغل عن أن يولي أحداً على الصلاة، وعامله على مكة، الحارث بن خالد، وعلى المدينة، أبان بن عثمان، فخرج أبان من المدينة إلى مكة ليصلي بالناس، وتنازع مع الشاعر -والي مكة- على الصلاة بالناس فاشتد الخلاف بينهما، وتغالبا، فغلبه أبان بنسبه، ومال إليه أكثر الناس وصلى بهم[1]، وغضب الحارث غضباً شديداً وقال يهجوه:

فإن تنجُ منها يا أبان مسلّماً ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

وكاد غداة الدير ينفذ حضنه ... غلام بطعن القرن جدُّ طبيب

وأنسوه وصف الدير لما رآهم ... وحسَّن خوف الموت كل معيب [2]

والشاعر في الأبيات السابقة، يعرض بالحجاج، عندما كان يقاتل شبيب الخارجي في ديو الجماجم مما أثار غضب الحجاج، فلقيه بعد ذلك، وقال له: مالي ولك يا حارث، أينازعك أبان عملاً فتذكرني، فاعتذر الحارث قائلاً: ما اعتمدت مساءتك، والمعذرة إلى الله وإليك أبا محمد[3].

وقال الشاعر أبياتاً في هجاء عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، فقد كان في حرب الأزارقة سنة (٧٤هـ)، وكان قد فر من المعركة، فصور الشاعر فراره بأسلوب يميل إلى السخرية والتهكم، وليس في هذا الهجاء إقذاع أو فحش، يؤذي الذوق ولكنه هجاءٌ قاس يقول:

فرّ عبد العزيز لمّا رأى الأبـ ... ـطال بالسفح نازلوا قطريّا

عاهد الله إن نجا ملمنايا ... ليعودنَّ بعدها حُرميّا

يسكن الخلَّ والصّفاح فمرّا ... ن وسلعاً وتارة نجديّا

حيث لا يشهد القتال ولا يسـ ... ـمع يوماً لكرِّ خيل دويّا [4]

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٠.

[2] المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٣٣٠، وينظر: شعره، ٦١-٦٢.

[3] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٠.

[4] شعره، ٤٥/ ص١٤٩-١٥٠.

ويبدو أن الشاعر كان على عداء مع أفراد أسرة آل أسيد، وكان يناصبهم العـــداء، فقـد هجا خالد بن أسيد أيضاً، من خلال التعريض بهذه الأسرة:

هلاّ صبرتم بني السوداء أنفسكم حتّى تموتوا كما ماتت بنو أسد

حـامت بنو أسد عن مجد أوّلها وأنتـم كنعـام القاعـة الشرّد [1]

ولا شك أن هجاءه لا يخلو من القسوة، ولكنه غير مبتذل، إذ عرض الشاعر بخـالد بـن أسيد من خلال فرار بني أسيد من القتال، ويقارن الشاعر بينهم وبين بني أسد، الذين كـان لـهم الصبر والشجاعة في الحروب، فيمدح بني أسد ويسخر من بني السوداء، ويصفهم بالجبن الشـديد مشبها إياهم بنعام القاعة الشرد، كناية عن جبنهم وخوفهم.

كما هجا الشاعر هذه الأسرة، وعيّرهم بالفرار من المعارك والحروب، فهم بذلك يجلبـون الخزي والعار لقريش كافة، على الرغم من ضخامة أجسامهم ومناكبهم، فينفي عنهم صفة القتـال والمعـارك، بـل هم في وقت القتال لا نفع فيهم، ووقت السلم يتصدرون المجـالس والمحـافل، يقول:

فضحتـم قريشا بالفرار وأنتم قمـدون سـودان عظام المناكب

فأمّا القتال فلا قتال لديكم ولكن سيرا في عراض المواكب [2]

وكان الشاعر قد قدم على عبد الملك بن مروان في دمشق، وفي مقدمة خطـب حميـدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري*، وكانت حميدة سليطة اللسان، وعارضـة وشـم، وكـانت تهجـو أزواجها، فقالت أبياتا تهجو فيها الحارث:

نكحت المديني إذ جائني فيا لك من نكحـة غـاويـه

كهول دمشق وشبّانهـا أحـبّ إلـيّ مـن الجـاليـه

صنان لهم كضنان التيّو س أعيا على المسك والغاليه [3]

---

[1] شعره، ٨/٧١.

[2] شعره، ١/٥٩-٦٠ .

* هي حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، شاعرة دمشقية، أصلها من المدينة كان أبوها والياً على حمص، تزوجت المهاجر بن عبد الله بن خالد وطلقها، فتزوجها الحارث بن خالد المخزومي، ثم روح بن زنباع، ثم تزوجها الفيض بن محمد بن الحكم الثقفي، فأحبته وولدت له بنتاً، تزوجها الحجاج بن يوسف، توفيت بالشام في أواخر خلافة عبد الملك (ت.ح ٨٥هـ).

[3] ينظر في ذلك: عمر كحالة، أعلام النساء، جـ١، ص٢٩٨-٢٩٩.

فرد عليها الحارث بأبيات يهجوها، يقول فيها:

أسنـــا ضـــوء نـــــار بالقفـــــ ... رة أبصرت أم سنا ضوء برق

قاطنات الحجون أشهى إلى قلـــ ... ـبـــي مـــن ساكنات دور دمشق

يتضوعن لو تضمخن بـــالمســـ ... ـك صنانا كـــأنه ريح مـــــرق. [1]

ثم طلقها الشاعر وخلف عليها روح بن زنباع، ولهذا الأخير معها مســـاجلات شـــعرية، وهجاء كثير.[2]

وروي أن الفضل بن عباس هجا الحارث المخزومي وافتخر بنفسه، فأنشد:

أنـــــا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة في بيت العرب

من يساجلني يُساجل ماجداً ... يمـــــلأ الدلو إلى عقد الكرب

ولما فرغ من إنشاده، قال الحارث المخزومي: ﴿**تبت يدا أبـــي لـــهب وتـــب**﴾، وذلـــك تعريضا بأمّه، فصاح الناس بالفضل، وأخذوا يتضاحكون فكفّ عن الهجاء وأنشد:

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ... أم مـــا تُعيّر من حمالة الحطب

غـــرّاء شادخة في المجد غرّتها ... كانت سليلة شيخ ثاقب الحسبِ[3]

هذا معظم ما سقطت لدينا من شعر الحارث في الهجاء، وهو على قلته، يمثل بعدا مـــن أبعاد شعره الموضوعية، ويتميز هجاء الشاعر بالميل إلى القصر والايجاز فكان يميل إلى قصـــر الهجاء، لأن القصر في الهجاء أجود من الإطالة.[4]

ولا يلاحظ الجودة الفنية في شعره الهجائي، كما أنه يخلو من الفاحشة والمبالغـــة، فـــهو أقرب مـــا يكون إلى دعوات وخطرات آنية ومؤثرات نفسية،[5] يميل فيه الشاعر إلـــى التـــهكم والسخرية.

---

[1] شعره، ١٦٢/٤.

[2] عمر كحالة، أعلام النساء، مرجع سابق، جـــ١، ص٢٩٩.

[3] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: عبد العزيز الدوري، (د.ط)، دار فرانتس شتانير، بيروت، ١٩٧٨م، جـــ٣، ص٣٠٨.

[4] ينظر في ذلك: ابن رشيق، العمده، مصدر سابق، جـــ٢، ص١٧٢.

[5] شعره، المقدمة، ص٤٣.

II الشكوى والعتاب

يشكل العتاب والشكوى جزءا يسيرا من شعر الحارث، فقد كان الشاعر يشكو الغربة والبين والفراق، كما قال شعرا في العتاب، وقد وردت كثير من الأبيات الشعرية، التي تحمل العتاب والشكوى ضمن شعره الغزلي.

ومن شعر الحارث في العتاب، أبياته في عتاب عبد الملك بن مروان، عندما قدم عليه في دين أصابه، فوقف في بابه شهرا لا يصله، وظهرت للشاعر جفوة وقطيعة وهجر من الخليفة، فخرج من عنده غاضبا عاتبا، وقال في ذلك:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

وما بي وإن أقصيتني من ضراعة ... ولا افتقرت نفسي إلى من يضيمها

عطفت عليك النفس حتى كأنما ... بكفيك بؤسي أو لديك نعيمها[1]

ولما سمع عبد الملك بن مروان هذه الأبيات، أرسل في طلبه، فلما دخل عليه قال له: "حار، هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة؟ فقال: لا، ولكني اشتقت إلى أهلي ووطني، فوجدت فضلا من القول فقلت وعلي دين لزمني، قال: وكم دينك؟ فقال: ثلاثون ألفا، قال: فقضاء دينك أحب إليك أم ولاية مكة؟ قال: بل ولاية مكة، فولاه إياها"[2]

لقد رحل الشاعر إلى الشام، وعانى الغربة، بقصد طلب الجاه والسلطان والمال من عبد الملك بن مروان، ورحلة الشاعر اختيارية، إذ اختار الرحيل من بلاده، ورحلته هذه تصبح رحلة اغتراب وحنين، عندما ظهرت له الجفوة من الخليفة، فتغلغل في نفسه الشعور بالغربة زمانيا ومكانيا، الأمر الذي دفع بالشاعر إلى الحنين إلى أهله ووطنه، الذي يمثل شعوره في الأنتماء والأعتزاز بمجتمعه الحجازي.[3] وقد قال في هذا الشعور:

وإن ذا القصر حي ما به وطني ... لكن بمكة أمسى الأهل والوطن[4]

إذا الحجاز خوى ممن نسر به ... والحاج داج به مغرورق ثكن

---

[1] شعره ٣٩/ص ١٣٧-١٣٨.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٣.
ينظر الخبر:التنوخي، القاضي أبو القاسم علي بن المحسن، لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار، تحقيق: علي حسين البواب، (د.ط)، عالم الكتاب، الرياض، ١٩٩٣م، ص١١٤، وفيه خلاف وزيادة.

[3] ينظر: فاطمة السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، (ط١)، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١١-١٢.

[4] شعره، ص١٤٢.

III الرثاء

وفي شعره بيت في رثاء هشام بن المغيرة المخزومي؛ أحد سادات بني مخزوم وقد عثر البحث على أربعة أبيات، تتفق والبيت المذكور في الوزن والقافية والموضوع، مما يرجح أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة في رثاء هشام، لم يبق منها سوى هذه الأبيات:

وأصبح بطن مكة مقشعرا — كأن الأرض ليس بها هشام

يظل كأنه أثنا سرط — وفوق جفنه شحم ركام

فللكبراء أكل حيث شاءوا — وللصغراء أكل واقتثام

ماح البلاد لنا في أوليتنا — على حسود الأعادي مائح قثم[1]

وليس في شعره غير هذه الأبيات في الرثاء –إن صحت نسبة الأبيات إليه.

أما الوصف، فورد للشاعر بيت مفرد في وصف البرق، فمن رواية جاء فيها "خرج عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبو ربيعة المصطلقي، ورجل من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد يشيعون بعض خلفاء بني أمية، فلما انصرفوا نزلوا بسرف، فلاح لهم برق، فقال الحارث: كلنا شاعر فهلموا نصف البرق، فقال عمر بن ابي ربيعة:

أرقت لبرق آخر الليل لامع — جرى سناه ذو الربى فينابع

فقال الحارث:

أرقت له ليل التمام ودونه — مهامه موماة وأرض بلا قع

وقال المخزومي:

يضيء عضاة الشوك حتى كأنه — مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر:

أيا رب لا آلو المودة جاهدا — لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال: مالي وللبرق والشوك"[2]

من خلال ما سبق يتبين أن الحارث لم يقل شعرا في الوصف عدا هذا البيت الذي ورد ضمن هذه المباراة في وصف البرق.

ويمكن أن يلاحظ أن الضرب الوحيد، الذي صرف الشاعر همه وأجاد فيه، هو الغزل ويشكل معظم شعره. أما الموضوعات الأخرى، فموضوعات فرعية وثانوية، لا نجد فيها أثرا للجودة الفنية، أو الموهبة الخلاقة.

---

[1] ينظر ص (٥٠) من هذا البحث.

[2] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣١٧.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

بين القصيدة والمقطوعة

ذكر سابقا أن كثيرا من شعر الحارث ربما يكون قد ضاع، ويلاحظ كثرة المقطوعات الشعرية في مجموع شعره، ومنها مقطوعات قصيرة لا تتجاوز أبياتها البيتين أو الثلاثة.

وأول ما يلمسه الدارس لهذا الشعر كثرة المقطوعات، أما القصائد فهي قليلة العدد، لا تتجاوز ثماني قصائد، وأغلبها من القصائد المتوسطة الطول، فليس في شعره قصائد طويلة، وقبل الخوض في بناء هذه القصائد والمقطوعات، لا بد من التفريق بين القصيدة والمقطوعة أولا، ومن ثم بيان عوامل وأسباب ازدهار فن المقطوعة الشعرية في عصر الشاعر.

القصيدة مجموعة من الأبيات الشعرية يضمها بحر واحد، وتلتزم بقافية واحدة وأما من حيث الطول وعدد الأبيات، فهي عند الأخفش، ما تتألف من ثلاثة أبيات فأكثر، وما دون ذلك فهو المقطوعة.[1] وذهب الفراء إلى إعتبار أن القصيدة هي ما بلغت عشرين بيتا، أما إذا بلغ النص عشرة أبيات فهو قطعة وأما البيتان أو الثلاثة فيطلق عليهما نتفة.[2]

ونجد القصيدة عند ابن جني، ما تجاوزت خمسة عشر بيتا، وما دون ذلك فهي المقطوعة. وقد ذهب ابن رشيق إلى غير ذلك، فحدد القصيدة بسبعة أبيات فأكثر وقال في ذلك: "إذا بلغت الأبيات سبعا فهي قصيدة، ولذلك كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد الناس"[3]، وعلى ذلك فإن المقطوعة ما دون السبعة أبيات، وهو الرأي الراجح والأكثر قبولا عند كثير من الدارسين.

وعلى هذا الأساس، يمكن تقسيم شعر الحارث إلى قصائد، وبلغ عددها ثماني قصائد، أما القسم الآخر، فهو مقطوعات، وتشكل باقي شعره.

ومن ما سبق يتبين أن معظم شعر الحارث مقطعات شعرية، تمتاز بالقصر ذلك أن شعر الغزل يتطلب بناء مثل هذه المقطعات ذات الأبيات القليلة لكي يسهل حفظها من ناحية، ولكي تتلاءم وفن الغناء من ناحية أخرى وقد نما شعر المقطوعة في بيئة الحجاز وازدهر، وأصبحت المقطوعة من أهم ركائز الشعر الغنائي، يقول يوسف خليف: "ظهرت المقطوعة وأصبحت هي

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، جـ٥، ص٣٦٤٣، مادة "قصد".

(2) الباقلاني، إعجاز القران، تحقيق: السيد احمد صقر، (د.ط)، دار المعارف، مصر، د.ت، ص٩٥.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، جـ٥، ٣٦٤٣، وابن رشيق، العمدة، جـ١، ص١٦٢، وينظر في هذه الآراء: سعيد عيد العطوي، المقطعات الشعرية في الجاهلية والإسلام، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٣م، ص(١١-١٥).

الوحدة الأساسية في هذا الشعر الغنائي، وبدأت القصيدة تختفي منه محتفظة بمكانها الرسمي في الشعر التقليدي، ولم تكن هذه الخصائص مقصورة على شعر الغناء فحسب، وإنما كانت ظاهرة فنية في كثير من الشعر الذي لم يتغن به، فحتى في هذا الشعر كان الشعراء يحرصون على أن يوفروا هذه الخصائص، وذلك لأنها أصبحت البدع الفني بين شعراء هذه الدور الغنائية"[1]

ولقد عكف شعراء الغزل الحضري في الحجاز على بناء المقطوعة الغزلية، وكادت القصائد الطويلة تختفي من شعرهم إلا نادرا، وكان الحارث المخزومي من هؤلاء الشعراء الذين كثرت المقطوعات في أشعارهم، وكثير من مقطوعاته تتكون من أبيات مفردة، ربما كانت أجزاء من قصائد ضاعت أصولها، ولم يبق منها سوى البيت أو البيتين -كما ذكرنا سابقا-.

وعلى أية حالة فقد حدث تطور كبير في قصيدة الغزل العربية في عصر الشاعر، فاختفت المطولات الشعرية، وظهرت المقطوعات عند شعراء الغزل الحضري في مكة والمدينة، حيث "نجح -في مكة فن المقطوعة والأبيات القليلة، التي يعبر فيها الشاعر في سرعة وايجاز عن حادثة تجري في حياته أو في الحياة الواقعة تحت بصره"[2]، وذلك لكي تتلاءم مع طبيعة الموضوع وفن الغناء الذي ازدهر في ذلك العصر، وقد جمع الشاعر بين القصيدة والمقطوعة في مجموع شعره، مع غلبة المقطوعة على شعره.

ذكر سابقا أن فن المقطوعة ازدهر عند شعراء الغزل في العصر الأموي، فما أسباب شيوع وانتشار فن المقطوعات الشعرية في الحجاز بعامة؟ وفي شعر الحارث بخاصة؟

يمكن إجمال أسباب هذا الازدهار والشيوع فيما يلي:

- التطور الحضاري الذي أصاب كافة نواحي الحياة في المجتمع الحجازي في ذلك العصر، إذ تطورت حياة الناس وتعقدت، وتأثرت بمظاهر حضارة العصر، فلم يعد لديهم الوقت الكافي والاستعداد الكبير للاستماع للقصائد الطويلة، التي تحتاج إلى وقت كبير، كتلك القصائد التي كانت تلقى في الأسواق والمجالس الأدبية.
- طبيعة الموضوع نفسه الذي تعالجه هذه المقطوعات، فقد انتشر شعر الغزل في بيئة الحجاز، فالمقطوعة تعالج موضوعا واحدا وفكرة محددة، وموضوع الغزل لا يسمح بالإطالة وكثرة الأبيات، فهو يتطلب التعبير عن الفكرة بأقصر الطرق وأسهل السبل.

---

[1] يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للثقافة، المكتبة العربية، ١٩٩٥م، ص ٦٠٤.

[2] شوقي ضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة لعصر بني أمية، مرجع سابق، ص١٧.

- نظرية الغناء العربي التي تطورت وازدهرت في العصر الأموي في مكة والمدينة حيث أثر الغناء في شعر الغزل من حيث الأوزان والألفاظ، ذلك لأن فن الغناء يتطلب الميل إلى القصر والإيجاز والنظم في البحور القصيرة والمجزوءة بأسلوب عذب ورشيق،[1] فكان المغنون يميلون إلى الأبيات القصيرة فيعدلون فيها ويغيروا، لتتلاءم مع الألحان.
- محاولة الشعراء في ذلك العصر في التجديد في بناء القصيدة العربية، والخروج من أسر القيود التقليدية في بناء القصيدة، وتمثل ذلك في التخلص من كثير من الأساليب التي كان الشعراء السابقون يتمثلونها كوصف الرحلة والناقة ومشاهد التحمل وغيرها، فتخففوا من بعض هذه الأساليب، ولذلك كان بناء المقطوعة من أنسب الأشكال التي تعبر عن نواحي التجديد في بناء القصيدة.

بناء القصيدة

التزمت القصيدة العربية نسقا ونظاما في بنائها الفني منذ العصر الجاهلي فكانت القصيدة تتكون من أكثر من موضوع، فمطلعها في الغزل، حيث الوقوف على أطلال المحبوبة ومخاطبة ديارها، والانتقال إلى التشبيب بالمرأة، وينتقل الشاعر إلى وصف مشاهد التحمل ويصف رحلته وما يرافق هذه الرحلة، ومن ثم ينتقل إلى الموضوع الرئيس في القصيدة وهو المدح، في أغلب الأحيان.

ومن هنا فقد كان الغزل يأتي في مطالع القصائد ملازما لموضوعات القصيدة الرئيسة كالمدح.

ويشكل بناء القصيدة دعامة أساسية، وركنا مهما من أركان البناء الفني للقصيدة والعمل الشعري بشكل عام، وقد تحدث النقاد العرب عن بناء القصيدة العربية، وكان ابن قتيبة (٢٧٦هـ) أول من تعرض لذلك، حيث قسم القصيدة إلى أجزاء، تبتدئ بالوقوف على الأطلال والآثار، فبكاء الديار بسبب رحيل أهلها وخلوها من الأنيس، ثم النسيب وما يرافقه من شكوى الوجد والصبابة، ووصف الصحراء والرحلة، ثم التخلص إلى الغرض الرئيس من القصيدة يقول: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين، ... ثم

---

[1] ينظر في ذلك: يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت،د.ت، ص٣٣٠.

وللمؤلف نفسه، بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم،الطبعة الثانية،دار الأندلس،بيروت،١٩٨٣م،ص٢٣٢.

وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل إليه القلوب ويصرف إليه الوجوه... لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بايجاب الحقوق، فرحل في شعره، فشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وإنضاء الرحلة والبعير، فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة..."[1].

ويعد نص ابن قتيبة السابق، أقدم النصوص النقدية حول بناء القصيدة العربية واستمد هذه القواعد والأصول في بناء القصيدة مما غلب على القصيدة العربية في الجاهلية والإسلام، من حيث تعدد موضوعاتها، ولعل هذا النمط في بناء القصيدة يتوافق وقصيدة المدح أكثر من القصائد التي لا تتحدث عن المدح، ورسم ابن قتيبة طريقا ونهجا لبناء مثل هذه القصائد ولكنه أطلق حكمه بشكل عام وطالب الشعراء الألتزام بهذا المنهج، كما طالب المتأخرين من الشعراء بتمثل هذا النهج، يقول[2]: "... فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد".

وظل الشاعر العربي يراعي هذه الأصول والقواعد في بناء القصيدة ويلتزمها إلى وقت متأخر، وظهر شعر الغزل الذي لا يخالطه مدح أو موضوع آخر، في العصر الأموي وازدهر، فظهرت وحدة الموضوع في هذا الغزل وقد غلب على هذا الشعر نظام المقطعات القصيرة، الأمر الذي أدى إلى خروج القصيدة عن النمط التقليدي المألوف في كثير من الجزئيات، إذ توفر في شعر الغزل وحدة فنية، كان أبرز مظاهرها تحول القصيدة إلى مقطوعة ذات موضوع واحد عند كثير من شعراء الغزل.

والحارث المخزومي من الشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي، هذا العصر الذي يحترم الأصول والقواعد الموروثة من العصر الجاهلي، وذلك لقرب العهد بالجاهلية، إضافة إلى أن الشعر الجاهلي كان النهر الذي ارتوى منه شعراء العصر الأموي والعصور المتأخرة.

والدارس لشعر الحارث يلمس أن الشاعر كان يتمثل كثيرا من عناصر القصيدة الجاهلية من حيث طريقة بناء قصائده، ولايعني ذلك أن الشاعر التزم كل ما جاء في نص ابن قتيبة

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٧٤-٧٥.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٧٥-٧٦.

السابق في بناء شعره، فقد كان يخرج كثيرا على هذا النمط المألوف، وأهم مظاهر خروجه على هذا النهج: الجزء الأخير من بناء القصيدة وهو الانتقال للمدح، فلم يتطرق الشاعر في قصائده الىالمدح، وهو شاعر غزل ونسيب، وليس له شعر في المدح. وكذلك تخفف الشاعر من وصف مشاهد التحمل والارتحال وذكر الظعائن.

وكثير من قصائده تسير على النمط المألوف من حيث التقديم للقصيدة بمقدمة في الأطلال والديار، وقد يصف بعض مشاهد التحمل والارتحال بشكل نادر ليصل إلى الشكوى من الفرقة والرحيل، ثم ينتقل إلى الموضوع المهم وهو وصف المرأة.

ولا بد من دراسة شعر الحارث لنبين بناء الشاعر وأسلوبه في ذلك، وفي هذا الجانب لا بد من الإجابة عن الأسئلة التالية: هل سار الشاعر على نهج الشعراء السابقين في بناء قصائده؟ وما مدى التزام الشاعر بالأصول التقليدية في بناء القصيدة؟ وما مظاهر التجديد عند الشاعر في بناء قصائده؟

للاجابة عن الأسئلة السابقة سيتعرض البحث إلى دراسة بناء القصيدة عند الشاعر من حيث: المطلع، أو مقدمة القصيدة، ومن ثم وصف مشاهد التحمل، أو التخلص من المطلع إلى الغرض، فخواتم أشعاره.

١) مقدمة القصيدة:

تشكل مقدمة القصيدة ظاهرة فنية بارزة في الشعر العربي القديم وقد ارتبطت هذه الظاهرة بالقصيدة الجاهلية، وتعددت صورها وأشكالها منذ العصر الجاهلي، فتعددت مقدمات القصائد وتنوعت منذ أرسى الشعراء الجاهليون تقاليدها الفنية، من حيث ابتداء قصائدهم بألوان متعددة من المقدمات: كالمقدمة الغزلية والطللية، ومقدمة الشيب والشباب، أو مقدمة وصف الطيف، وغيرها من المقدمات.[١]

وقد قدم الدارسون تفسيرات متعددة لمقدمة القصيدة، تتدرج في معظمها ضمن اتجاهين رئيسيين: يمثل أولهما اتجاه الاستقراء الموضوعي القائم على دراسة أثر الظرف البيئي والنفسي في التوجيه الفني، ويمثل ثانيهما اتجاه التفسير الرمزي القائم على استشراف معطيات ميثولوجيه وانطباعية تحرك الشاعر في عمله الإبداعي في مقاطع المقدمة المتنامية"[٢].

---

[١] حسين عطوان، مقدمة القصيدة في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤م، ص ص ١٢-١٣.

[٢] محمود الجادر، "قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية"، مجلة الأقلام، العدد(١٢)، بغداد، ١٩٧٩م، ص٥.

ومهما يكن من شأن هذه التفسيرات، فإن الأهم دراسة مقدمات الشاعر لقصـــائده، فكـــان الشاعر يفتتح قصائده ومقطوعاته بالوقوف على الأطلال ووصف الديار، على عادة الشعراء فـــي العصور السابقة لعصره، وأما أهم مقدمات الشاعر والتي يمكن دراستها:

المقدمة الطللية

مقدمة في الشيب والشباب

مقدمة في وصف الطيف

افتتح الشاعر كثيرا من قصائده بالوقوف على الأطلال ووصف الديـــار، فـــهذه أطـــلال صاحبته قد تغيرت وتنكرت، فاندثرت معالمها وآثارها، وبذلك أصبحت موحشة ومقفـــرة، ليـــس فيها إلا الظباء.

يقول:

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعـــدي وبدل آيهن دثـــورا
وتبدلت بعد الأنيس بأهلهـــا عفرا بواغم يرتعين وعورا[1]

فيتساءل الشاعر عن أطلال المرأة باستخدام الاستفهام الإنكاري، وكيف تعرف على هـــذه الديار بعد تغير الأحول، وإقفار هذه الأماكن، فقد رحل من كان يأنس بـــهم فـــي هـــذه الديـــار، وأصبحت خالية من الأنيس، كما أن كثيرا من معالمها اندثر وانطمس بفعـــل عوامـــل الطبيعـــة والزمن، فقد اهتم الشاعر بمطلع قصيدته السابقة، وذلك لأن المطلع مفتاح النص، فالشعر "قفـــل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على مـــا عناه من أول وهله"[2].

ويذكر الشاعر في مقطوعة أخرى عفاء الأطلال، يقول:

أمن طلل بالجزع من مكة السدر عفـــا بين أكناف المشقر فالحضر
ظللت وظل القوم من غير حاجة لدن غدوه حتى دنت حزة العصر
يبكـــون مـــن ليلى عهودا قديمة ومـــاذا يبكي القوم من منزل قفر[3]

---

[1] شعره، ص ٧٧.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده وأدبه، مصدر سابق، جـــ١، ص٢٨.

[3] شعره، ٨٤/١٦.

لقد وقف الشاعر على أطلال ليلى في موضع معروف لديه من مكة، فهذا الطلل قد أقفر وعفته الرياح، وبدا مقفرا موحشا وأخذ الشاعر ورفاقه بالبكاء على هذه المنازل الدارسة، وهو يرثي هذه الحياة التي كانت ثم بادت وتلاشت بما فيها من لحظات سعيدة، وقد كان الشاعر يلح على صورة دروس الديار وعفاء الأطلال، وهو بذلك يجسد احساسه بالموت والفناء والتلاشي.

ودروس الديار من المقدمات التي استخدمها الشاعر في مطالع قصائده بكثرة فقد وصف حال المنازل بعد رحيل الأهل والأحباب، ويعرج الشاعر على بيان أثر عوامل الطبيعة كالرياح والأمطار في هذه الديار.

يقول:

عفت الديار فما بها أهل حزانها ودماثها السهل

تذري الروامس ما استخف لها وجرى بترب عزازها الوبل[1]

فهذه المنازل خلت من أهلها، فأصابها العفاء، وقد أذرت الرياح الأتربة وأجالتها بعيدا، وجرت الأمطار والسيول في أراضيها الصلبة وكذلك الأراضي السهلة المنبسطة، وبذلك فقد تغيرت معالمها وانطمست آثارها، ولم يبق فيها إلا الأوتاد المتفرقة التي كانت تشد إليها الخيل، وكذلك الأثافي التي لا زالت جاثمة مكانها.

يقول:

وأواريا للخيل داثرة مثل الأواخ يمرها الفتل

ورواكدا أصلين منتصبا فترى قراين بينها فصل [2]

وتميزت المقدمة السابقة بأن وقف الشاعر على هذه الديار، فوصف أحوالها وتغير معالمها بحيث لم يبق من هذه الآثار سوى الأواخ والأثافي.

ويخاطب الشاعر الديار وقد انطمست آثارها ومعالمها، فهذه الديار التي يخاطبها استعجمت على الشاعر، ويأبى الشاعر إلا استنطاق هذه الديار برغم علمه المسبق بأنه لن يلقى الجواب، يقول:

دار لبشرة أمست ما تكلمنا وقد أبنت لها لو تفقه الكلما[3]

---

[1] نفسه، ٢٤/٩٩-١٠٠.

[2] نفسه، ١٠٢-١٠٣.

[3] شعره،١٢٨.

ويلح الشاعر على مساءلة الديار والأطلال، فيخاطب الشاعر ربع بشرة فـــي الجنـــاب*، متسائلا عن أهل هذه الديار، فلا حياة في هذا المكان، فهو موحش قفر، وهو بذلك يقلد الشـــعراء السابقين في مساءلة الديار والمنازل عن أهلها ويكون الصمت والسكون التام هو الجواب.

يقول:

يـــا ربـــع بسرة بالجناب تكلم　　وابن لنا خبرا ولا تستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشا　　خلقا كحوض الباقر المتهدم [1]

ويشبه الشاعر الديار بالصحف التي انمحت خطوطها، أو كالمجلد الـــذي أجـــرى عليـــه الماهر الحاذق الخطوط المنتظمة، وقد أثارت هذه المنازل ذكرياته الماضية وأشجانه، فانســـكبت الدموع بغزارة.

يقول:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما　　كالرق أجرى عليها حاذق قلما

بالخيف هاجت شؤونا غير خامدة　　فانهلت العين تذري واكفا سجما[2]

كما أدرك الشاعر فعل الزمن في هذه الديار، فقد أقفرت ودرست رسومها وذلـــك بفعـــل تعاقب الأحداث والأزمان على هذه الرسوم، فهذه الحوادث والسنين غيرت هذه الديار:

يا دار أقفر رسمها　　بين المحصب والحجون

أقوت وغيـــر آيها　　مـــر الحـــوادث والسنين[3]

هذه مقدمات الشاعر الطللية، وقد سلك الشاعر في هـــذه المطـــالع والمقدمـــات مســـلك الشعراء المتقدمين من حيث: ذكر الأطلال والوقوف عليها، ووصف الديار وما أصابها من تغـير وتبدل، وقد كثرت هذه المقدمات في شعره، وألم فيها بتقـــاليد موروثـــة بيـــن شـــعراء العصـــر الجاهلي، فقد أفاد الحارث المخزومي من موضوعات الجاهليين وأساليبهم في وصـــف الأطـــلال والديار، ونوع الشاعر في مضامين هذه المقدمات، ولكن مقدماته قصيرة وقد لا تتجاوز البيـت أو البيتين أحيانا، يلم فيها معالم الديار.

---

* اسم موضع

[1] شعره، ١٣٢.

[2] شعره، ١٢٧، الأبيات (١،٢).

[3] شعره، ١٤٤/٤٢.

وأما من ناحية المضمون فقد اختفت الرحلة في شعره التي ترتبط بـــالأطلال ووصـــف الديار، كما كان يتخفف من مشاهد التحمل والارتحال، ووصف الظعائن.

وبعد عرض مقدمات الشاعر الطللية لا بد من الإجابة عن السؤال التالي:

هل كانت مقدمات الشاعر الطللية حقيقة تعبر عن مواقف عاشها الشاعر؟ أم هل كـــانت ضربا من التخيل والصناعة الشعرية وتقليدا للشعراء السابقين؟

ربما أن كثيراً من مقدمات الحارث السابقة لا تعبر عن حقيقة واقعـــة عاشـــها الشـــاعر وعاينها في أغلبها، وربما لم يقف الشاعر على الأطلال حقيقة، وذلك لأنه عاش في مكة معظـــم حياته، فهو حضري، ولا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا "لأن الحاضرة لا تنسفها الريـــاح ولا يمحوها المطر، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيـــل"[1]. ومن هنا فيمكن أن تعد كثير من هذه المقدمات تقليدا لمذهب القدماء في مطالع القصائد، والشـــاعر يتخذ هذه المقدمات كوسيلة فنية للحديث عن المرأة وجمالها.

والحارث المخزومي من الشعراء الذين لم يتكسبوا في الشعر، فلم يمدح أحدا، وهو مـــن شعراء قريش الغزلين المترفين، يقول عدنان البلداوي، يمكن تصنيف شعراء الحضر بالنسبة إلـــى ذكر الأطلال والديار إلى: "شاعر متكسب وشاعر مترف، فالأول كثير ما يذكر الديار ويصـــف – لا من دافع ذاتي أو رغبة حقيقية في أكثر الأحيان، بل مراعاة لذوق الممدوح، وأما الثاني فإنمـــا يتخيل الأطلال ويقف عندها، ويصفها ليتخذ منها وسيلة تذكره بحبيبته أو وسيلة تســـاعده علـــى التعبير عن ألم الفراق والصدود وخاصة عندما يتعرض لوصف الديار القفراء"[2].

وعلى هذا الأساس فإن الحارث المخزومي كان يتخذ ذكر الأطلال والديار فـــي مطـــالع القصائد لأكثر من غرض، فهذه الديار والأماكن –التي أكثر منـــها الشـــاعر– تذكـــره بأمـــاكن المحبوبة وماله في هذه الأماكن من ذكريات، وبالتالي تذكره بالمرأة.

وعلى هذا فإن ابتداء الشاعر ومطالع قصائده في أغلبـــها مـــن الوســـائل الفنيـــة التـــي استخدمها الشاعر لكي يحقق لشعره نسقا لا يختلف فيه عن القصيدة القديمة مـــن حيـــث التقديـــم للقصيدة بمطلع تقليدي.

ومن مقدمات الشاعر الأخرى، وصف الطيف، فيذكر الشاعر اســـم المـــرأة التـــي زاره طيفها، ولا يطيل الشاعر في وصف الطيف، بل إن القصيدة التي قدم لها بهذه المقدمة ربمـــا لـــم تصلنا، فاكتفى الشاعر بوصف طيف المرأة فقط.

---

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدبه، مصدر سابق، جـــ١، ص٢٢٦.

[2] عدنان البلداوي، المطلع التقليدي في القصدية العربية، بغداد، ١٩٧٤م، ص١٤.

يقول:

لبشرة أسرى الطيف والخبت دونه

وما بيننا من حزن أرض وبيدها

ومرت بها عيني وقد كنت قبلهـا

كثيراً بكائي مشفقا من صدودها

وبشرة خـود مثل تمثـال بيعـة

تظل النصارى حولها يوم عيدها[1]

فقد احتفل الشاعر بزيارة طيف (بشره) له، فقد سرى هذا الطيف وتجـاوز الصحـارى والأودية، وفاجأ الشاعر بهذه الزيارة، وقرت عيون الشاعر بهذه الزائر، بل خفف زيارة طيفـها كثيرا من حزن الشاعر ومعاناته التي كان يعيشها بسبب الفراق، فهذه الزيارة أراحـت الشـاعر وخففت من شدة الشوق والحنين.

ويصف الشاعر المرأة بصورة طريفة ابتكرها الشاعر، حيث أضفى عليـها نوعـا مـن القداسة الدينية، فشبهها بصنم النصارى الذي يظل النصـارى يـدورون حولـه فـي أعيـادهم ومناسباتهم، وذلك لقداسته ومكانته في نفوسهم.

وقدم الشاعر لإحدى قصائده بمقدمة في الشيب والشباب، فيذكر رحيل الشـباب وحلـول المشيب، وتمنى لو إن هذا الشباب لم يعجل بالرحيل ويلاحظ أن الشاعر قد قسم قصيدتـه إلـى قسمين متساويين تقريبا:

المقدمة، في ذكر أيام الشباب، وسرعة رحيله، وحلول المشيب، وفصـل الشـاعر فـي وصف الشيب والشباب، وكأنه يعقد مقارنة بين شبابه وحاله بعد نزول المشـيب، وبلغـت هـذه المقدمة ثلاثة عشر بيتا، ثم ينتقل إلى الموضوع الرئيس وهو وصف المرأة. يقول فـي مقدمـه قصيدته:

رحـل الشباب وليته لم يرحل ... وغدا لطيـة ذاهب متحمل

وغـدا بـلا ذم وغـادر بعده ... شيبـا أقـام مكانه بالمنزل

ليت الشباب ثوى لدينـا حقبة ... قبل المشيب وليته لم يعجل[2]

---

[1] شعره، ٧٥/١١.

[2] شعره، ١١٣/٢٩-١١٥، الأبيات، (١-١٣)

فالشباب رحل، وحل الشيب مكانه، والشيب من علامات الشيخوخة وبالتالي فقد أحس الشاعر بالعجز والضعف، فأخذ يتحسر على أيام شبابه وهذا الشباب قد رحل وغادر دون مذمة وحل الشيب، نذير الموت والهلاك محل هذا الشباب المخضل.

هذه أهم مقدمات الشاعر الحارث المخزومي، والتي افتتح بها قصائده ومقطوعاته وأهمها المقدمة الطللية، في وصف الأطلال ورسوم المنازل الداثرة، ومقدمة في وصف الطيف وأخرى في المقارنة بين الشباب والشيب، وهذه المقدمات من أهم مقدمات الشعر في العصر الأموي، فقد استمرت المقدمات الجاهلية في العصر الإسلامي والأموي وكان أهمها: مقدمات غزلية وطللية، وأخرى في الشيب والشباب، ومقدمات في الطيف، وغيرها.[1]

وقد ازدهرت هذه المقدمات على أيدي الشعراء في العصر الأموي ازدهارا كبيرا وتمسك بها الشعراء الأمويون، ويعلل حسين عطوان أسباب تمسك هؤلاء الشعراء بهذه المقدمات بالأسباب التالية:

أولا: تشابه حياة شعراء العصر الأموي بحياة الشعراء الجاهليين، نظرا لقرب الفترة بين العصرين.

ثانيا: لم يكن الشعراء الأمويون يمتلكون نماذج فنية غير تلك النماذج التي وصلتهم من الشعر الجاهلي.

ثالثا: إيثار علماء اللغة والنحو في هذه الفترة المبكرة للشعر الجاهلي، فقد كانوا يدعون الشعراء الأمويين إلى محاكاته والصوغ على شاكلته.[2]

وعلى هذا الأساس فقد ظلت المقدمة الجاهلية المثل الأعلى للشاعر الأموي فطفق يحاكيها، ويراعي مقوماتها وأصولها الفنية

وهذا ما يتفق وشعر الحارث المخزومي، فقد تمثل المقدمات الجاهلية في قصائده ولذلك كثرت مقدماته التقليدية.

---

[1] ينظر: حسين عطوان: مقدمة القصيدة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ١٢.

[2] ينظر: حسين عطوان، مقدمة القصيدة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص١٣-١٨.

التخلص

كان انتقال الشاعر من موضوع إلى آخر في القصيدة العربية، موضع اهتمام النقد العربي القديم. إذ كانت القصيدة الواحدة تتألف من موضوعات متعددة، ترتبط فيما بينها وتشكل بالتالي وحدة القصيدة، وأما أسباب هذا الاهتمام بأسلوب الانتقال أو التخلص من موضوع لآخر، فلكي تظهر القصيدة وحدة متماسكة ومترابطة، وحتى لا يشعر المرء بالانتقال المفاجئ.

يقول ابن حجة الحموي: "حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازحة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد"[1]

ويمكن ملاحظة أساليب التخلص والانتقال من المقدمة الطللية ووصف الديار إلى وصف المرأة مباشرة، أو ينتقل الشاعر من المقدمة إلى وصف الظعائن ومشاهد التحمل، وذلك باستخدام بعض الأساليب والتعابير الجاهلية من مثل: "دع ذا" أو "بكرت تلوم" وغيرها من أساليب كان الشعراء السابقون يستخدمونها في تخلصهم من موضوع لآخر. ومن ذلك تخلص الشاعر من المقدمة الطللية ووصف الديار والآثار إلى وصف الظعائن، يقول:

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت — بعدي وبدل آيهن دثورا
وتبدلت بعد الأنيس بأهلها — عفرا بواغم يرتعين وعورا
من كل مصبية الحديث ترى لها — كفلا كرابية الكثيب وثيرا
دع ذا ولكن هل رأيت ظعائنا — قربن أجمالا لهن بكورا
قربن كل مخيس متحمل — بزلا تشبه هامهن قبورا [2]

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص١٤٩.

وينظر في التخلص: يوسف بكار، بناء القصيدة في النقد القديم، مرجع سابق، ص ص ٢٢٢-٢٢٨.

[2] شعره، ١٣/٧٧/٨٠، الأبيات (١-٥)

لقد رسم الشاعر للرسوم والأطلال صورة توحي بخلوها من الأنيس، وبعد أن أتى الشاعر على جزئيات هذه الصورة من: تنكرها ودثورها، واقفارها، ينتقل إلى وصف الظعائن التي تستعد للرحيل، على عادة الشعراء السابقين باستخدام التعبير "دع ذا ولكن" الذي يشعر بترابط الحديث، فقد أتم الشاعر جزءاً من الحديث وفرغ من لوحة الطلل، فهو على وعي بأن هذه اللوحة متصلة من حيث المعنى الكلي بما بعدها[1]. ولذلك انتقل إلى الظعائن التي ترتبط بالطلل.

وفي قصيدة أخرى ينتقل الشاعر من مقدمة القصيدة في الشيب والشباب إلى وصف المرأة وعلاقته بها مستخدما الأسلوب الجاهلي "بكرت تلوم" يقول الشاعر:

رحل الشباب وليته لم يرحل وغدا لطيه ذاهب متحمل
فيه لباغي اللهو إن طلب الغنى بعد المشيب ونهزة المتعلل
بكرت تلوم فقلت غير مباعد فعل الممازح ضاحكا لا تعجلي
أهل التذلل والمودة عندنا يا بشر أنت ورب كل مهلل[2]

وقد وصف الشاعر الفراق والرحيل، ووصف الظعائن في أبيات مفردة في مقطوعات قصيرة من ذلك قول الشاعر:

بان الخليط الذي كنا به نثق بانوا وقلبك مجنون بهم علق[3]

وكذلك يذكر أثر الفراق والرحيل وما يتركه في النفس من وجد وحنين ويصف مشاهد الرحيل والوداع.

يقول:

بان الخليط فما عاجوا ولا عدلوا إذ ودعوك وحنّت بالنوى الأبل
كأن فيهم غداة البين إذ رحلوا أدماء طاع لها الحوذان والنفل[4]

وقد ينتقل الشاعر من مقدماته دون أن يستخدم هذه الأساليب، فيقطع كلامه الذي هو فيه كوصف الديار مثلا ويستأنف كلاما آخر يتعلق بالصد والوصل أو ذكر الشوق والصبابة مكتفيا

---

[1] سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م، ص٢١٧.
[2] شعره، ١١٥/٢٩.
[3] شعره، ٩٣/٢٢، وينظر، نفسه ٩٠/٢٠.
[4] شعره، ١٠٥/٢٥.

بربط هذه المواضيع بحرف من الأحرف الرابطة كالواو أو الفاء أو غيرها، وأمثلة هذا كثير في شعره.

وأحيانا يتحدث الشاعر مباشرة دون مقدمات، فتكون القصيدة موضوعا واحدا كالغزل، إلى أن يختم القصيدة في بيت يتصل بما قبله.

خواتم أشعاره

اهتم الشاعر بخواتم أشعاره، كما هو الحال في مقدمات قصائده، فكما أن مقدمة القصيدة، أول ما يطرق الأسماع، كذلك فإن الخاتمة، "قاعدة القصيدة فهي آخر ما يبقى منها في الأسماع"[1]

ويقول ابن حجة: "يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه -الختام- خاتمة لكلامهما مع أنهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الإحسان فإنه آخر ما يبقى في الأسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام..."[2]

وقد ختم الشاعر بعض قصائده أو مقطعاته، بأسلوب يتناسب وموضوع القصيدة الغزلي من حيث رقة العبارة وسهولة المعاني وبساطتها. فقد يبرهن على المكانة التي تحظى بها المرأة، كقوله:

كنت المنى وأعز من وطئ الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا[3]

ويختم الشاعر بعض مقطوعاته بصورة طريفة رائعة، كقوله في إحدى مقطوعاته:

وبشرة خود مثل تمثال بيعة تظل النصارى حولها يوم عيدها[4]

وأحيانا يختم شعره بتشبيه جميل، فبعد أن وصف الشاعر شوقه وحبه لعائشة ختم قصيدته بهذا التشبيه في قوله:

إلا حنينا إليها إنها رشأ كالشمس رؤد ثقال سهلة الشيم

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة، مصدر سابق، جـ١، ص٢٣٩، طبعة دار الجيل، بيروت.

[2] ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب مصدر سابق، ص٤٦٠.

[3] شعره، ١٣/٨٠.

[4] شعره، ١١/٧٥.

فضلها الله رب الناس إذا خلقت على النساء من أهل الحزم والكرم[1]

وفي إحدى مقطوعاته في العتاب، يختم الشاعر مقطوعته بكلام عام يجري مجرى الحكمة، بالاعتماد على التصوير والتشبيه كقوله:

عطفت عليك النفس حتى كأنما بكفيك بؤسي أو لديك نعيمها[2]

وفي قصيدته في زوجته (أم عمران)، يختم الشاعر قصيدته بصورة رائعة، يعتمد فيها على التشبيه التمثيلي، وقد جاءت هذه الخاتمة تتناسب والموضوع، حيث يصف شدة شوقه وحنينه لها، ويختمها بقوله:

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم كما يتوق إلى منجاتة الغرق [3]

ومن هنا فقد جاءت خواتيم أشعار الحارث منسجمة والموضوع الذي يتحدث فيه.

اللغة والأسلوب

الغزل لغة الحب، والحب عاطفة إنسانية عامة يشترك فيها جميع الشعراء، وقد شغل الناس بالحديث عن الحب منذ أقدم العصور، وصور الشعراء ما كانوا يعانونه من نعيم وجحيم في هذا الحب.

ويشترك الشعراء في هذا التصوير عن طريق اللغة التي هي "أداة نقل، فالشاعر بشر يتحدث إلى بشر وعمله إنساني لأنه يرتبط بدوافع الناس وأفكارهم ومشاعرهم ولذلك كانت مهمة الشعر الصادرة عنه أنه يعبر عن تجربة حية أولا، وأن يؤدي هذه التجربة إلى الآخرين، فيمارسونها بنفس الحيوية التي مارسها هو فيها ثانيا"[4].

فاللغة مادة الأدب التي يكتب بها، ولغة الشاعر هي أداة التعبير عن مشاعره وعواطفه، والاسلوب هو الشكل الذي يعنى به الشاعر، فيصوغ فيه المعاني والأفكار عن طريق هذه اللغة، والتي تعتمد على "خلق خيالي وذلك عن طريق التمازج فيما بين التجربة الداخلية، وبين تجارب الانسان عامة، ولا يمكن استكناه عمق اللغة الشعرية إلا إذا انغرست ذواتنا في تربة القصيدة الفنية لنرى الأصيل في صورتها القديمة"[5]

---

[1] نفسه، ١٣٥/١٣٧.

[2] نفسه، ١٣٩/٣٩.

[3] نفسه، ٩٥/٢٢.

[4] عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، نشر جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٠م، ص٢٥٥.

[5] رجاء عيد، لغة الشعر: قراءة في الشعر الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٩.

وفي العصر الأموي ازدهر شعر الغزل في حواضر الحجاز، ويظهر في هذا الشعر أثر الحضارة التي أصابت العصر بشكل جلي آنذاك، حيث أثرت حضارة العصر في شعر الغزل من حيث اللغة والتراكيب والأوزان، فتطورت لغة الغزل تطورا كبيرا لتدل دلالة كبيرة على تطور الحياة الاجتماعية والعقلية، فهذه الحياة تطورت وتحضرت في المجتمع الحجازي، فانتشرت مظاهر الترف واللهو والرقة، ومال الناس -ولا سيما الشعراء- إلى الإحساس بذلك، فأخذوا ينفرون من الألفاظ الغليظة والصعبة، ويميلون إلى استخدام البساطة والسهولة في التعبير عن المشاعر والأفكار وتميز اسلوب الغزل "بالرقة والعذوبة والطلاوة، واختيار الكلمات الموحية والمشحونة بالعواطف المثيرة للذكريات، لأن الغزل ترجمان عن عاطفة الحب ونابع منها، والتي لا يلائمها إلا هذا الضرب من المقال"[1].

لقد انعكس أثر الحضارة الجديدة في عصر بني أمية على الشعر فغدت ألفاظه سهله ميسورة، قريبة من النفس، ورقت فيه المعاني، وخفت أوزانه، فهي لغة دقيقة مصقولة، تتفق ومذهب الشعراء في الغزل الذي يتمثل "بالرقة واللطافة والدماثة، ويحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة، غير مستكرهة"[2].

إذا انعكس أثر حضارة العصر على الشعر في العصر الأموي ولا سيما شعر الغزل، فرقت ألفاظه وتعابيره، فهي ألفاظ ميسورة، قريبة من النفس، والحارث المخزومي من أولئك الشعراء الذين عاشوا في هذا العصر، فعاش حياته في مكة وحواضرها، وفي شعره الغزلي كثير من مظاهر الرقي والتحضر، وقد ظهرت هذه المظاهر في معجم الشاعر اللغوي والشعري ويمكن ملاحظة جانبين في المعجم الشعري عند الحارث: الأول ويتمثل بجزالة اللفظ وفصاحته، حيث كان يستمد بعض ألفاظه وصوره من المعجم القديم، ويظهر ذلك بوضوح في غزل الشاعر التقليدي، وأما الثاني: فهو الألفاظ الحضارية الجديدة في عصره من حيث قرب لغتها من لغة الحياة اليومية.

وجاءت ألفاظ الشاعر -في أغلبها- واضحة المعنى، عذبة الصياغة بأسلوب يتميز بالسهولة والعذوبة في اختيار اللفظ، فالدارس لشعره لا يجد فيه الوعورة اللفظية والغريب من الألفاظ، فقد هذبت حضارة العصر ألفاظ الغزل وصقلتها لتتلاءم والغناء الذي اشتدت موجته في ذلك العصر.

---

[1] احمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص٣٦٤.

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مصدر سابق، ص١٢٨.

ويستخدم الشاعر المعجم الشعري اللغوي ذاته، الذي يستخدمه شعراء الغزل كعمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص، وذلك لأن "للشعراء ألفاظا معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها"[1]، ذلك المعجم الذي تميز باليسر والسهولة، وألفاظه أقرب إلى الرقة والإلف في كثير من الأحيان، وهناك صلة بين طبيعة الموضوع والرقة والسهولة وبخاصة في موضوع الغزل[2].

ولا بد من الإشارة إلى ان اللفظة الشعرية تكتسب قيمة خاصة، تتحدد بحسب مواقع الكلام الذي تأتي به في بنية النص الشعري، وذلك أن الشاعر لا يتعامل مع الألفاظ من حيث هي مفردات معجمية، ولكنه "يتعامل مع تراكيب تقوم فيها المفردات بوظائف تكتسب بها معاني جديدة لم تكن متوافرة لها من قبل"[3]

ومن هنا فاللفظ ليس مجرد لفظ عادي، بل يؤدي وظيفة أرادها الشاعر لهذه اللفظة، بحيث تعبر هذه اللفظية عن الفكرة والمعنى الذي أراده الشاعر لها التي ربما توحي بحالة الشاعر النفسية واحساسه الداخلي، ومن هنا فإن لكل شاعر لغته وتراكيبه الخاصة والتي يبني عليها قصيدته، وهي بالتالي تنبع من تجربته الذاتية ورؤيته الفردية.

أما لغة الشاعر وألفاظه، كما تتبين من شعره، فقد تعددت وتنوعت فيها الألفاظ بين البداوة من حيث الجزالة وفصاحة اللفظ، مع عدم الجنوح إلى الخشونة والإغراب اللفظي، وبين الألفاظ الحضارية المأنوسة والسهلة، فالشاعر يجاري الشعراء السابقين في وصف الديار وآثارها. يقول:

يا دار حسرها البلى تحسيرا ... وسفت عليها الريح بعدك مورا
دق التراب نخيله فمخيم ... بعراصها ومسير تسييرا [4]

ويقول أيضا:

عفت الديار فما بها أهل ... حزانها ودماثها السهل
تذري الروامس ما استخف لها ... وجرى بترب عزازها الوبل

---

[1] ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، جـ١، ص١٢٨.

[2] ينظر في ذلك: شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص١٨٨-١٨٩.

[3] محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م، ص٤١٧.
وينظر: احمد أبو حاقة، البلاغة والتحليل الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢١، وما بعدها.

[4] شعره، ٧٩.

وأواريـــا للخيـــل داثـــرة مثل الأواخ يمـرها الفتـل
ورواكـــدا أصلين منتصبـــا فترى قراين بينهـا فصـل [1]

يلاحظ أن الشاعر اقتفى أثر الجاهليين في وصف الديار، ويظهر أثر الأسلوب الجـاهلي في هذه الأبيات، من حيث وصف المنازل، وحالها بعد رحيل أهلها عنها، وقد استمد كثيراً مـن صوره وتعابيره اللفظية من الأسلوب القديم في وصف المنازل، واستخدم كثـيراً مـن الألفـاظ الجاهلية مثل: دع ذا، تبصر خليلي، والاستفهام عن الديار ومخاطبتها، وما إلى ذلك مـن ألفـاظ درج الشعراء على استخدامها في ذكر المنازل والديار.*

ولجأ الشاعر إلى المعجم الشعري واللغوي القديم في وصف الأطلال والديار الدارسـة، واختار الشاعر لها ما يناسبها من المعاني والألفاظ التي تمـيزت بالجزالـة والقـوة، واسـتخدام الشاعر لمثل هذه التعابير وهذا الأسلوب التقليدي، ليس من قبيل إثبات مقـدرة الشـاعر الأدبيـة واللغوية بقدر ما هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فهذه الألفاظ تناسب الأطلال والديار الدارسـة فكان الشاعر يذكر إقواء الدار، والمعرس والإواخ والماء النقاح والعفر البواغم وحزان ودمـاث، وغيرها من ألفاظ كان يستخدمها الشاعر الجاهلي في شعره، وتتميز مثل هذه الألفاظ بالفصاحـة والجزالة ولكنها لم تبلغ درجة التعقيد في التركيب اللغوي، ولعل السبب الذي كان يدعو الشـاعر إلى اللجوء لمثل هذه الألفاظ والتراكيب يعود إلى طبيعة الموضوع واقتفاء الشاعر أثر الشـعراء السابقين في مقدمات قصائده، وتقليده لهم في هذا الجانب.

أما في غزل الشاعر الحسي، فيختار الشاعر الألفاظ الموحية الدالة على أثر الحضـارة إذ نجد كثيرا من الألفاظ الحضرية، وخاصة في وصف المرأة ووسـائل زينتـها وترفـها، يقـول الحارث:

لـــولا الذي حَملت من حبّكم لكـان في إظهـاره مخـرج
أو مذهب في الأرض ذو فسحة أجل ومن حجّت لـه مـذحج
لكـن سبانـي منكـم شـادن مـربّب ذو غنـة أدعـج
أغـرّ ممكـورٌ هضيم الحشـا قد ضاق عنه الحجل والدّملج [2]

---

[1] شعره،٩٩-١٠٢.

* ينظر:٧٨، ص٧٧، ص١٢٧.

[2] شعره، ٣/١٣-٦٤.

كانت ألفاظ الشاعر رقيقة، تخلو من الصعوبة والغموض، فقد انتقى الشاعر الألفاظ العذبة التي تتلاءم مع الموضوع الذي يعالجه من ناحية، وذوق المجتمع الحجازي الذي تطور وتحضر من ناحية أخرى، لذلك جاءت اللغة سهلة مستمدة من الواقع، قريبة من النفس، معبرة عن تجربة إنسانية كان يعيشها الشاعر، فهو يخاطب عائشة بنت طلحة بهذه اللغة:

انعم الله لي بذا الوجه عينا ... وبه مرحبا وأهلا وسهلا
حين قالت لا تفشين حديثي ... يا ابن عمي، أقست قلت: أجل لا
اتقى الله واقبلي العذر مني ... وتجافي عن بعض ما كان زلا
لا تصدي فتقتليني ظلما ... ليس قتل المحب للحب حلا
ما أكن سؤتكم به فلك العتـ ... ـبى لدينا وحق ذاك وقلا [1]

استخدم الشاعر لغة معبرة وموحية، بسيطة التراكيب، فهي لغة عادية تتميز بالبساطة والوضوح، تقترب من اللغة الدارجة في ذلك العصر. وهذه الأبيات أشبه بالحديث العام العفوي. فقد قرت عين الشاعر برؤية محبوبته، فوجهها مشرق، وهو نعمة من نعم الله على الشاعر، ويستخدم الشاعر التعبير العفوي في قوله "مرحبا وأهلا وسهلا" فقد جاء هذا التعبير بأسلوب حواري، فهي تطلب منه أن لا يفشي سرها، ويقسم لها بأنه سيفعل ذلك، ويقابل الشاعر بين نفس المحب الصادق، وبين المحبوبة الصدود، ويطلب منها الوصل وعدم الصدود؛ لأنها إن فعلت ذلك إنما تفعل جرما كبيرا.

ويعتذر الشاعر لصاحبته بألفاظ مأنوسة سهلة، ليس فيها غموض أو تعقيد، وكل ذلك بفعل الحضارة الجديدة التي صقلت الألفاظ وهذبتها، فجاءت بهذه البساطة والوضوح.

ويشبه الشاعر جبين صاحبته بالبدر وذلك لبياضه ونصاعته، فهي جميلة فوق كل حسن وجمال ومن شدة حسنه وجماله تستهل السماء بالمزن، وقد عبر الشاعر عن ذلك بألفاظ منتقاة ومختارة، في أسلوب عذب رشيق، يقول:

وجهك البدر لو سألت به المز ... ن من الحسن والجمال استهلا
إن عند الطوف حين أتته ... لجمالاً فعما وخلقا رفلا
وكسين الجمال إن غبن عنها ... فإذا ما بدت لهن اضمحلا [2]

---

[1] شعره، ١٠٩/٢٧.

[2] شعره، ١١٠/٢٧-١١١.

واسلوب الشاعر مباشر، لا يلمح فيه الأطر الشعرية كتعقيد الصورة، وكثرة التزويق اللفظي، والاحتفال بالمحسنات البديعية، فالأبيات السابقة جاءت بألفاظ سهلة واضحة المعنى ليس فيها إغرب أو تعقيد، واعتمد الشاعر في تصوير جمال صاحبته على التشبيه البسيط والمقابلة بينها وبين النساء الأخريات.

ومن الأوصاف الحضارية التي تتلاءم مع حضارة العصر، الأبيات التالية:

غراء واضحة كأن جبينها — بدر السماء ظلامه يجلو

هيفاء ممكور مخدمها — قد غص منها القلب والحجل

وتضل مدراها المواشط في — جعد النبات قرونه جثل [1]

فالألفاظ في الأبيات السابقة، تدل على حضارة ذلك العصر، فالمرأة التي يذكرها الشاعر هيفاء القوام، ممكورة المخدم، وهي مترفة ومنعمة، شعرها كثيف غزير، مضفرة القرون، فقرونها تبدو كالحبال، وقد عبر الشاعر عن هذه الصور والمعاني بأسلوب سهل وعبارات واضحة. فسهولة اللغة من سمات شعر الغزل بعامة، ويشترك في هذه اللغة من حيث الوضوح والسهولة معظم شعراء الغزل الحضري في العصر الأموي، وهي في مجملها "لغة سهلة لا تساق بعبارات ضخمة غير مألوفة، وإنما تساق في عبارات عادية"[2].

ومما لا شك فيه أن شعر الحارث المخزومي، يختلط بشعر عمر نظرا للتشابه فيما بينهما من حيث الشكل والموضوع، ومن حيث اللغة والأسلوب بدرجة خاصة، حيث يقرن شعر الحارث بشعر عمر كثيرا، ومن هنا فإن ما ينسحب على عمر وشعره ينطبق على شعر الحارث ولغته، وبالتالي على كثير من شعر الغزل في عصرهما، حيث إن لغة الشعر الغزلي لا تساق بأسلوب ضخم، بل تساق بعبارات عادية مألوفة، وفي لغة عمر سهولة في الألفاظ والتراكيب يقول شكري فيصل حول شعر عمر: "إن أبرز ما يطالعك في ديوان عمر هو هذه السهولة في الألفاظ والقرب في معانيها، واللين في تراكيبها، وكأنما كان عمر يتحدث بلغة الناس"[3]. وكذلك يلاحظ مثل هذه السهولة في شعر الحارث المخزومي ومن ذلك:

لا يرغم الله أنفا أنت حامله — بل أنف شانيك فيما ساءكم رغما

إن كان رابك شيء لست أعلمه — منّي فهذي يميني بالرّضا سلما

أو كنت أحببت شيئا مثل حبكم — فلا أقلت إذن نعلي لي القدما

---

[1] شعره، ٢٤/١٠٣-١٠٤.

[2] ينظر: شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، مرجع سابق، ص ٣٢٠-٣٢٣.

[3] شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص ٥٤٢.

ما تشتهين فإني اليوم فـــاعلـــه والقلب صبٌّ فما جشّمتـــه جشما [1]

فجاءت عبارات الشاعر وتراكيبه في الأبيات لينة وسهلة، واضحـــة المعـــاني وضـــوح الشمس، وكأن الشاعر يتحدث بلغة الحياة اليومية وبلغة شعبية، يفهمها جميع الناس على اختـــلاف مستوياتهم الفكرية والأدبية. فهو يدعو ألا يرغم أنف صاحبته -رمز العزة والكرامة- بل كل من أبغضها هو الذي يستحق ذلك، واستخدم الشاعر عبارات وتراكيب دارجة كقوله: "هـــذه يميني بالرضا سلما" وقوله: "لا أقلت نعلي لي القدما".

ومن هنا، فإن لغة الشاعر ميسورة التراكيب، سهلة الألفاظ، قريبة مـــن النفـــس، وهـــي مستمدة من واقع الحياة اليومية آنذاك، ومن ثم فهذه اللغة تعبر عن تجارب الشاعر وتعكس كثيرا من جوانب حياة المجتمع الذي عاش فيه، لأن "النظام اللغوي لأية لغة يرتبط بـــالتكوين النفســـي والبيئي والثقافي لأبنائها، حيث يصبح هذا النظام إنعكاسا لطبيعة المجتمع ومزاجه وتركيباته"[2].

وتتمثل سهولة اللغة في شعره، من خطاب الشاعر لزوجته أم عمران واصفا ما ألم بـــه من الوجد وشدة الشوق والحنين. يقول:

يا أمّ عمران ما زالت وما برحت بي الصّبابة حتّى شفّني الشّفق
لا أعتـــق الله رقي من صبابتكم مـــا ضرّني أنّني صبٌّ بكم قلق
يتوق قلبي إليكم كـــي يلاقيكـــم كمـــا يتوق إلى منجاته الغرق [3]

إن ألفاظ الأبيات السابقة مختارة ملتقاه بعناية، ليس فيها غموض أو صعوبة، فـــهي لغـــة سهلة، دانية من النفس، يعبر من خلالها الشاعر عن صبابته وحبه بأسلوب تعبيري جميل مثلـــه في ذلك كمثل شعراء الغزل في عصره، "الذين كانوا يعبرون عن روح العصر وحياتـــهم التـــي يحيونها، ثم هم جددوا في موسيقى الشعر العربي ولغته أيضا، وكاد شعرهم يكون شعرا شـــعبيا يجري على جميع الأفواه والألسنة"[4].

وكان الشاعر يستخدم الأساليب الشائعة عند شعراء الغزل في عصـــره التـــي تشـــترك وجميع هؤلاء الشعراء بسهولة الألفاظ ويسرها. واستمد الشاعر كثيراً من مفرداته وأساليبه مـــن

---

[1] شعره، ٣٥/ ١٣٠-١٣١.

[2] محمد الحلحولي، بناء القصيدة لدى شعراء الحجاز في العصر الأموي، رسالة دكتوارة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥م، ص٨١.

[3] شعره، ٢٢/٩٤-٩٥.

[4] شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، مرجع سابق، ص١٣٩، وينظر المصدر نفسه، ص٨٤، ٨٥، ١٠٤.

واقع حياة المجتمع الذي عاش فيه آنذاك، وذلك لأن "الأديب في كل عصر تواق إلى استعمال ألفاظ وكلمات من عصره وحياته"[1]، وهذه الأساليب -ولا سيما عند شعراء الغزل الحضري- تحمل كثيرا من الألفاظ الدالة على حضارة العصر، كالقصور والمباني، ووسائل الترف والنعيم، وكذلك ألفاظ الزينة التي كانت المرأة الحجازية تستخدمها في ذلك العصر كالثياب والعطور والأصباغ وغيرها.

يقول الشاعر

وكأنّ غالية تباشرها تحت الثّياب إذا صفا النّجم[2]

وقوله:

والزّعفران على ترائبها شرق به اللّبات والنّحر [3]

وقوله:

أترجّة عبق العبير بها عبق الدّهان بجانب الحقّ [4]

وكذلك عرج الشاعر على بعض العادات النصرانية، وطقوس العبادة لديهم فقد استخدم الشاعر "تمثال العاج" و "الدمية" ليشبه المرأة بها. فقد شبه الشاعر بشرة بالتمثال الذي يعبده النصارى، ويظلون يطوفون حوله في أعيادهم ومناسباتهم، يقول:

وبشرة خود مثل تمثال بيعة تظل النصارى حولها يوم عيدها [5]

ويقول

قبّ البطون أو انس مثل الدّمى يخلطن ذاك بعقة وتكرّم [6]

إن انتقاء الشاعر ألفاظه وتراكيبه اللغوية جاءت منسجمة في الشكل والمحتوى، فالألفاظ رقيقة، لطيفة المعاني، تتلاءم مع موضوع الغزل الذي يتطلب ذلك، وهذه سمة تمثلت في معظم شعره الغزلي، فلا يبذل الدارس جهداً كبيراً لكي يقف على دلالات الألفاظ ومعانيها، وقد تمثلت

---

[1] يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، مرجع سابق، ص٢٦٦.

[2] شعره، ص١٢٣.

[3] شعره، ص١٦٠.

[4] شعره، ص٩٧.

[5] شعره، ص٧٥.

[6] شعره، ص١٣٣.

رقة الألفاظ في شعر الحارث في موضوعاته كافة، ومن ذلك الأبيات في هجاء عبد العزيز بن أسيد، فهو يهجوه بهذه اللغة:

فرّ عبد العزيز لمّا رأى الأبطـ ـال بالسّفح نازلوا قطريّا
عاهد الله إن نجا ملمنايا ليعودنّ بعدها حرميّا
يسكن الخلّ والصفاح فمرّا ن وسلعاً وتارة نجديا [1]

فالشاعر لا يستخدم الألفاظ ذات الجرس الإيقاعي المؤثر والقوي، والتي تتناسب وموضوع الهجاء، بل تميزت الأبيات السابقة بالسهولة والوضوح ومعظم العبارات ميسورة ومألوفة، لا تحتاج إلى إعمال الفكر أو الاستعانة بالمعجم، إلا ما ورد في هذه الأبيات من أسماء المواضع والأماكن كالصفاح ومران، وغيرها.

ومن ناحية الأسلوب استخدم الشاعر الكناية، وأبرز ما يمثلها، تلك الأسماء التي كان يكني بها عن عائشة بنت طلحة، كبشرة وبسرة وأثلة وعثمة، وغيرها، وقد يستخدم الكناية في تصويره ولوحاته الفنية، وهو يتكئ في ذلك على الأمثال العربية ومن ذلك هجاء الشاعر لبني أسيد، فقد كنى عن جبنهم بالنعامة، مستمداً ذلك من المثل العربي: "أشرد من نعامة"[2] يقول:

حامت بنو أسدٍ عن مجد أولها وأنتم كنعام القاعة الشردِ [3]

كما استخدم الشاعر المحسنات البديعية في شعره كالجناس التام والناقص والطباق والمقابلة -كما سيتبين ذلك- ولكنه لم يكثر من هذه المحسنات ولم يتكلفها، بل جاءت عفو الخاطر لتمام المعنى وذلك، "لأن شعر الغزل لا يميل إلى هذه المحسنات التي تدل عن البعد عن الصدق والطبع إذا كثرت أما إذا وردت بقلة فإن ذلك يشير إلى صدق الحس وصفاء الطبع وجودة الشعر"[4].

---

[1] شعره، ٤٥/ ١٤٩-١٥٠.

قطري: هو قطري بن الفجاءة.

الخل: هو اسم موضع قبل سلع: جبل متصل بالمدينة.

الصفاح: اسم موضع بين حنين وأنصاب الحرم.

مران: اسم موضع على بعد أربع مراحل من مكة إلى البصرة.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص١٩٨.

[3] شعره، ٨/٧١.

[4] ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج١، ص١٠٩.

ومن الأساليب التي أكثر الشاعر من استخدامها، أسلوب الاستفهام والنداء، والاستفهام من الأساليب الإنشائية التي يشترك فيها الشعراء في بيئة الحجاز حيث يأتي الاستفهام لمعان كثيرة، كتعيين الجواب، والإخبار وغيرها.

ولكن استخدام الشاعر للاستفهام في مطالع قصائده من النوع المجازي، الذي يفيد التمهيد والاستنكار، فالشاعر يتساءل عن الديار:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما كالرقّ أجرى عليها حاذق قلما [1]

ولكن استفهامه انكاري، "يعمل على إثارة المتلقي ودعوته للتأمل، ويعقد حوارا بين الشاعر والمتلقي"[2]، فلا ينتظر الشاعر الجواب لأنه لا يقصد إليه.

وكذلك الحال في الاستفهام عن أطلال الرسوم في قوله:

أعرفت أطلال الرسوم تنكّرت بعدي وبدّل آيهن دثورا [3]

وهذا الاستفهام –إضافة إلى إثارة المتلقي، يسعى الشاعر من خلاله إلى التأكيد على تنكر هذه الديار واندثار معالمها.

ولا بد من الإشارة إلى أن الشاعر كان يتخذ أسلوب الجاهليين ولا سيما في غزله التقليدي، ومقدمات القصائد، كالوقوف على الأطلال، ووصف الديار، إلا أن الشاعر لا يطيل في هذا الوقوف أو الوصف، لينتقل إلى الغزل بالمرأة.

وفي ختام الحديث حول لغة الشاعر وأسلوبه، يظهر أن البساطة في التعبير والوضوح في الألفاظ والمعاني، وسهولة اللغة، أبرز ما تتميز به لغة الحارث بن خالد في شعره، ونتيجة لسهولة اللغة وتداول المعاني، انتشر شعره بين الناس وحظي بمنزلة عالية في نفوس المغنين والملحنين، فأخذوا كثيراً من شعره وصاغوه بألحانهم وأغانيهم التي أخذت تدور على ألسنة الناس آنذاك، ولذلك كان معظم شعر الحارث شعراً غنائياً تميز بغنى الموسيقى ووفرتها.

---

[1] شعره، ١٢٧/٣٥.

[2] فتح الله سليمان، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي، الدار الفنية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (١٨٠).

[3] شعره، ٧٧/١٣، وينظر أيضاً: ٦٦/٥، ٨٤/١٦.

الموسيقى الشعرية

تعد الموسيقى عنصراً مهماً ولازماً للشعر العربي، فالشعر من أكثر الفنون الأدبية ارتباطاً بالموسيقى، وهما "يتصلان بعضهما ببعض اتصال الروح والجسد"[١]، لأن طبيعة الشعر تعتمد على موسيقى الألفاظ التي تؤدي إلى تقريب المعاني للأذهان، وعلى هذا فالموسيقى من أبرز مظاهر الشعر، لأن الشعر -في حقيقته- ليس إلا كلاماً موسيقيا، تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر لها القلوب والأحاسيس[٢].

ولعل أية دراسة للشعر، لا تكون متكاملة، بل توصف بالقصور إن لم تأخذ في الاعتبار أهمية العنصر الموسيقي الداخلي، إضافة إلى موسيقى الأوزان والقوافي على حدٍ سواء، حيث أن موسيقى القصيدة لا تتأتى من الوزن والقافية فحسب، فهناك جانب من هذه الموسيقى ينبعث من خلال تناسق حروف الكلمات وترتيبها، وتآلف هذه الكلمات مع غيرها ومع المعاني التي تدل عليها هذه الكلمات.

وقد قسم الدارسون موسيقى القصيدة إلى قسمين: خارجية وداخلية، يقول شوقي ضيف: "إن موسيقى القصيدة قسمان: خارجية ويحكمها العروض وحده، وتتمثل في الوزن والقافية، وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظام المجردين"[٣].

ومن هنا فإن البحث في موسيقى الشعر عند الحارث المخزومي في شعره، سينطلق من هذه الرؤية، في إطارها الخارجي والذي يتشكل من الوزن والقافية وما يندرج تحتهما، ومن ثم دراسة موسيقى شعره الداخلية أو الموسيقى الخفية، التي "تتبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام، وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء"[٤].

---

[١] رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي: دراسة تأصيلية تطبيقية في الشعر العربي بين القديم والجديد، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص١٦.

[٢] ينظر في ذلك: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م، ص ١٦٨.

[٣] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص٧٨.

[٤] ينظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م، ص٩٧.

أ. الموسيقى الخارجية:

الأوزان

الوزن عنصر أساسي في الشعر، فهو "أعظم أركان الشعر وحده، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها ضرورة، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن"[١].

والوزن من مقومات الشعر، فلا يقوم بدونه، ولذلك فهو أولى هذه المقومات عناية، وذلك لما في وزن الشعر من إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه[٢].

ويأتي الوزن الشعري منسجماً ونابعاً من عاطفة الشاعر، وإحساسه الداخلي بالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر، وبذلك فإن الشاعر لا يختار الوزن الشعري ويصب فيه شعره قبل أن يؤلف شعره، بل "إن الشعر يضع نفسه بنفسه بعد أن ينضج موضوع القصيدة، وتختمر تجربتها، وإلا تحول الشعر من تجربة شعورية إلى تجربة مادية صرفة، يعد الشاعر فيها كل شيء إعداداً"[٣].

وعلى الرغم من مكانة الوزن وأهميته في الشعر، إلا أنه لا يمثل سوى محيط القصيدة الخارجي، الذي يميزها عن النثر، ويؤدي إلى تماسك أبيات القصيدة وحفظها ضمن نسق محدد يحفظها من التبعثر.

ويشكل الوزن موسيقى خاصة فيه تتحقق من خلال تتابع التفعيلات بشكل مطرد ومنسجم أحياناً في فترة زمنية واحدة، فتتحقق هذه الموسيقى في مظاهر الإيقاع فيتأدى إلينا الكلام في صورة منسقة، كما تتسق أجزاء البناء[٤].

اهتم الحارث المخزومي بأوزان شعره، وأدرك الشاعر بذوقه وحاسته السليمة أهمية الموسيقى في الشعر، لذلك حرص الشاعر أن تأتي أوزانه سليمة خالية من أي اضطراب أو عيوب، فجاءت أبياته صحيحة الوزن، سليمة اللغة توافقت مع أوزان الشعر العربي، وقد نظم الشاعر شعره على بحور الشعر المشهورة، مع ملاحظة التفاوت الكبير في عدد أبيات الشعر

---

[١] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه، مصدر سابق، ج١، ص١٥١.

[٢] المصدر السابق، نفسه، ج٢، ص٢٣٤.

[٣] يوسف بكار، بناء القصيدة العربية في ضوء النقد القديم، مرجع سابق، ص١٦١.

[٤] ينظر: عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، الطبعة الرابعة، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٢.

فيما بين هذه الأوزان من ناحية، وهجر كثيراً من البحور والأوزان الأخرى من ناحية أخـــرى، والجدول التالي يوضح البحور الشعرية، ونصيب كل بحر منها، ونسبة هذا الشعر إلى مجمـــوع شعره:

الرقم	البحر العروضي	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١-	الكامل	١٠٣	%٤٣
٢-	الطويل	٤٨	%٢٠
٣-	البسيط	٤٤	%١٨
٤-	الخفيف	٢٥	%١٠
٥-	الوافر	١٠	%٤
٦-	السريع	٤	%٢
٧-	الرجز	٣	%١
٨-	المتقارب	٢	%١
٩-	الرمل	١	%١
		٢٤٠	%١٠٠

من خلال الجدول السابق يمكن ملاحظة أن الشاعر نظم أكثر شعره في ثلاثـــة بحـــور، وهي بالترتيب: الكامل، الطويل، البسيط، والمعروف أن هذه البحور تتكون من تفعيلات مزدوجـة تتميز بكثرة المقاطع والتفاعيل، الأمر الذي يمكنها من اســـتيعاب هـــذه الأوزان للموضوعـــات الهادئة التي فيها روية ودقة وتعقل"[١]، وكذلك يتميز شعر الحارث بأنه نسيب هادئ.

كما يلاحظ تفاوت نسبة الأبيات في هذه البحور تفاوتا ملحوظا، حيث نظم الشـــاعر مـــا يقرب من نصف شعره المجموع في البحر الكامل، إذا يبلغ عدد الأبيات في هذا البحر ما يقـــارب (١٠٣) أبيات، أي ما نسبته (٤٣%) من مجموع شعره، ويتميز بحر الكامل بقربه إلـــى الرقـــة، وهو في الخبر أجود منه في الإنشاء، فلذلك يصلح لبعض الأخبار والمعاني التقريرية.[٢]

ويتميز شعر الحارث في هذا البحر بأن معظمه في الغزل، وفيـــه كثـــير مـــن المعـــاني والأساليب التقريرية.

---

[١] يحيى الجبوري، لبيد بن أبي ربيعة العامري، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ص٤٧٥.

[٢] علي الجندي، الشعراء وإنشاد الشعر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص١٠٥.

أما البحر الطويل، فيأتي في المرتبة الثانية -بعد الكامل- من حيث عدد أبيات الشعر في هذا البحر، إذ يبلغ عدد الأبيات في هذا الوزن (٤٨) بيتا، وتشكل نسبة هذه الأبيات ما نسبته (٢٠%) من مجموع شعره، ويتميز هذا البحر بأنه يتسع لكثير من المعاني، وكان لهذا الوزن في عصور الفحولة والقوة القدح المعلى بين البحور في كثرة النظم فيه، إذ جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي من هذا الوزن.[١] كما يتميز هذا البحر بخفاء جرسه واعتداله وطول النفس فيه.[٢]

وجاء البحر البسيط في المرتبة الثالثة، وقد نظم فيه الشاعر حوالي (٤٤) بيتا ويشكل هذا الكم ما نسبته (١٨%) من شعره، ويقترب هذا البحر من البحر الطويل من حيث عدد التفعيلات، إلا أن بحر البسيط يتفوق على الطويل من حيث الرقة والجزالة، كما تمتاز نغماته بالسرعة.[٣]

ويأتي بحر الخفيف في المرتبة الرابعة، ونظم فيه الشاعر ما يقرب من(٢٥) بيتا أي ما نسبته (١٠%) من مجموع شعره، ويتميز البحر الخفيف بخفته وسهولة الإيقاع فيه، وسمي بهذا الاسم نظرا لخفته، ولأن الوتد المفروق اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب فخففت، وقيل في سبب تسميته، أنه سمى بذلك لخفته في التذوق والتقطيع...[٤]

وتشكل الأوزان السابقة معظم شعره، إذ يبلغ عدد أبيات شعره في هذه الأوزان (٢٢٠) بيتا، ويشكل هذا العدد ما نسبته (٩١%) من مجموع شعره الذي بين أيدينا، وربما يكون الشاعر قد نظم معظم شعره في هذه الأوزان أو أن يكون كثير من شعره في غير هذه الأوزان لم يصل إلينا.

أما أبيات الشاعر الأخرى في الجدول السابق، فقد توزعت على أوزان: الوافر والسريع والمتقارب والرمل، حيث استأثر وزن الوافر بعشرة أبيات وأما الأوزان الأخرى فقد كان عدد الأبيات فيها نادرا جدا، ولم نجد في بعضها إلا بيتا أو بيتين.

وأما الرجز، فقد ورد في شعره ثلاثة أشطر من الرجز، وذلك ضمن مناضلة بين الشاعر ورجل من بني مخزوم، وربما لم ينظم الشاعر من الرجز سوى هذه الأشطر التي سلقتها هذه الحادثة. لأن الرجز يعرف بالاضطراب وقربه من النثر.[٥]

---

[١] المرجع السابق، نفسه، ص١٠٢.

[٢] صلاح الدين الهادي، الشماخ بن ضرار الذبياني: حياته وشعره،دار المعارف،مصر،١٩٦٧م،ص٢٩٠-٢٩١.

[٣] المرجع السابق، نفسه، ص١٠٢.

[٤] ينظر: سيد البحراوي، موسيقى الشعر عند شعراء أبولو، الطعبة الثانية،دار المعارف،القاهرة، ١٩٩١، ص٥١-٥٢.

[٥] السيد احمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٦٢.

ويتبين من خلال أوزان الشاعر اختفاء بعض الأوزان من شعره كالمديد والهزج والمنسرج والمقتضب والمجتث والمتدارك، فلم يعثر للشاعر في هذه الأوزان على أي بيت من الشعر في مجموع شعره، فما السبب في ذلك؟ ولماذا لم ينظم الشاعر في هذه الأوزان؟

لعل السبب أن كثيراً من هذه الأوزان، هجرها القدماء كالمضارع والمجتث والمقتضب، فلم ينظم القدماء في هذه البحور، وقلما توجد مثل هذه الأوزان في أشعار المتقدمين، ويقول ابراهيم أنيس عن: المضارع والمقتضب: "إنك لو بحثت من أشعار عربية من أمثلة لهذين الوزنين لا تكاد تظفر بأمثلة صحيحة النسبة"(١).

ويعلل حازم القرطاجني عدم ورود الأمثلة والشواهد على هذه البحور بقوله: "أما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيها قليلة، على طيش فيهما، أما المضارع ففيه كل قبيحة، وينبغي الا يعد من أوزان العرب، وإنما وضع قياسا، وهو قياس فاسد لأنه من الوضع المتنافر"(٢).

وأما الأوزان القصيرة والمجزوءة كالهزج مثلا، فلم يرد للشاعر نظم في هذه المجزوءات، وبهذا فإن الشاعر كان يؤثر النظم في البحور الطويلة كالكامل والطويل، وهو بذلك يسير على نهج الشعراء القدماء في أوزانهم وطرائقهم في الغزل، ولعل كثرة شعره في هذه البحور يعود إلى سعة هذه الأوزان في احتمال الموضوعات الشعرية المختلفة اكثر من غيرها من ناحية ويعود إلى مقدرة الشاعر الفنية ورهافة إحساسه الموسيقي من ناحية أخرى.

القافية في شعره

للقافية عدة تعريفات، لا بد من عرض أهمها، ومن ثم دراسة قوافي الحارث المخزومي من خلال شعره، وبيان عيوب القوافي عنده.

والقافية عند الخليل: "من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف قبله، فالقافية على هذا المذهب -قد تكون بعض كلمة أو كلمة، وقد تصل إلى كلمتين"(٣).

وذهب الأخفش إلى أن القافية هي آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفوا الكلام، وهي ليست حرفا عنده بدليل قولهم: قافية بالتأنيث، فهي مؤنثة والحرف مذكر".(٤)

---

(١) ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مرجع سابق، ص١٩١-١٩٢.

(٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، تونس، ١٩٦٦، ص٢٦٨.

(٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، ج١، ص١٥١.

(٤) الأخفش، سعيد بن مسعدة، كتاب القوافي، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، (ط١)، ١٩٧٠م، ص١،٢.

ويعرف غير هؤلاء القافية بقوله: "القافية حرف الروي الذي يبنى عليه الشعر ولا بد من تكريرها في كل بيت"[١].

ومن خلال ما سبق يمكن أن يلاحظ أن الرأي الأخير هو الأكثر شهرة بين الدارسين، فالقافية: هي الحرف الأخير في البيت الشعري ما لم يكن حرف مد، وبالتالي فالقافية، وحدة صوتية تتكرر في آخر كل بيت من القصيدة، وهي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ولذلك يقال: لامية الشنفرى، وعينية أبي ذؤيب، وغير ذلك من القصائد التي تنسب إلى قافيتها.

وتأتي أهمية القافية من كونها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، فلا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية، وبالتالي فإن القافية من عناصر التشكيل الموسيقي، وتشكل نغما موسيقيا مهما في القصيدة، ويرى ابراهيم أنيس أن القافية "ما هي في حقيقتها إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة"[٢].

وقد عني الحارث المخزومي بقوافيه عناية كبيرة، وذلك لأن القافية: "تمثل قمة الارتفاع الصوتي في البيت الشعري، وبالتالي فهي لا تمثل خاتمة البيت كما يبدو ذلك في الظاهر وإنما تمثل همزة الوصل بين البيتين"[٣]، وانتقى الشاعر الحروف الشائعة في القوافي، التي ربما تتناسب مع الوزن في القصيدة، وقد جاء استخدام الشاعر للقوافي بنسب متفاوته أيضا -كما هو الحال في أوزانه، فلم يستخدم الشاعر كل حروف المعجم في قوافيه، وذلك أمر طبيعي، لكنه استخدم الحروف الملائمة والمناسبة للقافية، واستخدم الشاعر أربعة عشر حرفا من حروف المعجم في قوافية، توزعت في شعره كالتالي:

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مرجع سابق، ج٥، ص٤٨٠.

[٢] ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص٢٤٦.

[٣] الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م، ص٤٦.

الرقم	الحرف (كناية)	عدد الأبيات	مرات تكرارها في القافية
١-	الباء	٥	٢
٢-	الجيم	٤	١
٣-	الحاء	١	١
٤-	الخاء	٦	١
٥-	الدال	٣٣	٨
٦-	الراء	٣٣	٨
٧-	الطاء	١	١
٨-	العين	١	١
٩-	الفاء	٦	٢
١٠-	القاف	١٦	٣
١١-	اللام	٦٥	٨
١٢-	الميم	٤٠	٨
١٣-	النون	١٩	٥
١٤-	الياء	١٠	٣
		٢٤٠	

يتضح من الجدول السابق أن الشاعر يبني قوافي شعره على الحروف الشائعة الاستخدام في الشعر القديم، ومن البدهي والطبيعي أن لا يقول الشاعر قوافيه على كافة حروف المعجم.

ويلاحظ من الجدول السابق أن هناك حروفا كان لها الصدارة والتميز من حيث كثرة ترددها في قوافيه، كاللام، الذي يشكل اكثر القوافي في شعره فقد بلغ عدد الأبيات من قافية اللام، (٦٥) بيتا، ولذلك فان قافية اللام هي الأكثر انتشارا في شعره، وفي شعر العزل بشكل عام، ولا يعني ذلك أن هناك علاقة بين القافية وموضوع الشعر كما يقول هلال: "ليس من قاعدة تربط حروف القوافي بموضوع الشعر، والأمر في ذلك يشبه علاقة البحور بموضوعات القصائد"[١].

---

[١] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٤٤٣.

ولم يخص الشاعر حرفا من حروف قوافيه بأي موضوع من موضوعات شعره، فقافية اللام، من أكثر القوافي دورانا في شعره جاءت في الغزل والهجاء والشكوى والعتاب وهذا يؤكد عدم وجود علاقة بين القافية وموضوع الشعر.

ويتبين مدى اهتمام الشاعر بقوافيه، فقد أكثر من استخدام: (اللام والدال والراء واللام) بحيث تشكل هذه الأحرف معظم قوافي شعره، كما يلاحظ اختفاء القوافي الحوش من شعره وهي (الثاء والذال والغين والشين)، كما اختفت أيضا القوافي النفر، وهي (الصاد، الزاي، الضاء، الواو) من شعره بشكل نهائي.

وكان الشاعر ينوع في قوافيه من خلال التنويع في الروي من أحرف مختلفة، فقد استخدم القافية بنوعيها: المطلقة والمقيدة*، حيث يطرد اطلاق القافية في شعره، لما فيها من تناغم صوتي، وايقاع موسيقي، لأن القافية المطلقة "أوضح في السمع وأشد أسرا للإذن، لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده، فقد تستطيل في الإنشاد، وتشبه حينئذ حرف مد"[٢].

كما استخدم الشاعر القافية المطلقة بنوعيها:

١. ما تبع حرف روية حرف وصل فقط، وأحرف الوصل هي: (الألف، الياء، الواو، الهاء) ومما وصله بالألف، قوله:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما كالرق أجرى عليها حاذق قلما [٣]

ويقول:

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدي وبدل آيهن دثورا [٤]

فقد أتى الشاعر بعد الميم والراء ألف ثابتة في الكتابة وذلك لخفتها.

- ومما وصله بالياء قوله:

ألا قل لذات الخال يا صاح في الخد تدوم إذا بانت على أحسن العهدِ [٥]

فبعد الدال ياء في اللفظ، تتولد من إشباع حركة الروي التي هي الكسرة.

---

* القافية المطلقة: هي التي يكون فيها الروي متحركاً.
القافية المقيدة: وهي التي يكون فيها الروي ساكناً.

[٢] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص٢٨١.

[٣] شعره، ١٢٧/٣٥.

[٤] نفسه، ٧٧/١٣.

[٥] شعره، ٦٩/٧.

- ومما وصله بالواو قوله:

أقوى من آل ظليمة الحزم فالغمرتان فأوحش الخطم [١]

- ومن الذي وصله بالهاء، قوله:

إذا مت لم أضطرب تزين المخيلة أعطا فيه [٢]

فبعد الياء هاء ساكنة.

٢. ما كان لوصله خروج، ولا يكون مثل هذا الوصل إلا بالهاء[٣]، ومنه قول الشاعر:

لبشرة أسرى الطيف والخبت دونها وما بيننا من حزن أرض وبيدها [٤]

وأما القوافي المقيدة، فلم يكثر الشاعر من استخدامها في شعره، ومن أمثلتها:

لا كوفة أمي ولا بصرة أبي ولست كمن يثنيه عن وجهه الكسل [٥]

عيوب القافية في شعره

على الرغم من اهتمام الشاعر بقوافيه، وحرصه على العناية بها، إلا أن القافية في شعره لم تسلم من بعض العيوب، التي عدها النقاد من عيوب القوافي القبيحة، وطالبوا الشعراء تجنبها ومن هذه العيوب: الإيطاء، وهو عند الخليل: "تكرير ما اتفق لفظه من الاسماء والأفعال، وإن اختلف معناه، أي أن الإيطاء هو ترديد اللفظين المتفقين من جنس واحد"[٦].

والإيطاء عند ابن رشيق: أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد، وقال: كلما تباعد الإيطاء كان أخف، ويذهب إلى أنه إذا اتفقت الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء، عند أحد من الناس إلا الخليل.[٧]

ومهما يكن فإن الإيطاء هو تكرير لفظ القافية لأكثر من مرة في القصيدة الواحدة. وقد وقع الشاعر في هذا العيب في قوافيه، ومن أمثلة ذلك:

دار لبشرة أمست ما تكلمنا وقد أبنت لها لو تفقه الكلما [٨]

---

[١] نفسه، ١٢٠/٣٢.

[٢] نفسه، ١٥١/٤٦.

[٣] ينظر في ذلك: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه، مصدر سابق، ج١، ص١٥٥-ص١٥٨.

[٤] شعره، ٧٥/١١.

[٥] نفسه، ١١٨/٣٠، وينظر: ص١١٩، ص٨٤.

[٦] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٩١.

[٧] ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه، مصدر سابق، جـ١، ص١٦٩-١٧٠.

[٨] شعره، ١٢٨/٣٥-١٢٩.

وبعد ثلاثة أبيات من القصيدة نفسها كرر الشاعر لفظ (الكلما) في اللفظ والمعنى، يقول:

قد قلت بالخيف إذ قالت لجارتها ما دام وصل الذي أهدى لنا الكلما[٣]

وفي القصيدة السابقة نفسها، وقع الشاعر في الإيطاء، ولكنه باعد بينه، يقول:

واها لبشرة لو يدنو الأمير بها يا ليت بشرة قد أمست لنا أمما [٤]

وبعد عشرة أبيات من هذا البيت كرر الشاعر لفظ (أمما) في اللفظ والمعنى بقوله:

ما رغبتي في بلاغ الناس عندكم ووضع خدي لمن لم يمس لي أمما [٥]

وقد وقع الشاعر في الإيطاء في اللفظ مع اختلاف المعنى، في قوله:

لا تصدي فتقتليني ظلما ليس قتل المحب للحب حلا [٦]

وبعد بيتين من القصيدة نفسها، كرر اللفظ مع اختلاف المعنى المراد، بقوله:

إن شخصا رأيته ليلة البد ر عليه أنثنى الجمال وحلا [٧]

مما تقدم يلاحظ أن الشاعر وقع في الإيطاء، إلا أنه لم يكن كثيرا في شعره، فقد وقع فيه ثلاث مرات فقط.

الموسيقى الداخلية

يعتمد هذا اللون من الموسيقى على اختيار الكلمات ومدى انسجامها وترتيبها من جهة، ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها من جهة أخرى.[١]

وتعرف الموسيقى الداخلية بأنها قدرة الشاعر على إقامة بناء موسيقي يتكون من ايحاءات نفسية تعلو وتهبط ليتكون من مجموعها لحنا متسقا من خلال التقديم والتأخير وتآلف الأصوات في الكلمات.[٢]

---

[٣] شعره، ١٢٨/٣٥-١٢٩.

[٤] شعره، ١٢٨/٣٥-١٣١.

[٥] شعره، ١٢٨/٣٥-١٣١.

[٦] نفسه، ١٠٩/٢٧-١١٠.

[٧] نفسه، ١٠٩/٢٧-١١٠.

[١] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٨٠.

[٢] ينظر: رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، مرجع سابق، ص١٦.

وللموسيقى الداخلية مجالها الذي يشكل الأنغام التي تظهر من خلال الأبيات الشعرية فربما تشابهت قصيدتان في الوزن والقافية (الموسيقى الخارجية)، ولكنهما لا بد أن يختلفا في الموسيقى الداخلية وذلك لأن تشكيل الشاعر لموسيقى النص الشعري الداخلية يحتكم إلى قدرة الشاعر الفنية وموهبته الشعرية.

وأما مصادر هذه الموسيقى، فأهمها المحسنات البديعية، كالجناس، والطباق، والتصريع وغيرها من عناصر تثير الانتباه، وتجلب الإثارة، وقبل الحديث عن هذه الموسيقى في شعر الحارث المخزومي، لا بد من الإشارة إلى أن البحث في هذه الموسيقى قد ظهر حديثا عند الدارسين والنقاد العرب، كما أن مثل هذه الدراسات لا تزال "تشكل نوعا من الاستشرافات النقدية التي تقوم على الافتراض أكثر مما تقوم على النتائج الموثقة"[١]

فهذه الموسيقى تحتكم إلى الذوق والافتراض أكثر من احتكامها إلى النتائج العلمية الدقيقة، ولذلك فهي تعتمد على الحس الموسيقي والذوق الفني، الأمر الذي -ربما- يكون الخطأ في مثل هذه الدراسات أكثر من الصواب لعدم ثبات قواعد دراسة مثل هذا الجانب من الموسيقى.

التكرار

للتكرار صلة كبيرة في موسيقى الشعر، ومن أبرز مظاهر التكرار في الشعر، تكرار القافية التي يلتزم بها الشاعر في جميع أبيات القصيدة، وللتكرار مواضع يحسن فيها، وأخرى يكون فيها قبيحا، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، ومنه تكرار الحروف، أو الكلمات، أو الجمل، ومن التكرار ما هو لفظي، وهو الذي يشتمل على ألوان البديع المختلفة كالجناس والطباق والمقابلة والترصيع وغيرها، ومنه معنوي وهو في المعاني دون الألفاظ وهو قليل، وإذا تكرر اللفظ والمعنى فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشويق والاستغراب إذا كان في تغزل أو نسيب كما يقول ابن رشيق القيرواني[٢].

وقد ورد التكرار في شعر الحارث المخزومي كتكرار الحرف أو اللفظ، فللحروف موسيقاها الصوتية، بحيث تكتسب هذه الموسيقى من حسن استخدامها في الكلمات، ومن ثم من

---

[١] عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م، ص١١٨.

[٢] العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدبه، مصدر سابق، جـ٢، ص٧٣، وينظر: جـ٢،ص٧٤، طبعة دار الجيل، بيروت.

انتشـــارها في كلمات البيت الشعـــري، أو من خلال طبيعة هذه الحروف من كونها مجـــهورة أو مهموسة.

ومعظم التكرار في شعر الحارث جاء عفوا دونما تكلف، ومنه قوله:

تشكو ونشكو ما أشتّ بنا كلّ بوشك البين معترف[١]

فقد تكرر حرف الشين في كلمات البيت السابق، ويلاحظ امتداد هذا الحرف في شـــطري البيت، ويفيد هذا الحرف التفشي والانتشار، وقد جانس الشاعر في هذا البيت جناسا تاما، الأمـــر الذي أضفى على هذا البيت لونا خاصا من الموسيقى، يقول أنيس: "إن تردد بعض الحـــروف أو الكلمات يكسب الشطر لونا من الموسيقى تستريح إليه الأذان وتقبل عليـــه، ومثـــل هـــذا مثـــل الموسيقى تتردد فيها أنغام معينة في مواضع خاصة من اللحن، فيزيدهـــا هـــذا الـــتردد جمـــالا وحسنا"[٢]

وكرر الشاعر حرف الواو في مطلع كل شطر من هذه الأبيات:

ومنهـــا علاماتٌ بمجرى وشاحها وأخرى تزين الجيد من موضع العقد

وترعى مـــن الـــودّ الذي كان بيننا وما يستوي راعي الأمـــانة والمبدي

وقل قد وعدت اليوم وعدا فأنجزي ولا تخلفي لا خير في مخلف الـــوعد

وجودي عليّ اليـــوم منـــك بنائل ولا تبخلـــي قدمـــت قبلك في اللحـــد.[٣]

وتظهر الوحدة العضوية في هذه الأبيات، فقد استخدم الشاعر الأدوات الرابطة بين هـــذه الأبيات، وذلك بتكرار حرف الواو، مما أعطى الأبيات السابقة الترابط الصوتي والموسيقي.

---

[١] شعره، ٩١/٢٠.

[٢] موسيقى الشعر العربي، مرجع سابق، ص٤١.

[٣] شعره، ٦٩/٧.

وكذلك، تكرار حرف القاف في قوله:

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم كما يتوق إلى منجاته الغرق[١]

فقد تتكرر حرفا القاف والباء في كلمات هذا البيت، ويلاحظ امتداد حرف القاف من أول كلمة في الشطر الأول إلى آخر كلمة في البيت، مما زاد من موسيقية هذا الحرف وبالتالي موسيقية البيت الشعري، كما جاء حرف القاف متوافقا مع القافية في القصيدة.

ومن تكرار الشاعر للألفاظ، تكرر لفظ (الأيام) في قوله:

أيّام نعصي من وشى بك كاذبا أو صادقا ويحلّل الحبل

أيـّام بشـرة كالمهـاة أضلّها رشأ رخيم صوته طفل

أيّام رؤيتهـا شفـاء سقامـه وبعادهـا لفـؤاده خبل [٢]

فيكرر الشاعر لفظ (أيام) في مطلع كل بيت من هذه الأبيات، ليؤكد الشاعر في هذا التكرار مكانة هذه الأيام في نفس الشاعر، وأيام وصال المحبوبة.

ومن مظاهر التكرار عند الشاعر المخزومي، تكراره في استخدام اسلوب النداء، الذي يعمل على تقوية المعاني التفصيلية، فالشاعر يكرر اسماء المواضع التي له فيها ذكريات ماضية، وربما تعمد الشاعر تكرار النداء في مطالع قصائده من اجل "إثارة معاني الخراب والفناء والأحساس بالوحشة والخواء، والشعور بزوال الحياة فيها، تلك التي كانت يوما ما مسرحا حيا لحبه وعالما مشحونا بالحياة والحركة والدفء"[٣]. ويلح الشاعر على استخدام اسلوب النداء في خطاب الديار، فهو يقول:

يـا دار حسّـرها البلى تحسيرا وسفت عليها الرّيح بعدك بورا

يا ربع بشرة إن أضرّ بك البلى فلقـد عهـدتك آهـلا معمـورا [٤]

كما عمد الشاعر إلى استخدام اسلوب التمني بكثرة، فهو يستخدم هذا الاسلوب بشكل متكرر مستخدما أداة التمني (ليت)، ليدلل على استحالة مثل هذه المطالب، يقول:

ليت الشّباب ثوى لدينا حقبة قبل المشيب وليته لم يعجل [٥]

كما أكثر الشاعر من تكرار اسلوب الاستفهام –وبخاصة في مطالع قصائده– وقد يخرج الأستفهام عن معناه المعروف، ويكون من الاستفهام المجازي، الذي لا يقصد به تعيين الجواب

---

[١] شعره، ٢٢/٩٥.

[٢] شعره، ٢٤/١٠٣، وينظر أيضا: ٢٧/١٠٧.

[٣] محمد الحلحولي، بناء القصيدة لدى شعراء الحجاز في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ١١٦.

[٤] شعره، ١٣/٧٩، وينظر أيضا: ص٩٤، ١٠٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٥.

[٥] السابق، نفسه ٢٩/١١٣، وينظر: ص١١٣، ١٤١.

بقدر ما يفيد الإنكار والقلق، إذ يعمل الاستفهام في مطالع القصيدة على "إثارة المتلقي ودعوته للتأمل، ويعقد حوارا بين الشاعر والمتلقي"[١]. ومن أمثلة هذا الأسلوب في شعره:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما كالرّقّ أجرى عليها حاذق قلما [٢]

وقد يأتي الاستفهام في غير المطالع، ومما لا شك فيه أن تكرار مثل هذه الأساليب والألفاظ يضفي على موسيقى القصيدة جمالا وعذوبة، كما يوحي مثل هذا الاستفهام عن حالة الشاعر النفسية، وربما يشير إلى تعلق الشاعر بالمكان وأيام الصبا.

الجناس أو التجنيس

وهو أن تأتي الكلمة "تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[٣]. والتجنيس ضروب متعددة، حددها ابن المعتز بقوله: "منه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها، ويشتق منها أو يكون يجانسها في تأليف الحروف دون المعنى"[٤].

والنوع الأول وهو الذي تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف الحروف والمعنى أطلق عليها "التجنيس المطلق". وأما ما تشابهت فيه الحروف دون المعنى فهو الطباق أو المطابقة.

ومن أمثلة الجناس في شعر الحارث قوله:

ربّ مستنصح يغشّ ويردي وظنين بالغيب يلفى نصيحا [٥]

فقد جانس الشاعر بين (مستنصح، نصيحا)، عن طريق الاشتقاق، فقد اشتق اسم المفعول من المصدر (نصح)، وهو ما تجانس في اللفظ والمعنى، أي جناس مطلق أو تام ومنه أيضا قوله:

ووجدي بالأحبة يوم بانوا كوجد الصّاد بالماء النقاخ [٦]

---

[١] فتحي الله سليمان، الاسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي، منشورات الدار الفنية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١، ص١٨٠.

[٢] شعره، ١٢٧/٣٥، وينظر: ٨٤/٢٦، و ص ٩٦، ٧٧.

[٣] ابن المعتز، عبد الله، البديع، الطبعة الثانية، نشره وعلق عليه اغناطيوس كراتشقوفسكي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٩م، ص٢٥.

[٤] المصدر السابق، نفسه، ص٢٥.وينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، مصدر سابق، ص٢٠-ص٢٦.

[٥] شعره، ٦٥/٤، وينظر: ص ٧٤، ٨٤، ٧٥، ١٠٨.

[٦] شعره، ٦٧/٥.

فقد جانس بين (وجدي/ وجد) في اللفظ والمعنى، وقد جاء هذا الجناس في مطلع كل شطر من البيت، وأمثلة الجناس المطلق (التام) في شعر الحارث المخزومي كثيرة، وهي في معظمها جاءت وفقا لمتطلبات النظم، فلم يتكلف الشاعر مثل هذا الجناس، بل جاء عفوا، وأعطى الأبيات لونا مميزا من الموسيقى والإيقاع، ومن أمثلة الجناس المتقارب، الجناس بين الأفعال المضارعة، فقد جانس الشاعر بين الفعل (تشكو) و(نشكو) في قوله:

تشكو ونشكو ما أشت بنا كل بوشك البين معترف [١]

الطباق أو المطابقة

وهو اختلاف لفظين في معناهما اختلاف الضد، وذكر ابن المعتز -في تعريف المطابقة قوله الخليل: "يقال طابقت بين الشيئين، إذا جمعتهما على حد واحد فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين: السعة والضيق في هذا الخطاب"[٢].

ويقول ابن رشيق عن المطابقة: "المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر إلا قدامة ومن اتبعه، فإنهم يجعلون اجتماع المعنين في لفظه واحدة طباقا"[٣]، فقدامة ابن جعفر اختلف مع الخليل في حد المطابقة، وأطلق على هذا اللون بالتكافؤ ويعرفه بقوله: "هو أن يصف الشاعر شيئا يذمه ويتكلم فيه -أي معنى كان- فيأتي بمعنين متكافئين"[٤].

ومن التعريف السابق يلاحظ أن قدامة يفسر التكافؤ بالتقابل، وكأنه يريد به معنى المقابلة. وعلى أية حال فالمطابقة حلية لفظية، من ألوان البديع، وتكون بين لفظين يختلفان في المعنى اختلاف الضد، وقد ورد الطباق في شعر الحارث المخزومي، ومن أمثلته:-

يذكرنيهم في مغيب ومشهد فسّيان عندى غيّب وشهود [٥]

فقد طابق الشاعر بين (مغيب ومشهد)، كما طابق بين (غيب/ شهود) في نفس البيت، وكذلك قول الشاعر:

وجوديّ على اليوم منك بنائل ولا تبخلي قدّمت قبلك في اللّحد

دنّوكم منا رخاء ننالة ونأيكم والبعد جهد على جهد [٦]

---

[١] نفسه، ٩١/٢٠.

[٢] ابن المعتز، البديع، مصدر سابق، ص٣٦.

[٣] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه، مصدر سابق، جـ٢، ص٥.

[٤] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مصدر سابق، ص١٤٧.

[٥] شعره، ٦٨/٦.

[٦] نفسه، ٧٠/٧.

فقد طابق بين (الجود/ البخل) في البيت الأول. كما طابق بين (النأي/ الدنو) في الثاني.

ومن أمثلة المطابقة في المعنى دون اللفظ، قوله:

عفت الدّيار فما بها أهل حزّانها ودماثها السّهل [١]

فقد طابق الشاعر بين (حزانها/ دماثها)، في المعنى؛ فالحزان، الموضع الذي يكثر فيه الحجارة والدماث، هو السهل من الأرض، ما لم يكن فيه حجارة، وهو ضد الحزان، فقد طابق الشاعر بين الكلمتين في المعنى دون اللفظ.

التصريع

ويعرفه ابن رشيق بقوله: "ما كانت عروض البيت فيه تابعه لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"[٢]، ثم يقول إن التصريع مشتق من مصراعي الباب، ولذلك أطلق على الشطر من البيت "مصراع" وكأنه مدخل القصيدة وبابها، ويأتي التصريع -في العادة- في مطلع القصيدة وبدايتها، وقد يأتي في غير المطلع والإبتداء كأن يأتي بين موضوع وآخر في النص للتنبيه بذلك، وأما الإكثار منه في القصيدة فيدل على التكلف إلا عند المتقدمين.[٣]

وقد أكثر الشاعر من التصريع -ولا سيما في مطالع قصائده ومقطوعاته، ومن أمثلة مطالعه المصرعة قوله:

أمن طلل بالجزع من مكّة السّدر عفا بين أكناف المشقّر فالحضر [٤]

فقد صرع الشاعر في هذا المطلع في قافية الراء، بين (السدر/ الحضر).

كما صرع الشاعر في مطلع قصيدته بعائشة بنت طلحة عندما ارتحلت مع زوجها مصعب ابن الزبير إلى العراق، يقول:

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق [٥]

فقد صرع في قافية القاف بين (الخلق/ الشرق).

ومن المطالع التي صرع فيها الشاعر، قوله:

أقوى من آل ظليمة الحزم فالغمرتان فأوحش الخطم [٦]

---

[١] نفسه، ٩٩/٢٤.

[٢] العمدة في محاسن الشعر ونقده، مصدر سابق، جـ١، ص١٧٣.

[٣] ينظر المصدرالسابق، جـ١،ص١٧٣-١٧٤. وينظر:ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، مصدرسابق، ص٣٦٦.

[٤] شعره، ٨٤/١٦.

[٥] شعره، ٩٦/٢٣.

[٦] نفسه، ١٢٠/٣٢، وينظر: ١٢٧/٣٥، و٦٩/٧.

مما سبق يمكن القول بأن الشاعر أهتم بمطالع قصائده ومقطوعاته، فحرص على أن يأتي بالتصريع في هذه المقدمات، فجاءت عروض الأبيات السابقة مساوية لضرب البيت في الوزن.

رد العجز على الصدر

وقد عده ابن المعتز من أبواب البديع،[١] ويسميه ابن رشيق "التصدير"، وهو عنده أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل على الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة"[٢].

ويقسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أقسام:

١) ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول، أي ما يتوافق فيه ضرب البيت مع عروضه. ومن أمثلة هذا النوع في شعر الحارث قوله:

أقصيته وأراد سلمكم فليهنه إذ جاءك السّلم [٣]

وقوله:

دار لبشرة أمست ما تكلّمنا وقد أبنت لها لو تفقه الكلما [٤]

وقوله -أيضا:

وإنّ ذا القصر حيّ مابه وطني لكن بمكّة أمسى الأهل والوطن[٥]

٢) ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة من نصفه الأول. ومن أمثلة هذا النوع:

أظليم إنّ مصابكم رجلا أهدى السّلام تحية ظلم [٦]

وقوله:

أعد اللّيالي إذا نايت ولم أكن بما زلّ من عيشي أعد اللّياليا [٧]

---

[١] ابن المعتز، البديع، مصدر سابق، ص٤٧، وينظر: ص٥٣.

[٢] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر وآدبه ونقده، مصدر سابق، جـ، ص ٣٢١.

وينظر: ابو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٢٩-٤٣٣.

[٣] شعره، ١٢٤/٢٢.

[٤] شعره، ١٢٨/٣٥.

[٥] نفسه، ١٤٢/٤٠.

[٦] نفسه، ١٢٣/٣٢.

[٧] نفسه، ١٤٨/٤٨.

وهذا الضرب من رد العجز على الصدر، من أكثر الأقسام التي ينطبق عليها هذا المفهوم، حيث تبدو الأبيات كحلقة اتصل طرفاها، مما يفيد في اكسابها نغمة وإيقاعاً موسيقيا.

٣)ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه، ومن أمثلة هذا اللون، قوله:

أقول ودمعي فوق خدّي مخضّل له وشل قد بلّ تهتانه خدّي [١]

وقوله:

من كان ذا سكن بالشّام يألفه فإن في غيره أمسي لي السكن[٢]

ومما سبق يتبين أن هذا اللون من البديع ينتشر في شعر الحارث، ويشكل نغما موسيقيا في البيت الشعري، ويعتمد هذا الضرب على قدرة الشاعر الفنية والقدرة على التلاعب بالألفاظ.

الغناء في شعر الحارث

عرف العرب الغناء منذ العصر الجاهلي، وظل الغناء مقرونا بالشعر عند شعراء الجاهلية والإسلام، فقد كانوا يرددونه في مناسباتهم الخاصة، كالأعمال الجماعية من رعاية وسقاية وغيرها من الأمور، وكان الغناء في ذلك العصر بدائيا ساذجا، يتمثل في حداء العربي وراء الإبل في الصحراء، ثم تطور هذا الفن تطورا كبيرا حيث أولع العرب به في العصور الإسلامية، وارتبط الشعر العربي بالغناء ارتباطا كبيرا على مر العصور والأزمان، بخاصة أن الشعر -في أصله- نظم ليغنى، فالشعر مادة المغنين والملحنين، وهناك تلازم بين الشعر والغناء فهما "صنوان وكلاهما ينبع من العاطفة، وتجيش به النفس، فينطلق به اللسان شعرا أو غناء، وكلاهما محدد بمقاطع منغمة موقعة"[٣]

ولقد ازدهر فن الغناء في حواضر الدولة الإسلامية في العصر الإسلامي والأموي، في مكة والمدينة، فنشأ الغناء في مكة وازدهر على يد عثمان بن سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم قيل: إنه سمع غناء البنائين الذين جلبهم معاوية بن أبي سفيان إلى مكة لبناء الدور والقصور المسماه بالرقط،[٤] فأخذ من هذا اللحن والغناء. ثم ازدهر هذا الفن وعرف في العصر الإسلامي

---

[١] شعره، ٧٠/٧.

[٢] شعره، ١٤١/٤٠.

[٣] محمد احمد السباعي، الحب والشعر في حياة عمر بن أبي ربيعة، منشورات ومطبوعات الشعب، ١٩٨٨م، ص١١-١٢.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ ١، ص١٥٩.

على ضروبه المختلفة، "فعرف الغناء العادي، كما عرف الغناء المصحوب بجوقة تضرب على الآلات الموسيقية، بينما يغني المغنون"[١].

وتطور فن الغناء وازدهر، وتعددت ألوانه، وكان من أبرز عوامل ازدهاره انتشار شعر الغزل وشيوعه، الذي يعبر عن مشاعر الحب، وأحاسيس النفس، كما تدفق على حواضر الحجاز كثيرا من الرقيق والموالي من غير العرب نتيجة للفتوحات الإسلامية، وقد استقر هؤلاء في مكة والمدينة وامتزجوا بالسكان الأصليين، وقد نهض هؤلاء الموالي بفن الغناء، واستحدثوا نظرية الغناء في تلك البيئة الحضرية، وبذلك "لم يعد الشعر عملا مستقلا يقوم به الشاعر، بل أصبح فنا يعتمد اعتمادا كبيراً على عمل آخر، أو قل أصبح فناً يعتمد اعتمادا على فن الغناء وألحانه وأنغامه، وهو فن كان ينهض به الموالي من المغنين والمغنيات"[٢]، وبهذا فقد طبع الشعر في الحجاز بطوابع حضارية، أثرت في الشعور والحس كما أثرت في الشعر نفسه عن طريق فن الغناء، فكان الشاعر ينظم شعره، ثم يعرضه على الملحنين والمغنيين، لكي يغنوا به. فكانوا يجرون فيه تغييرا في الأوزان ليتلاءم وهذا الفن.

لقد كثر الغناء والمغنون في العصر الأموي، وقد أعجب الناس على كافة طبقاتهم وفئاتهم بالغناء، فأحب الخلفاء المسلمون الغناء وكانوا يستمعون إليه، فقد روي عن فروة بن خالد، أن عمر بن الخطاب قال للنابغة الجعدي*: اسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك، فاسمعه كلمة له: قال له: وإنك لقائلها؟ قال: نعم، قال: لطالما غنيت بها خلف حمالة الحطب"[٣]

وكذلك كان الفقهاء يهوون الغناء ويطربون له، فقد روي أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى، فأسمعه صوتا، فلما سمعه اضطرب اضطرابا شديدا، ودخلته أريحية فحلف ألا يكلم أحدا بقية يومه إلا بالشعر الذي غنى به ابن سريج، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام، فكان كل ما يأتيه سائلا عن حلال أو حرام، أو خبر من الأخبار لا يجيبه إلا بأن ينشد هذا الشعر حتى صلى المغرب"[٤]. وكذلك كان الفقيه والشاعر عروة بن أذينة،* يغني شعره

---

[١] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٥٥، وينظر: ص٦٢.

[٢] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سابق، ص٢٩.

* النابغة الجعدي: هو عبد الله بن قيس من بني جعدة العامريين، أحد الشعراء المخضرمين، وفد مع قومه على الرسول صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة، وأسلم وحسن إسلامه.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، جـ٤، ص٩٠.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ١، ٢٥٧.

* عروة بن أذينة: يحيى بن مالك الليثي المدني الحجازي، من شعراء المدينة المقدمين وفقهائها، عاش في العصر الأموي، وغلب عليه شعر الغزل، توفي ١٣٠هـ.

ويوقعه، ويحدث فيه ما يريد من تقطيعات وتمديدات، وكان لهذا أكبر الأثر في غزله فهو غـــزل يكتظ بالموسيقى وتتوافر له منها قيم صوتيه كثيرة.[١]

وقد كثر المغنون وظهرت اسماء كثير منها، ففي مكة كان ابن سريج، وابن محرز، وابـــن مسجح والغريض والأبجر، وغيرهم، وفي المدينة، معبد وسائب خاثر، ومالك بن أبي السمح، وابـــن عائشة، وطويس، وجميلة، وعزة الميلاء، وكان بين هؤلاء المغنين اتصال دائم فكان مغنو المدينـــة يذهبون إلى مكة، ومغنو مكة يذهبون إلى المدينة، ويظهر ذلك من خلال كثرة الأصوات المدنية فـي شعر الحارث بن خالد وهو شاعر مكي، وقد غنى معظم هؤلاء المغنين بشعر الحارث، ووضعـــوا فيه الألحان، على أن كثيراً من هؤلاء كانوا من غير العرب، فمنهم مـــن بـــلاد فـــــارس، كـــابن مسجح الذي "كان أول من نقل الغناء مـــن الفارسية إلى العربية في مكة"[٢]

ويحفل شعر الحارث المخزومي المجموع بطائفة كبيرة من شعره الغنائي، أي الشعر الـــذي كان ينظم فينشد على الآلات، يدور أكثرها حول الحب الذي كان موضوع كثير من شعـــراء ذلـــك العصـــر، والـــذي كان يتميز "بالايحاء والتلميح، كما يمتاز بحرية في الأوزان"[٣]

وقد توافر للشاعر الحارث بن خالد مقدرة كبيرة، وموهبة مطواعة على نظم الأشعار التـــي كانت تصلح للغناء، وقد تناقلها المغنون ووضعوا فيها الألحان، حيث وضع في المقطوعة الواحـــدة من شعره أكثر من لحن، وغنى فيها غير مغن.

وفي كتاب الأغاني هناك أصوات كثيرة من شعره مغناه وملحنه أداها أشهر المغنين آنـــذاك ومن ذلك الأبيات التالية:

١. بـــان الخليط الذي كنّـــا بـــه نثـــق	بانو وقلبـــك مجنون بهم علق
٢. تنيل نـــزرا قليـــلا وهـــي مشفقـــة	كما يخاف مسيس الحيّة الفرق
٣. يا أمّ عمران ما زالت ومـــا برحـــت	بي الصّبابة حتى شفني الشّفق
٤. لا أعتـــق الله رقـــي مـــن صبابتكم	ما ضرّتـــي أنّني صبّ بكم قلق
٥. ضحكت عن مرهف الأنياب ذي أشر	لا قضم فـــي ثنايـــاه ولا روق
٦. يتـــوق قلبي إليكـــم كـــي يلاقيكـــم	كما يتوق إلى منجاتـــه الغـــرق

---

[١] شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠١.
وينظر: شوقي ضيف: العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٦٢.

[٢] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سابق، ص٢٩.

[٣] احمد أمين، النقد الأدبي (أصوله ومبادئه)، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، جـــ١، ص٩٩-١٠٠.

فالأبيات السابقة من بحر البسيط، وفيها غناء لكثير من المغنيين، ومن ذلك ما ذكره الهشامي، أن لابن سريج في الأبيات السابقة، خفيف رمل، وله فيها أيضا: ثاني ثقيل بالوسطى، وله في الثاني والأول والرابع والخامس، رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، ولابن محرز فيها أيضا: ثاني ثقيل آخر بالبنصر، وغنى ابن محرز في الأبيات، الثالث ثم السادس ثم الخامس فالثاني، ولحنه من القدر الأوسط، ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى كما غنى الغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس، خفيف ثقيل بالتبصر عن عمرو، وذكر أيضا أن الهذلي غنى في الأبيات الثاني ثم الأول هزج.[١]

ومن شعره الذي كان يغنى، مقطوعته، التي قالها في عائشة بنت طلحة، عندما رحلت مع مصعب بن الزبير إلى العراق، ومنها ما يغنى في قوله:

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبّك مطلع الشّرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التّقى والبرّ والصّدق
فظللت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشق
أترجّة عبق العبير بها عبق الدّهان بجانب الحقّ
ما صبّحت أحدا برؤيتها إلاّ غدا بكواكب الطّلق [٢]

في الأبيات غناء لابن محرز في البيتين الأولين، ولحنه رمل بالسبابة في مجرى الوسط وفيهما أيضا غناء لمالك، ثقيل في الوسطى، فيما ذكر عمرو بن بانه، وكذلك لحن من الرمل بالوسطى وفي الأبيات السابقة جميعها غناء للدلال، لحنه ثقيل ثاني بالبنصر، وغنى سعيد بن جابر في هذه الأبيات هزجا بالوسطى"[٣]. ومن الشعر المغنى أيضا، شعره في عائشة بنت طلحة تعريضا بجاريتها (بسرة)، وهي قصيدة طويلة، غنى منها الأبيات:

يا ربع بسرة بالجناب تكلّم وابن لنا خبرا ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشا خلقا كحوض الباقر المتهدّم
تسبي الضجيع إذا النجوم تغوّرت طوع الضجيج أنيقة المتوسّم[٤]

فقد غنى معبد في هذه الأبيات، خفيف رمل بأطلاق الوتر في مجرى الوسطى.[٥]

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٣١.
[٢] شعره، ق٢٣، ص٩٦-٩٨.
[٣] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣١٧.
[٤] شعره، ق (٣٦)، ص ١٣٢-١٣٣.
[٥] الأغاني، السابق نفسه، جـ٣، ص١٣٢.

ومن شعره الذي كان يغني أيضا الأبيات:

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قمن

إذا نلبس العيش صفوا ما يكدره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

ليت الهوى لم يقرّبني إليك ولم أعرفك أذ كان حظي منكم الحزن [١]

غنى في الأبيات السابقة ابن محرز "خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن اسحاق، وذكر يونس أن فيها لحنا ولم يجنسه، وذكر عمرو أن فيه لبابوية ثاني ثقيل بالبنصر"[٢]

أما المغني (الغريض)، فقد كان من أكثر المغنيين اهتماما وغناء بشعر الحارث بن خالد، وكانت تربطه بالشاعر علاقة حميمه، وكان الغريض رسول الحارث إلى عائشة بنت طلحة عندما قدمت تريد الحج، حيث أرسله الحارث إليها يستأذنها في مجلس يتحدث إليها، ويبدو أن هذه العلاقة بين الشاعر والمغني لم تدم طويلا لأمر ما، إذ كان الغريض يهجر شعر الحارث ولا يغني فيه بل كان يميل إلى شعر عمر بن أبي ربيعة، فيضع فيه الألحان ويصنع فيه الغناء، فقد أعرض عن شعر الحارث فترة من الزمن وكان ذلك قبل أن يصبح الحارث بن خالد واليا على مكة. وعندما ولى عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد على مكة بعث في طلب الغريض، فقاله له: "لا أرينك في عملي، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف، ولما بلغ ذلك الحارث، رق له، وأرسل في طلبه وقال له: لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقربنا؟ فقال الغريض: كانت هفوة من هفوات النفس، وخطرة من خطرات الشيطان، ومثلك وهب الذنب وصفح عن الجرم، وأقال العثرة، وغفر الزلة، ولست بعائد إلى ذلك أبدا"[٣]

يكشف الخبر السابق عن حالة البغض والهجر وسوء العلاقة التي حدثت بين الشاعر والغريض وكان ذلك في زمن عبد الملك بن مروان، ولم يبين الأصفهاني سبب هذا الهجر والبغض، وهذا الجرم الذي ارتكبه الغريض والمتمثل في إعراضه عن شعر الحارث، وعدم الاستجابة له، وعندما أصبح الحارث بن خالد أميرا على مكة أراد معاقبته على ذلك، ونفيه إلى الطائف ولكنه رق له وعطف عليه، فرده، فتحسنت الأحوال بينهما، وأصبح الغريض يلازم الشاعر في حله وترحاله، كما كان الشاعر يستحسن غناء الغريض بشعره، ويروح نفسه بالاستماع إلى ألحانه، فقد طلب الشاعر منه أن يغنيه ما وضعه من ألحان في شعره فغناه:

---

[١] شعره، ق (٤٠)، ص١٤٠-١٤١.

[٢] الأغاني، السابق نفسه، جـ٣،٣، ص٣٢٢.

[٣] الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٢٢.

بان الخليط فما عاجوا وما عدلوا إذ ودّعوك وحنّت بالنّوى الإبل

كـــأنّ فيهم غداة البين إذا رحلوا أدماء طاع لها الحوذان والنّفل [١]

الغناء في هذه الأبيات للغريض، ولحنه ثقيل أول بالوسطى، وفيهما -أيضا- غناء لابـــن سريج، خفيف رمل بالبنصر ولاسحاق الموصلي ثاني ثقيل.

فلما سمع الحارث غناء الغريض في هذه الأبيات قال له: أحسنت والله يا غريض، هـــات ما غنيت فيه أيضا من شعري فغناه:

يا ليت شعري وكم من منية قدرت وفقا وأخرى أتى من دونها القدر

ومضمر الكشح يطويه الضجيع له طـــي الحمـــالة لاجـــاف ولا فقر

لـــه شبيهـــان لا نقـــص يعيبهما بحيث كانا ولا طـــول ولا قصـــر [٢]

فقال له: أحسنت والله يا غريض، ايه، وماذا أيضا؟ فغناه بقوله:

عفـــت الدّيار فما بها أهل حـــزّانهـــا ودماثها السّهل

إنّي وما نحروا غداة منى عند الحجار يؤودها العقل [٣]

فقال له الحارث: "يا غريض لا لوم في حبك، ولا عذر في هجـــرك، ولا لـــذة لمـــن لا يروح قلبه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ إلا أنت لكان حظا كافيا وافيـــا، يـــا غريض إنما الدنيا زينة، فأزين الزينة، ما فرح النفس، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فـــهم قدر الغناء".[٤]

ومن هنا يتبين أن الشاعر كان ممن يهوون الغناء، ويستمتعون به، فالغنـــاء عنـــده مـــن الأمور التي تفرح النفس، وتطرب السمع، وقد كان الشاعر يرسل شعره للمغنيين لكي يغنوا بـــه، ومن ثم ينتشر بين الناس، كما كان يدعوهم ويطلب منهم أن يصنعوا الألحان في شعره بل كـــان يستعجلهم بذلك، روي أن الحارث بن خالد قدم من الشام، ومعه مال وحبر، فدعا المغنـــي ابـــن سريج، فظن أنه يريد صلته، قال: فدخلت عليه، فرحب بي ثم قال: قم إلى الكوة، فخذ منها مـــن

---

[١] شعره، ق (٢٥)، ص١٠٥.

[٢] شعره، ٧٦/١٢.

[٣] نفسه، ٢٤/ ص٩٩-١٠٠.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، جـ٣، ص٣٢٣-٣٢٤.

الرقاع، فاعمل من الشعر الذي فيها غناء تحسنه وتعجله، قال: فأخذتها ومن رأيي أن أحرقها، إذا لم أجد منه بشيء، فلما نظرت فيها أعجبني شعره، فتغنيت فيه، وسيرته له"[١].

لقد كان الشاعر يدفع بشعره إلى المغنيين المشهورين، للغناء به، وربما كتب الشاعر بعض شعره في الرقاع ليقوم بنشره بين هؤلاء المغنين. لذلك كان في شعره أصوات كثيرة وفيه من الضروب المتعددة التي كان يوقع بها الغناء، حيث أخذ الغناء الموقع يتنوع إلى ستة ضروب، وهي "ثقيل أول، ثقيل ثاني، وخفيف الثقيل، ورمل، وخفيف الرمل، وهزج"[٢]. وقد كان مرجع هذا التنوع والتعدد يعود إلى نوع النقرات.

وقد تعددت الأصوات، وتنوعت الألحان، في قصيدة الحارث في عائشة بنت طلحة وقد أتى المغنون على كامل أبياتها في الغناء، وهي:

١. أعرفت أطلال الرسوم تنكّرت	بعدي وبدّل آيهنّ دثورا
٢.وتبدلت بعد الأنيس بأهلها	عفرا بواغم يرتعين وعورا
٣.من كلّ مصبية الحديث ترى لها	كفلا كرابية الكثيب وثيرا
٤.دع ذا ولكن هل رأيت ظعائنا	قرّبن أجمالا لهن بكورا
٥.قرّبن كل مخيّس متحمل	بزلا تشبه هامهن قبورا
٦.يفتن لا يألون كلّ مغفل	يملأنه بحديثهنّ سرورا
٧.يا دار حسّرها البلى تحسيرا	وسفت عليها الرّيح بعدك بورا
٨.دق التراب نجيله فمخيّم	بعراصها ومسيّر تسييرا
٩.يا ربع بسرة إن أضرّ بك البلى	فلقد عهدتك آهلا معمورا
١٠. عقب الرذاذ خلافهم فكأنما	بسط الشواطب بينهنّ حصيرا
١١. إن يمس حبلك بعد طول تواصل	خلقا ويصبح بيتكم مهجورا
١٢. فلقد أراني والجديد إلى بلى	زمنا بوصلك قانعا مسرورا
١٣. جذلا بمالي عندكم لا أبتغي	للنفس غيرك خلة وعشيرا
١٤. كنت المنى وأعزّ من وطئ الحصى	عندي وكنت بذاك منك جديرا

على الرغم من طول القصيدة، إلا أنها غنيت بكاملها، وتعددت فيها الألحان والأصوات وتعد هذه القصيدة من أبرز الشواهد، على شعر الحارث الغنائي، من حيث كثرة الأصوات

---

[١] احمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: احسان عباس، دار فرانتس شتاينر، بيروت، ١٩٩٦م، القسم الخامس، ص٢٤٩.

[٢] شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، مرجع سابق، ص١٨٨.

والألحان، ورد في الأغاني حول القصيدة السابقة: "غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، مطلق في مجرى السبابة الوسطى عن اسحاق، وللغريض فيه ثقيل أول بالبنصر، ولاسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولأبراهيم فيهما وفي الثالث خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكي، وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنى معبد في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وفيهما ثاني ثقيف ينسب إلى طويس وابن مسجع وابن سريج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة الوسطى عن يحيى المكي، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى أيضا، وليحيى المكي في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل، ولابراهيم بعينها ثقيل أول عن الهشامي، وفيهما لاسحاق رمل، وفي الثالث والرابع لحن لخليدة المكية خفيف رمل عن الهشامي أيضا"[١].

لقد جاءت الأبيات السابقة في بحر الكامل، وامتازت ألفاظها بالخفة والسهولة وسرعة الحركة، مما جعلها تتلاءم مع ذوق هؤلاء المغنين، فأرهفت إحساسهم وأذواقهم، ولذلك تعددت في أبيات القصيدة الألحان من ثقيل أول، وثاني ثقيل، وخفيف ثقيل، ورمل، وغيرها. وقد تسابق الملحنون والمغنون على الغناء في هذه الأبيات، لسهولتها على الأسماع في حالة غنائها، إذ أن من شروط ذيوع الشعر وانتشاره "أن ينسجم مع البيئة اللغوية في ألفاظه وأخيلته وأوزانه وربما فرضت البيئة اللغوية على شعرائها التزام أوزان خاصة، شاعت فيها وألفتها الآذان أكثر مما تفرضه عليه التزام أصيلة أو ألفاظ بعينها"[٢]، وذلك ما جاءت عليه الأبيات السابقة من شعر الحارث من سهولة في الأوزان والألفاظ والصور والأخيلة.

---

(٢)الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٣٣.

[٢] ابراهيم انيس، موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص١٨٧-١٨٨.

ومما سبق يمكن ملاحظة أن معظم شعر الحارث المخزومي الغزلي قد وضعت فيه الألحان، ولهج المغنون به في المسارح والملاهي والنوادي، التي كانت تقام في مكة والمدينة والعقيق وغيرها من الأماكن آنذاك، حتى ليُخيّل لمن يدرس شعره الغزلي أنه لم يبق أحد من هؤلاء المغنين في ذلك العصر إلا وقد غنى في شعر الحارث ووضع ألحانه فيه، إذا غنى فيه كل من عرف وشهر بالغناء كابراهيم الموصلي وابن محرز وابن مسجح والغريض وطويس ويحيى المكي ومالك وخليدة المكية وغيرهم.

ويستدل على هذا سيرورة شعر الشاعر واشتهاره بالرقة والعذوبة وسلاسة الألفاظ، وحسن التعبير، مما جعل شعره أكثر ملائمة لمتطلبات فن الغناء آنذاك.

الخاتمة

عرضت في هذه الدراسة لأحد شعراء قريش الغزلين المعدودين، وهو الحارث بن خالد المخزومي، في حياته وشعره، وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- فالحارث كما اتضح للباحث كان ينتمي إلى قبيلة بني مخزوم، إحدى قبائل قريش البطاح وكان لهذه القبيلة حضورها في الجاهلية والإسلام وخاصة في حروب الردة والفتوحات الإسلامية، وهو من أسرة ذات مكانة رفيعة، كان لها الشرف والمكرمات.
- فقد حاولت استنتاج مكان ولادته وتاريخ وفاته، فقدرت أن تكون ولادته في العقد الثالث من القرن الأول الهجري، في مكة، حيث نشأ بين ظهراني قومه في مكة وحواضرها، فبينت أنه ولي إمارة مكة لخلافة يزيد بن معاوية وكذلك لخلافة عبد الملك بن مروان.
- وظهر للباحث أن الحارث المخزومي خصص معظم شعره للغزل، فهو أحد شعراء قريش الغزلين المعدودين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل، وتبين أن الشاعر كان يبني قصائده على النمط التقليدي المألوف في بناء القصيدة، من حيث المقدمة والتخلص فخواتيم الأشعار.
- تنوع شعره الغزلي، بين غزل تقليدي، وغزل حضري وغزل عذري، فقد سار في غزله التقليدي على نهج الشعراء السابقين من حيث مخاطبة الأطلال ومساءلة الديار، وفي غزله الحضري، تغزل الشاعر بأكثر من امرأة، وقد خصص كثيرا من شعره في عائشة بنت طلحة، وليلى بنت أبي مرة، وظهرت كثير من السمات والملامح العذرية في شعره كالوفاء والصدق، والشكوى من اللوام والعذال.
- حرص الشاعر على الاهتمام بشعره من الناحية الفنية، فحرص على تهذيب مطالع قصائده، فتعددت ألوان المقدمات عنده وتنوعت فمنها: المقدمة الطللية والغزلية، ومقدمة في الطيف، ومقدمة في الشيب والشباب.
- وتبين أن الشاعر لم يلتزم بالبحور القصيرة أو المجزوءة، التي تلائم فن الغناء، حيث جاء معظم شعره في البحور الطويلة: كالكامل فالطويل فالبسيط، وهذا يعني أن الغناء لا يعتمد إلى الوزن الشعري للقصيدة بقدر ما يعتمد على اللحن والمد ونظم الكلمات وتناسقها في السياق الشعري.
- واتضح أن شعر الشاعر الغزلي يرتبط بالديار ارتباطا وثيقا، وربما يعود ذلك لأكثر من سبب، فالأماكن والديار التي يذكرها الشاعر في غزله، أماكن مقدسة من جانب، كما أنها أماكن عزيزة عليه، تمثل حياته وحبه ولهوه، ولذلك يعد شعره الغزلي مصدرا مهما لكثير من الأماكن الجغرافية.

المصادر والمراجع

المصادر القديمة

القرآن الكريم

١) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني الموصلي، (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢) الأخفش، سعيد بن مسعدة، (ت٢١٥هـ)، كتاب القوافي، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية التراث، دمشق، ١٩٧٠م.

٣) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

٤) ابن أيدمر، محمد بن أيدمر (ت.ج. القرن الثامن هـ)، الدر الفريد وبيت القصيد، نشره فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية، فرانكفورت، د.ت

٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، طبعة دار الفكر، القاهرة

٦) الأصفهاني، أبو بكر محمد بن سليمان (ت٢٩٧هـ)، الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.

٧) الباقلاني، محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٤هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.

٨) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

٩) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأونبي (ت٤٨٧هـ)، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، القسم الخامس، دار فرانتس شتاينر، بيروت، ١٩٩٦م.

١١) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، (ت٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة، طبعة عالم الكتب، بيروت، د.ت

١٢) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣) ابن ثابت، حسان بن ثابت الأنصاري، (ت٥٤هـ)، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: يوسف عيد، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٤) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: ابراهيم الصالح، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤م.

١٥) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

١٦) الجاحظ، أبو عثمان، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م.

١٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٩م.

١٨) الجزري، عز الدين بن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م،

١٩) ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (ت٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٠) الجمحي، أبو دهبل، وهب بن زمعة (ت بعد ٩٦هـ)، ديوانه، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، ١٩٧٢م.

٢١) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

٢٢) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢.

٢٣) الحارث المخزومي، الحارث بن خالد (ت. ح ١٠٠هـ)، شعر الحارث المخزومي، تحقيق: يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.

٢٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي، (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، طبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢م.

٢٥) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٦) ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد الأندلسي، (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م.

٢٧) الحصري، أبو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني، (ت٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٨) ابن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد، (ت ٢٤١هـ)، المسند، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

٢٩) الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت، (د.ت)

٣٠) الحموي، أبو بكر علي بن حجة، (ت٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأدب، دار القاموس الحديث، بيروت، د.ت

٣١) الخالديان، أبو بكر محمد بن هشام (ت ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ٣٩٠هـ)، المختار في شعر بشار (اختيار الخالديين)، تحقيق: أبو طاهر اسماعيل، دار صادر، بيروت، (د.ت)

٣٢) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط، (ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ١٩٧٧م.

٣٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، (ت٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٣٤) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، (ت٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مكتبة السعادة، مصر، ١٩٦٣م.

٣٥) ابن الزبعري، عبد الله بن الزبعرى، شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق: يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٣٦) الزبير بن بكار، أبو عبد الله القرشي الأسدي (ت٢٥٦هـ)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٧) الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت٢٣٦هـ)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، د.ت

٣٨) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت٥٣٨هـ)، المستقصي من أمثال العرب، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٩) ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي البصري، (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

٤٠) ابن سعيد الأندلسي، نور الدين أبو الحسن (ت٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

٤١) ابن سلام، أبو عبيدة القاسم بن سلام، (ت٢٢٤هـ)، كتاب النسب، تحقيق: مريم محمد خير الدرع، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.

٤٢) السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد، (ت٣٨٥هـ)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٧٦م.

٤٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٤) الصفدي، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: شكري فيصل، دار فرانتس شتاينر، بيروت، ١٩٩١م.

٤٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

٤٦) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٧) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين إبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون،طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

٤٨) العرجي، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، (ت١٢٠هـ)، ديوان العرجي، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٩) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق ، تحقيق: محب الدين العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

تهذيب تاريخ دمشق، تحقيق: عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

٥٠) العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد علي البجاوي، (ط١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٥١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

٥٢) العسكري، الحسين بن عبد الله العسكري، (ت ٣٨٢هـ)، المصون في الأدب، الطبعة الأولى،مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.

٥٣) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن أحمد الحسن المكي (ت٨٣٣هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٥٤) القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ)، أمالي القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٧م.

٥٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)

- عيون الأخبار، تحقيق: محمد الاسكندري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

- الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

٥٦) القرطاجني، أبو الحسن عبد الله بن حازم، (ت٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، تونس، ١٩٦٦.

٥٧) ابن كثير، الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير، (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار البصيرة، (د،م،ن)، (د.ت)

٥٨) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، (ت٢٠٤هـ)، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٩) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي، (ت٢٨٥هـ)، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدوحة، قطر، ١٩٨٤م.

٦٠) المرتضى، الشريف علي بن الحسين العلوي، (ت٤٣٦هـ)، أمالي المرتضى (درر الفوائد وغرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٠٤م.

٦١) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين، (٤٢١هـ)، شرح ديوان الحماسة، نشو عبد السلام هارون وأحمد أمين، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م.

٦٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.

٦٣) ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، البديع، نشر أغناطيوس كراتشوفسكي، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٩م.

٦٤) المقدسي، موفق الدين محمد بن عبد الله بن أحمد (٦٢٠هـ)، التبين في أنساب القرشيين، تحقيق: محمد نايف الدليمي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٦٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، طبعة دار المعارف، مصر، (د.ت).

٦٦) النديم، محمد بن إسحاق (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

٦٧) الهمذاني، ابن الحايك أبو محمد الحسن بن أحمد (ت٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، الطبعة الثالثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م.

المراجع الحديثة:

١) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢) إبراهيم السنجلاوي، الحب والموت في الشعر الأموي، منشورات جامعة اليرموك، اربد، (د.ت)

٣) إبراهيم عبد الرحمن، عبيد الله بن قيس الرقيات: حياته وشعره، (د.ط،م،ن،ت)

٤) إحسان النص، الغزل في عصر بني أمية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٦م.

٥) أحمد أمين، النقد الأدبي: مبادئه وأصوله، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٦) أحمد دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ.

٧) أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

٨) جمال فرحات، ذم النساء في التراث العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت

٩) حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٠) حنا جميل حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤م.

١١) خليل محمد عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

١٢) رجا عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيلية في الشعر العربي بين القديم والجديد، منشورات منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ت).

لغة الشعر، قراءة في الشعر الحديث، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

١٣) سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

١٤) سعيد عيد العطوي، المقطعات الشعرية في الجاهلية الإسلام، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٣م.

١٥) سيد البحراوي، موسيقى الشعر عند شعراء أبولو، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

١٦) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٧) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

١٨) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، د.ت.

الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف، مصر، د.ت

الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، مصر (د.ت)

في النقد الأدبي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

١٩) صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، الطبعة الثالثة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م.

٢٠) صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.

الشماخ بن ضرار الذبياني، حياته وشعره، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م.

٢١) طه حسين، حديث الأربعاء، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، (د.ت)

٢٢) عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.

٢٣) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، نشر جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٠م.

٢٤) عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت

٢٥) عبد المجيد زراقط، الشعر بين الفن والسلطان في العصر الأموي، دار الباحث، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٦) البلداوي، المطلع التقليدي في القصيدة العربية، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٧) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، الطبعة الرابعة، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٨) علي الجندي، الشعراء وإنشاد الشعر، طبعة دار المعارف، مصر، (د.ت)

٢٩) عمر الطباع، مواقف من الأدب الأموي: تحليل ودراسة منتخبات، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٩١م.

٣٠) عمر كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.

٣١) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٢) فاطمة السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٣) فتح الله سليمان، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي، الدار الفنية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م؟

٣٤) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار القلم، بيروت، د.ت

٣٥) محمد أحمد السباعي، الحب والشعر في حياة عمر بن أبي ربيعة، منشورات ومطبوعات دار الشعب، ١٩٨٨م.

٣٦) محمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٧) محمد أبو حافة، البلاغة والتحليل الأدبي، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٨) محمد سعيد الدغلي، أحاديث غزلية في الغزلين العذري والعمري وامتداداتهما في الغزل العربي، (د. م. ن)، ١٩٨٥م.

٣٩) محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م.

٤٠) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)

الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤١) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر في القرن الأول الهجري، ط١، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٢) وليم نقولا شقير، العرجي وشعر الغزل في العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٣) يحيى وهيب الجبوري، ليبد بن أبي ربيعة العامري، الطبعة الثالثة، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.

٤٤) يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)

بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٥) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلي نهاية القرن الثاني للهجرة، الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٦) يوسف اليوسف، الغزل العذري، دراسة في الحب المقموع، الطبعة الثانية، دار الحقائق، دمشق، ١٩٨٢.

الدوريات

١)محمود الجادر، "قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية"، مجلة الأقـــلام، العـــدد الثـــاني عشر (١٢)، بغداد، ١٩٧٩م.

المواد غير المنشورة

١) عمر عيد المومني، المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل في العصر الأموي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٨م.

٢) محمد الحلحولي، بناء القصيدة لدى شعراء الحجاز في العصر الأموي، رسالة دكتوراة في اللغة العربية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥م.

Talha. Then the researcher moved to the poet's minor subjects among: other poetry such as, defamation and admonishment.

CHAPTER THREE:

This chapter discussed the most technical characteristics of his poetry, and studied the structure of the poem, as of starting, conclusion and ending verses of the poems. The study shows that the poet varied in the prelude of his poems from (*Al-Atlal*) ruins, flirt, an introduction in describing apparition, an introduction in describing hoariness and youth. So the poet built his poetry on the basis of the previous poets, while renewing. The poet ignored describing the journey and the camel. Then studied the poet's language, style, and pointed out that his language was not systematic. As we might find it hard vocabulary, which cannot be comprehended without referring to dictionaries. This is more obvious in his classic flirt poetry. We also find the obvious and easy words, which are more obvious in his singing and urban flirt poetry.

The research also studied the rhythm of his poetry and divided it into two branches: external rhythm as in measure and rhyme; and internal music as in reiteration, paronomasia, antithesis and turning second to first hemistich and *tasree'*...etc. Then studied the influence and affection in his poetry in comparison with Omar Ibn Abu Rabea'a, due to the great similarity in their characters and poetry.

Then ended the study with an abstract and pointed the main conclusion reached.

ABSTRACT

This study consists of three chapters and an introduction. The introduction dealt with the poet's era and environment, and showed the shift in poetry in the Ummayyad period due to the political, social, economical and cultural transformations.

CHAPTER ONE:

The poet's life was discussed in two parts. The first part dealt with the poet's tribe, its ancestry and its rank among Arab ancestry. Then showed its rank, days and the tribes most famous poets in pre-Islam (*Jaheliat)* and in Islam age.

The second part discussed Al-Hareth Al-Mahkzomi's life in an analytical historical method through his name, birth, upbringing, family, features of his character, as a prince of Mecca. This theme shows that Al-Hareth lived during the Ummayyad period and one of few poets of Quraish. He was born in Mecca and moved between cities. Given the principality of Mecca at the reign of Yazeed Ibn Mo'awia and Abdul Malik Ibn Marwan. His death was around (100H), according to the closest stories in this concern.

CHAPTER TWO:

Discussed poetry in two parts. The first part specialized in studying Al-Hareth in the old text books, and discussed the old sources of his poetry. These sources were plenty and various, such as: history and ancestry, language and grammar, literature and critique. This part also showed the importance of these sources, as the first to study the poet and his work, as they show that his poetry was widespread in these old books through out the centuries, which denotes the mortality of his work.

Then discussed his poetry as a whole and elaborated on fifteen verses, and that showed the poet's rank among his colleagues, as he gained a distinguished rank in his era.

The second part discussed the subjects of his poetry which was mainly in flirt, as Al-Hareth Al-Makhzomi carried the ideology of Omar Ibn Abu Rabe'ah, not overriding flirt poetry, defamation, or complementary. Therefore, the researcher introduced this subject by studying the different methods of flirt poetry in that age, then moved to studying types of his flirt poetry, which varied between classic, urban and platonic. The researcher concluded that the poet dedicated most of his flirt poetry to A'esha Bint

AL- HARETH IBN KHALED AL- MAKHZOMI POETRY

D. (100 A.H\ 718 A.D)

A LITERARY STUDY